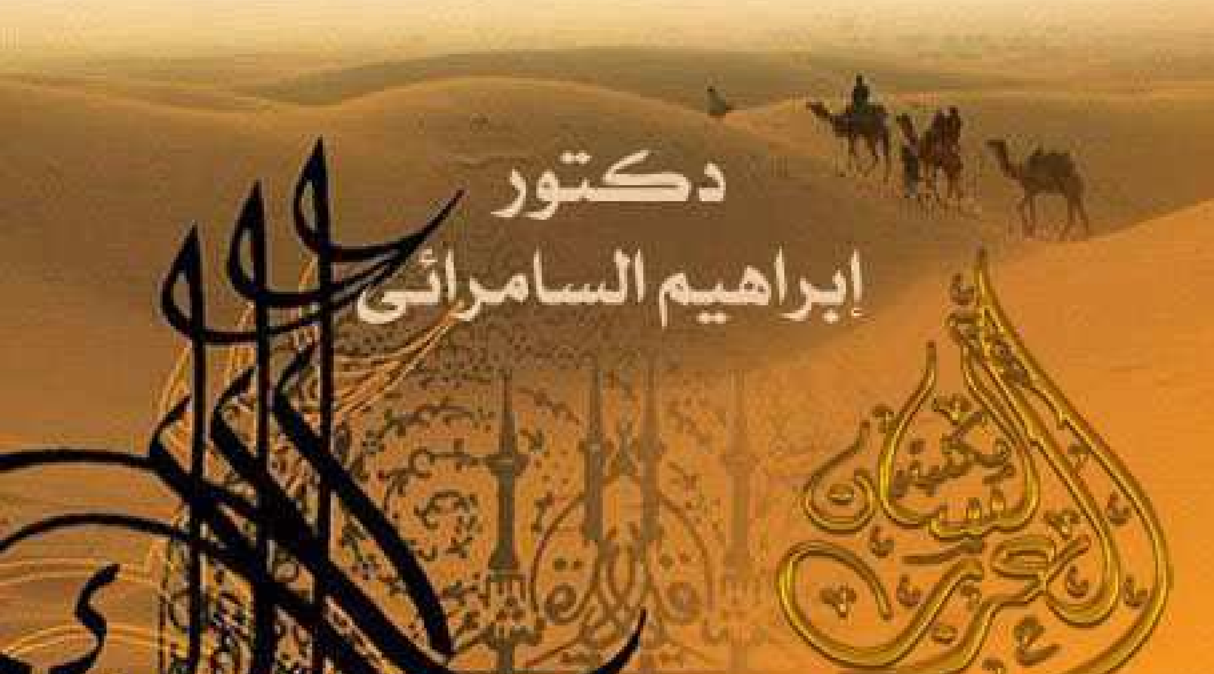
في اللهجات العربية القديمة



دكتور

إبراهيم السامرائي

دار الحداثة
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت لبنان

مكتبة
لسان العرب

دكتور ابراهيم السامرائي

في اللهجات العربية القديمة

المؤلّف: د. ابراهيم السامرائي

الكتاب: في اللهجات العربية القديمة

القياس: ١٧ × ٢٤

عدد الصفحات: ١٩٦

تصميم الغلاف: الحداثة: أحمد العلي

الطبعة الأولى: ١٩٩٤

دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

بيروت - طريق المطار - شارع مدرسة القبال

بناية حلمي عويدات. ص - ب ١٤٥٦٣٦

تلفون ٨٢٣٩٨٩

مقدمة في دراسة اللهجات

قلت: «اللهجات» جريًا على ما درج عليه المعاصرون في الكلام على بقايا اللغوية التي تتصل بلغات القبائل.

وكأن المعاصرين قد درجوا على خطأ، وقد قرّ في دأبهم أن «اللهجات» اللغوية تؤلف مادة يستطيع بها الدارس أن يقيم بناءً وافياً بالغرض. ومن أجل هذا صرنا نشاهد كتباً هي مادة رسائلَ جامعية في الماجستير والدكتوراه موضوعها «اللهجات».

لقد آثر المعاصرون مصطلح «اللهجة» و«اللهجات» على ما أسماه أهل اللغة من القدامى «لغة»، فقول الاقدمين على لغة هذيل أو عقيل أو لغة الأزد، ونحو ذلك يتناول مواد لغوية بعينها كقولهم: جاء في «هيهات» ست وثلاثون لغة، وقولهم في «حذام» ونحوه: إن اهل الحجاز يبنونه على الكسر. وافترقت بنو تميم فرقتين: فبعضهم يعرب ذلك كله بالضم رفعاً، وبالفتح نصبًا وجراً. وأكثرهم يفصل بين ما كان آخره راء: كوبار ـ اسم لقبيلة ـ وحضارِ اسم لكوكب ـ وسفار ـ اسم لماء فيبنيه على الكسر كالحجازيين، ومنه قول الفرزدق:

متى ما تَرِد يوماً سَفارِ تجد بها ... أُدَيْهِمَ يرمي المستجيز المعوّرا[(١)]

وكذلك قولهم في اختلاف اهل الحجاز عن بني تميم في «أمس»، وهذا كله مبسوط في كتب النحو القديمة. وقولهم في «هلمّ» ولزومها طريقة واحدة، ولا يختلف لفظها بحسب من هي مسندة اليه، وهذا كله لغة أهل الحجاز، أما بنو تميم فيلحقونها الضمائر، فيقولون: هلما وهلموا وهلمُمْنَ.

وقولهم: «ذو» الطائية، بمعني الذي، حكى الفراء: «بالفضل ذو فضّلكم الله، والكرامةِ ذاتُ أكرمكم الله بها»[(٢)].

وعقيل وهذيل يقولون «الذون» «رفعاً و«الذين» نصبًا وجرًا[(٣)]، وقد ورد منه قول أبي حرب بن الأعلم احد بني عقيل:

---

(١) انظر «سفار» في معجم البلدان، وكذلك «لسان العرب».

(٢) قطر الندى لابن هشام ص ١٠٤

(٣) المصدر السابق ص ١٠٧

نحن الذون صبحوا الصباحا   يوم النخيل غارة مِلحاحا

وقد يكون أمر اللغة «في أن الكلمة العربية تدل» لدى قبيلة ما، غير ما تدل عليه لدى سائر القبائل، ومن هذا قولهم في «ييأس» من قوله تعالى: «أفلم ييأس الذين آمنوا»: إنها بمعنى «يعلم»، وهي لغة النخع وهو ازن، قال سُحيم:

أقول لهم بالشِّعْبِ إذ يأسرونني   ألم تعلموا أنّي ابنُ فارسِ زَهدَمِ[1]

وقد أشار صاحب «اللغات في القرآن» الى ما أثر عن ابن عباس من أن القرآن اشتمل على «اللغات».

أقول: إن ما اصطلح عليه المعاصرون «لهجة» هو «لغة» في العلم اللغوي القديم. وكأني اقول: إن القدماء على عدم وضوح العلم في هذه الموادّ ونسبتها الى أصحابها واختلافهم في النسبة، أسدّ طريقاً من المعاصرين. إن المعاصرين احتفلوا «بلهجاتهم» هذه، وأرادوا أن يلقوا عليها ضوءاً من علوم العصر في التفسير والتعليل، كما أرادوا تخيّلاً أن يضعوا لها نظاماً صوتياً، وليس ذلك في طوقهم لأن العلم بالأصوات لا يمكن أن نصل اليه بما أثر من «شذرات» لغوية تتصل باختلافهم في الحركات واصوات المدّ الطويلة في طائفة من الكلم.

قلت: إن القدماء كانوا أسد منهجاً في هذا العلم. ففي حين احتفل النحاة بالشواهد اللغوية النادرة من لغات القبائل التي خرجت عن المأثور المتوارث، وهو الشائع المشهور[2] نجد اللغويين تنكبوا هذا السبيل فسموا بعض الظواهر اللغوية باللغات المذمومة[3]، كالكشكشة والكسكسة، والعنعنة، والفحفحة وغيرها.

لقد اهتم المستشرقون بهذه المخلفات اللغوية، ولكنهم ذهبوا الى أوضح قسمة فيها تلك التي شاعت في كتب النحو واللغة، وهي لغة الحجاز ولغة تميم. ومن هؤلاء: فولرز (VOLLERS) ورابن (RABIN). وكأن المستشرقين قد رأوا في لغات القبائل الاخرى مواد يتيمة، فأنت لا تجد من لغة بلحارث بن كعب غير التزام المثنى للالف، ومواد معجمية اخرى.

---

(١) المصدر السابق ص ٦١

(٢) جاء في شواهدهم الغريبة في باب المثنى ولزومه الالف والنون المفتوحة قول الراجز:
اعرف منه الجيدَ والعينانا   ومنخرين اشبها ظبيانا (انظر شرح ابن عقيل ١/١٧)
اقول: لو كان التزام الراجز بالألف في المثنى لغة بلحارث بن كعب او غيرهم، فلم عدل عنها في قوله: «منخرين»؟!

(٣) قال الفراء: خلت لغة قريش من مستبشع اللغات ومستقبح الالفاظ، ومن ذلك الكشكشة...
وقال ابن فارس في «الصاحبي»، باب اللغات المذمومة، وذكر منها العنعنة والكشكشة...
انظر المزهر ١/٢٢١ والصاحبي ص ٣٥/٢٢٢.

وبقدر ما احتفل النحاة بالنماذج النادرة من ظواهر الكلم، تجنب نفر آخر من اللغويين النحاة هذه المواد حتى احتالوا على المسموع منها برواية اخرى ليبتعدوا عن الخروج عن قواعد نحو العربية، ألا ترى أنهم غيّروا المشهور من قول امرئ القيس:

فاليوم أشربْ غيرِ مُستحقب إثماً من الله ولا واغل

بجزم «أشربْ» وليس من جازم، الى رواية اخرى هي:

فاليوم ألهو غير مستحقِبٍ إثماً من الله ولا واغل[1]

على أن الديوان قد اشار الى الرواية الاولى.

ولعلي اميل الى أن اللغويين قد اكثروا من القول في هذه الروايات التي خرجت الى غير المشهور المعروف من قواعد النحو، ومن ذلك ذهابهم الى أنّ «أنْ» الناصبة وردت جازمة، واستدلوا عليها بقول امرئ القيس:

اذا ما ركبنا قال وِلدانُ أهلنا تعالوا الى أن يأتنا الصيد نَحطِبِ

وكأنـي أذهب الى أن هذا هو الأصل، واما الرواية التي أُثبِتت في الديوان[2] والتي جاءت سليمة، وإنّ «أنْ» فيها ناصبة:

«تعالوا الى أن يأتي الصيد نحطب»

فمن صنع صاحب الرواية الذي لا بد أن يكون قد اعمل فيها ما رآه ليبعدها عن الخروج والشذوذ.

ومما أورده السيوطي من نماذج الخروج والشذوذ ما ذكره في «لن» وانها جازمة في لغة بعض العرب[3]. وابن هشام[4]، والاشموني[5]، والشنقيطي[6] قد نقلوا عن اللحياني الجزم بها ايضاً، واستشهدوا بقول كثيّر:

«فلن يحلَ للعينين بعدكِ منظرُ»

والشاهد في رواية الديوان:

أيادي سَبَا يا عَزُّ ما كنتُ بعدكم فلم يحلَ للعينين بعدكِ منظرُ[7].

---

(١) لسان العرب «حقب» و«وغل»

(٢) ديوان امرئ القيس (ط. المعارف) ص ٣٨٩

(٣) همع الهوامع ٤/٢، والموفي في النحو الكوفي ص ١٢٠

(٤) المغني ٢٢١/١

(٥) شرح الاشموني ٢٧٨/٣

(٦) همع الهوامع ٤/٢

(٧) شرح ديوان كثيّر (ط. الجزائر) ٦٠/١

وهذه ايضاً الرواية في «اللسان» و«اساس البلاغة».

وقد عُرف «اللحياني» بنوادره التي شذت عن المألوف من سنن العربية، ومن ذلك قوله بمجيء النصب بـ«لم»، وهي لغة [1]

وقالوا: إنها لغة لبعض العرب، وعليها جاءت قراءة من قرأ: «ألم نشرحَ لك»[2]، وكذلك استدلوا عليها بقول الحارث بن المنذر الجرمي:

في أيِّ يومَيَّ من الموت أفِرْ   أيومَ لم يُقدَرَ أم يومَ قُدِرْ[3]

اقول:

وهل لنا ان نجعل هذه القراءة على شذوذها مادة لغوية ثانية، وفي القراءات الكثير من الغرائب؟

ولِمَ لا نقول في البيت: انه ورد كذلك، وان لغة الشعر او ما سُمّي بالضرورة قد اقتضى ذلك؟ وإن لم ينصَّ على هذا في الضرائر، والشاعر قبل ان يكون ممتحناً امرؤ جريء ذو سطوة يفرض بها لغته، والأمثلة كثيرة.

وليس لي أن أقول بقول صاحب «اللهجات العربية في التراث»[4]، وهو ان الفتحة في «نشرحَ» في القراءة جاءت اتباعاً لحركة الراء قبلها. ان هذا القول يذكرّ بأقوال النحاة في تخريجاتهم لما ورد بعيداً عن المألوف المشهور، وهو تمحّل وتزيّد. ثم قال صاحب «اللهجات» السيد علم الدين الجندي: «أو ان الحركة اتباع لحركة اللام بعدها، ثم ان الحاء من حروف الحلق، وهي تؤثر الفتح[5]».

أقول: وإعطاء الأصوات قوة تجعلها «تؤثر» الفتح أو غيره من اصوات اللين القصيرة لا يمت الى العلم اللغوي بصلة، وان فشا في الاستقراء، على أن ما يخالف هذا فاشٍ ايضاً، فأنت تجد: صعِدَ، كما تجد عَلِمَ، وأنت تجد «يَفْرُغ» في لغة التنزيل، وهي «يفرَغ» في اللغة التميميّة.

و«لم» في الشاهد أي قول الجرمي جازمة لا ناصبة، والامر لا يعدو أن الشاعر ألقى حركة همزة «أم» وهي فتحة على «راء» يقدر مراعاة لحبك النسق الصوتي[6].

أقول: كيف جاز للجندي ان يعزو هذا الدأب النحوي الذي لا يخلو من

---

(١) همع الهوامع ٢/ ٢٦

(٢) حاشية الصبان على الاشموني ٨/٤

(٣) المغنى ١/ ٢١٧

(٤) اللهجات العربية في التراث (المقدمة ي)

(٥) المصدر السابق

(٦) المصدر السابق

حذلقة الى شاعر جاهلي تقوده سليقته وطبعه بعيداً عن هذه التخريجات التي الصقها اللغويون بالعربية الجاهلية في سماحتها وسعتها !!

وليس لي أن أوافق الجندي الذي اتكأ على شيء مما ذكره ابن جني في «الخصائص»(1).

قلت: ان النحاة يثبتون شيئاً يفيدهم فيما ذهبوا اليه، ومن ذلك مثلاً قولهم بالتوهم مستدلين عليه بقول زهير بن أبي سلمى:

بدا ليَ أنيَ لست مدركَ ما مضى ... ولا سابقٍ شيئاً اذا كان جائيا(2)

بجر «سابق» على توهُم انها معطوفة على «مدرك» الذي من حقه الجر بالباء الزائدة، وهو خبر «ليس».

أقول: هذا من اختراع النحاة، ورواية الديوان (صنعة ثعلب): «ولا سابقاً» على الأصل في سماحته ووضوحه، وأين هذا «التوهّم» من طبع زهير الذي تجري لغته على أصلها الذي عرفته العربية؟

ثم ان القول باللغات القديمة تعتوره مشكلات اولها معرفة البقعة الجغرافية التي تفهم من قولهم: لغة الحجاز، ولغة تميم، ونحن نعرف أن «الحجاز» على حضريته لا يخلو من جيوب قبائلية، وان تميماً عرفت في أمكنة شاسعة مترامية الأطراف، وهل يعقل ان يكون ما ينسب اليها قد عرفته تميم في هذه المواطن؟

اذا كانت الحجاز حضرية، فأين هذه الحجاز؟ ومن الطبيعي ان يدخل في الحجاز الحواضر وهي مكة والمدينة والطائف، في حين نجد الاشارات اللغوية تعزو لأهل المدينة طريقة لغوية، وكذلك لأهل مكة واهل الطائف.

وأنت ترى ان الاشارة الى لغة قريش توحي الى انها غير لغة الحجاز، والذي نعرفه تاريخياً ان قريشاً في مكة، ومكة من حواضر الحجاز.

ثم ان بعض القبائل عرفت في نجد كما عُرف شيء منها في الحجاز، فكيف يتصدى الباحثون في عصرنا، فيعقد احدهم بحثاً في «لهجة تميم»، وآخر في لغة هذيل، وكأن تميماً ناحية معروفة في عصرنا في طوق الباحث ان يُلم بها درساً وتحليلاً كما يفعل المعاصرون في دراسة اللغات المحكية.

ان الجغرافيين العرب القدماء لم يفلحوا في مدِّنا بالعلم الجيد عن مساحة الحجاز، ومثل هذا قالوا في مواطن تميم.

ثم كيف لنا ان نقول في مواطن القبائل الاخرى، وهي متنقلة أبداً؟

انقول ان «هذيلاً» حضرية، وهي داخلة في الحجاز ام بدوية في المواطن

---

(1) الخصائص ٩٥/٣، وسر صناعة الاعراب ٨٥/١

(2) شرح ديوان زهير (صنعة ثعلب)، وكذلك الديوان برواية الأعلم.

النجدية؟ هذا من شأنه أن يقال في مواطن القبائل، فكيف نقول في نسبة «الشذرات» اللغوية وهي تتصل بكلمات بعينها؟ قال القالي في الأمالي»[1]:

لغة الحجاز ذأى يذأى، واهل نجد يقولون ذوى يذوي، واهل الكوفة ذويَ.

لقد اختلط في رواية القالي هذه ما هو حضري وما هو بدوي، فكيف نقول، والذي نعرفه ان الكوفة مواطن لقبائل عدة عدنانية وقحطانية؟

ثم نأتي الى شيء آخر يتصل بلغة قريش، فنجد اللغويين قد أجمعوا على أن لغة قريش افصح اللغات، فقد أثر عن الفرّاء قوله:

«كانت العرب تحضر الموسم في كل عام، وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصارت افصح العرب. وخلت لغتهم من مُستقبح اللغات ومُستبشع الالفاظ كالكشكشة والكسكسة والشنشنة[2]...»

وقال ابن فارس: «أخبرني ابو الحسن احمد بن محمد مولى بني هاشم بقزوين، قال: حدثنا ابو الحسن محمد بن عباس الحشكي، قال: حدثنا اسماعيل بن ابي عبيد الله قال: اجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالسهم، ان قريشاً أفصح العرب ألسنةً واصفاهم لغة، وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب، واختار منهم محمدًا»[3]. «فكانت وفود العرب من حجّاجها وغيرهم يفدون الى مكة، ويتحاكمون الى قريش، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها... إذا أتتهم الوفود تخيّروا من كلامهم واشعارهم أحسن لغاتهم وأسنى كلامهم، فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللغات الى سلائقهم التي طُبعوا عليها»[4].

أقول: هذا ما وصل الينا عن متقدمي اللغويين في لسان قريش وفصاحتهم، ولا أدري كيف جاز لنفر من المعاصرين ان يعتمدوا هذه الاقوال في دراساتهم، ذلك ان لغة قريش في ضوء هذه النقول شيء مصطنع، فهم اصحاب اختيار وانتقاء، وليست المسألة اللغوية التي طبع بها قوم أو شعب أو اي اجتماع بشري تقوم على الاختيار والانتقاء والاستحسان.

وعندي ان مرد هذا الموقف من لغة قريش لدى اولئك المتقدمين متأتٍ من إعظامهم لقريش لأنهم قوم النبي الكريم، فإعظامهم هو من اعظامهم للرسول الأمين. ومن هنا قالوا مقولتهم المشهورة من أن القرآن نزل بلغة قريش.

---

(١) المزهر ١/٢٢١

(٢) المصدر السابق

(٣) الصاحبي (باب القول في افصح العرب) ص ٣٣

(٤) المصدر السابق ص ٣٣

إن لغة قريش كما وصفوها لا يمكن ان تكون افصح اللغات، ذلك ان مجتمع قريش مجتمع من شأنه ان يستقبل فيه طوائف اخرى ليست من قريش بحكم انهم في مكة واليها يحج جمهور العرب، وان العرب يقصدون قريشاً في الموسم من اجل التجارة ومن اجل المشاورات والمذاكرات. وان مجتمعاً هذا شأنه لا بد ان تكون لغته عامة شاملة فيها الكثير من محاسن اللغات الاخرى ومساوئها، وقد نقف على اضطراب اللغويين في بعض ما أرسلوه من غير رويّة ولا تدبّر.

قال ثعلب في «أماليه»: «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوزان، وتضجّع قيس...»(1)

و«التضجّع» من العيوب، وهو شيء يشير الى اصل التضجّع وما يكون فيه من المدّ والمطّ..

ثم ان أي لغة يعرض لها الكثير من غيرها لا بد ان تحمل ضيم ما يوجد في غيرها، والدليل على هذا ما يلحظه اهل اللغة في عصرنا في لغات الحواضر الكبرى في العالم، فاللغة الانكليزية في عصرنا في لندن ونيويورك لا تملك صفاءها، ولا خواصها الصوتية الأصيلة، ولا نقاء معجمها الأصيل.

وكأن انحياز اللغويين الى لغة قريش واستحسانهم لها متأتٍ ايضاً من قول الرسول الكريم: «أنا افصح من نطق بالضاد، بيد اني من قريش».

أقول: ولاستحسانهم لقريش ذهبوا في شرح هذا الحديث الى ان معنى «بيد» فيه هو لأنني من قريش.

والذي وقفنا عليه في نصوص العربية ان «بيد» معناه «غير» واذا كان لها هذه الدلالة كما في النصوص يتوجّه شرح الحديث الى ما ذهبنا اليه من ان لغة قريش ليست افصح اللغات، وانه ـ صلوات الله عليه ـ قد ادرك هذا فأراد في قوله: أنا افصح من نطق بالعربية، وإن كنت من قريش، ولغتها كيت وكيت...

---

(1) الخصائص ٢/١١. أقول: ومن المفيد ان اشير الى ان هذا النص قد اورده السيوطي في «المزهر» ٢/٢١١ على النحو الآتي: «ارتفعت قريش... عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء وكسكسة ربيعة وكشكشة هوزان وتضجع قريش...». ونحن نلاحظ الخلاف في نسبة الكسكسة والكشكشة فكيف نطمئن الى مصادرنا، واين نضع وننسب كلاً من الكسكسة والكشكشة؟! وهذا دليل على ميل ابن فارس الى التقليل من شأن هذه اللغات وقد وصفها في «الصاحبي» باللغات المذمومة؟ واما في «التضجع» بين قيس وقريش، فالمؤكد ان الصواب هو قيس ولم يفطن الى ذلك محققو «المزهر».

وجاء في «درة الغواص» ص ١١٤:قال معاوية ذات يوم لجلسائه:من افصح الناس؟فقام رجل من السماط،فقال:قوم تباعدوا عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء وكشكشة ربيعة وكسكسة بكر،وليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير. فقال:من اولئك؟ قال:قومك يا امير المؤمنين.

وفي رواية للحديث: «أنا افصح من نطق بالضاد، بيد أني من قريش، ورُبِّيت في بادية بني ساعدة». وكأن هذه التكملة تؤيد وتسدّد ما ذهبنا اليه.

ولا بد ان نشير الى ان كثيراً من مواد اللغات الخاصة التي دخلت في «اللهجات» لدى المعاصرين، قدعُدّ من العيوب التي دخلت في «اللغات المذمومة»[1].

ان قول ثعلب الذي اشرنا اليه من ان لغة قريش قد ارتفعت عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء.... يشير الى هذا.

وقال الخليل: أفلطني لغة تميمية قبيحة[2]، والشهير فيها «أفلتني». وجاء فيها قول ساعدة بن جؤيّة وهو هذلي، وهذيل تدرج بين القبائل الغربية:

بأصدقِ بأس من خليلٍ ثمينةٍ وأمضى إذا ما أفلط القائمَ اليدُ

وبسبب من استحسانهم لغة قريش ذهبوا الى انتقاص لغات القبائل الاخرى، فراحوا يصفونها بصفات دنيا كقولهم: لغة رديئة[3] او لغة شنعاء[4]، وهُذَلية شاذة[5] او لغة ضعيفة[6] ورديئة او قليلة[7] او خبيثة[8].

ان التراث الذي يتصل باللغات مما ندعوها في عصرنا بـ«اللهجات» علم لا نستطيع بيسر ان نصنفه ونعزوه الى قبيلة بعينها. ولنا ان نقول ان في ذلك تراثاً لغوياً حضرياً يتصل بالحواضر، وتراثاً بدوياً يتصل بالتجمعات البدوية، وليس لنا ان نقول: ان هذا تميمي خالص، فكثيرمما ينسب الى تميم يكون لقيس وأسد في الوقت نفسه. وليس لنا ان نحمل ما يعزى الى الحجاز فنقول: انه حضري منقطع الحضارة، ذلك ان شيئاً ممّا هو حجازي قد يكون بدوياً.

ومن هنا ما نلحظ من تداخل بين ما هو حجازي اي غربي، وما هو تميمي اي شرقي. ومن هذا ما نقف عليه مما ورد في لغة التنزيل. لقد قالوا في قوله تعالى: «إن هذان لساحران» وهي قراءة ابي جعفر. وقد جاء فيها فيما ذكره ابو حيان.

الذي نختاره في تخريج هذه القراءة انها جاءت على لغة بعض العرب من

---

(١) الصاحبي «اللغات المذمومة» ص ٣٥

(٢) الصحاح «فلط»

(٣) أمالي ابن الشجري ٣٨١/١

(٤) لسان العرب ١٤٩/٣، ٢٢٧/٤

(٥) لسان العرب ٤٨٠/١٣

(٦) المصدر السابق ١٣٩/٢٠، ٢٧١

(٧) الكتاب ٢١/٢

(٨) شرح شافية ابن الحاجب ٢٤٧/٢.

اجراء المثنى بالألـف دائماً، وهي لغـة لكنانـة، حكـى ذلك ابـو الخطـاب، ولبني الحارث بن كعب، وخثعم، وزبيـد، وأهـل تلك الناحيـة حُكي ذلك عـن الكسائـي، ولبني العنبر، ومراد وعـذرة[1].

وجاء في «همع الهوامع»[2]: «ان التزام المثنّى بالالـف قد عـرف في كنانـة وبني الحارث بن كعب، وبنـي العنبـر، وبني الهجيـم. وبطون مـن ربيعـة، وبكـر بـن وائـل وزبيد، وخثعم، وهمدان، ومراد، وعـذرة».

أقول: وهل بعد هذا نستطيـع ان نطمئـن الى مـا دأب فيـه المعاصرون مـن امـر النسبة والعزو والتصنيف؟

وقد وردت هذه اللغة في الشعر كما في قول المتلمس:

فـأطرق إطراق الشجـاح ولو يرى   مسـاغـاً لنـابَيْهِ الشجـاعَ لصَمَّمـا

وانشده بعض المتأخرين مـن النحويين «النابـاه». قـال الازهـري: هكـذا انشده الفرّاء «الناباه» على اللغة القديمـة لبعض العرب[3].

ورواه الاصمعي «النابيه»[4].

قد يقال: ان جمهرة هذه القبائل يمنية قحطانية تقريباً، ولكننا نجد ان هذه المسألة اللغوية قد عرفتها ربيعة، وبكر بن وائل، وبني العنبر، وهؤلاء من تميم من القبائل العدنانية. او قل بحسب التصنيف المكاني ان جمهرة القسم الأول تجمعات غربية، في حين ان الآخرين تجمعات شرقية.

ونقف على مسألة اخرى هي ادغام نون «من» الجارة في لام التعريف، كما في قول كثيّر:

إذا وصَلَتنـا خلّة كي نُزيلهـا   أبَينـا وقلنـا الحـاجبيّـة أوّلُ
لهـا مهـل لا يُستطاع دِراكُهُ   وسابقةٌ مِلْحُـبٌ لا تتحـوّلُ

وقال المغيرة بن حَبناء:

إني امرؤٌ حنظليٌّ حين تنسُبُني   لا مِلْعَتيك ولا أخـواليَ العوقُ

وقال ابو صخر الهذليّ:

كـأنّهمـا مِلآن لـم يتغيّـرا   وقـد مـرَّ للدارين من بعدنـا عصرُ

---

(١) البحر المحيط ٦/٢٢٥، والنهر الماد ٦/٢٥٠

(٢) همع الهوامع ١/٤٠

(٣) الاصمعيات ص ٢٨٧

(٤) المصدر السابق

وانت ترى ان «كثيرا» من خزاعة، وهي قبيلة ازدية. في حين كان المغيرة من ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم كما في الشعر والشعراء ص١٥١.

ولي ان اقول: ان هذا الادغام لم نقف عليه الا في الشعر، فكأنه بعض اللوازم اللغوية في لغة الشعراء.

وللشعراء لغتهم فقد يستعملون فيها ما لا يتصل بلغة القبيلة التي ينتسبون اليها، ان الذي نعرفه ان هذيلاً كانت تحذف النون من الاسماء الموصولة كما يحذفون الياء من «الذي» ومن هذه الاخيرة قول الهذلي:

فكنت والامر الـذي قد كيـدا كاللَّذْ تزبَّى زُبيةً فاصطيدا(١)

ومن حذف النون ما ذكره الكسائي حيث قال: سمعت هذيلاً تقول: هم اللاؤو فعلوا كذا(٢) والأصل اللاؤون. من اصل ما ذكره ابن الشجري من قول الهذلي ايضًا:

«هم اللاؤون فكّوا الغل عني»(٣)

ونسب البغدادي حذف النون في الموصول الى بني الحارث بن كعب وبعض ربيعة، ومنه قول الاخطل:

هـم اللتا لـو ولـدت تميم لقيل فخرٌ لهُـمُ صميـم(٤)

وقوله ايضاً:

أبنـي كليبٍ إن عمّيَّ اللـذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا(٥)

وقول أمية بن الاسكر الكناني:

قومي اللذو بعكاظٍ طيّروا شرراً من روس قومك ضرباً بالمصاقيل(٦)

فأنت ترى ان الأخطل التغلبي قد استعمل ما هو معروف في لغة هذيل. واكثر من هذا ما جاء في قول الفرزدق المتقدم، وهو من تميم، وهو استعماله «اللذا» التي هي من خصائص لغة هذيل.

أقول: كأن للشاعر لغة خاصة لا تتصل ضرورة بقبيلته، وهو يأتي كل لغة يكون له فيها سعة.

(١) الخزانة ٤٩٨/٣، ولسان العرب ٣٤٢/١٠، وأمالي ابن الشجري ٣٠٥/٢

(٢) أمالي ابن الشجري ٣٠٨/٢

(٣) المصدر السابق

(٤) الخزانة ٥٠٣/٢

(٥) كتاب «ليس في كلام العرب» ص ٣٣٦

(٦) الخزانة ٥٠٣/٢.

وبعد، اليس من حق البصريين ان يذهبوا في هذه الابيات ونظائرها الى الضرورة؟ وقد عللوا هذا الحذف فقالوا خفف اسم الموصول لاستطالته بالصلة[1]. اما الكوفيون فذهبوا الى ان الحذف لغة، طالت الصلة ام لم تطل، حكاه عنهم ابن الشجرى في «اماليه»[2].

أقول: لو صح ان بيت الفرزدق قد حمل خطأ عليه، وان قائله الاخطل، لكان لنا ان نقول ان الاخطل من تغلب، ولغتها غير لغة هذيل، وليس من دليل ان هذه اللغة الهذلية هي لغة بني الحارث بن كعب، حتى يتسنى للاستاذ علم الجندي ان يقول: ان تغلب من ربيعة، وربيعة فيها تلك الظاهرة[3].

وقد وقع الاستاذ الجندي، فلجأ الى ما لجأ اليه البصريون فقال في بيت امية بن الأسكر المتقدم:

«اما اذا تكلم بها امية، وهو كما قال صاحب الاغاني ابن حُرثان في الاسكربن عبدالله بن سرابيل الموت بن زهرة.... بن كنانة بن مدركة.... بن الياس بن معز، فتكون في شعره ضرورة لانه لم ينصّ على ان قبيلته تختصر مثل هذا[4]

أقول: ثم كيف لا تكون هذه الظاهرة ضرورة في شعر الاخطل، وهي ضرورة في شعر امية؟

وعندي انها من لغة الشعر، وللشاعر اتساع في الاخذ والاستعمال. ولا ادري لِمَ طوى الجندي ما قيل من نسبة حذف النون في الموصول الى هذيل؟

على اننا نجد بعض المواد اللغوية مما تختلف فيها لغة الحجاز (الغربية) عن لغة تميم (الشرقية) اذا جاز لنا ان نقول ان تميماً كلها في الجانب الشرقي من الحجاز. ومن هذه المواد: ان اهل الحجاز يفتحون حرف المضارعة، وبنو تميم يكسرون، وقد عزا ابو حيان الفتح في قوله تعالى «نستعين» الى الحجاز[5]، وكذلك عزا السيرافي هذه الظاهرة[6].

وذهب الدارسون الى ان كسر حرف المضارعة لغة تميمية، والذي ورد في المصادر القديمة ان كسر همزة «إخال» من لغة هذيل[7]، وكذلك ذهب

---

(١) المصدر السابق ٤٩٩/٢

(٢) المصدر السابق

(٣) اللهجات العربية في التراث ص ٥٥٧

(٤) المصدر السابق ص ٥٥٨

(٥) البحر المحيط ٢٣/١-٢٤

(٦) شرح السيرافي ٣١٦/٥ (خط)

(٧) شرح الحماسة للمرزوقي ٨٤٥/٤

الطوسي [١] في حركة نون «نستعين».

وفي كتاب العين للخليل [٢]: ان لغة هذيل في «تَعرج» و«تَعكِف» الكسر، أي «تِعرج» و«تِعكف».

أقول: وامر عزو هذه الظواهر اللغوية مشكل في مصادرنا القديمة، فأنت تجد اقوالاً مختلفة فيها، وقد يختلف القول في المصدر الواحد، ومن ذلك ان المرزوقي في «شرحه» يعزو الكسر في همزة «إخال» الى قبيلة طيّء [٣]، وكان قد عزاها كما أشرنا الى هذيل.

وقد وافق التبريزي في «شرحه» المرزوقي في قوله الثاني [٤].

وأنت في هذا تخرج من ان مادة «اللغات» تراث فيه خلط كثير لا يمكن ان يصنف فتنسب مواده الى أصحابها، فالمصادر يناقض بعضها بعضاً، ثم ان النسبة قد تعزى لأكثر من قبيلة، بله الحجاز وتميم.

ومن هذا الخلط ما ورد في «خزانة الادب» في «أخال» المفتوحة الهمزة حيث نسبت الى قبيلة أسد [٥]، وأسد في كثير من مواد لغتها في سياق تميم التي تكسر حرف المضارعة، فتأمّل.

قلت: وقد تختلف لغة المجموعة الواحدة (شرقية او غربية) بين قبيلة واخرى. ومن هذا ان «الصدفين» [٦] بفتحتين لغة اهل الحجاز، وبضمتين لغة قريش [٧]، وانت تسأل أين قريش؟ اليست هي من الحجاز؟!

وتختلف لغات الجانب الشرقي عن لغات الجانب الغربي، واشهر ما يكون هذا في ان تميماً وبعضاً من القبائل في الجانب الشرقي يشيع فيهم النبر، وقريش وأهل الحجاز عامة لا ينبرون.

على اننا لا بد أن نلاحظ ان قبائل الجانب الشرقي قد اختلفوا، فاذا كانت تميم تنبر فان قبيلة قيس وقبيلة أسد لا ينبرون [٨]. قال الطبري في قوله تعالى «ترجئ من تشاء» [٩]: «الهمز من كلام بعض قيس، وترك الهمز من لغة تميم وأسد».

---

(١) البحر المحيط ١/٢٣-٢٤

(٢) كتاب العين (عرج، عكف)

(٣) شرح الحماسة ١/٤٤٨

(٤) شرح الحماسة للتبريزي ١/٢٤٢

(٥) خزانة الأدب ٤/١١

(٦) ١٦ سورة الكهف

(٧) اتحاف فضلاء البشر ص ٣٩٥

(٨) المصدر السابق ص ٥٩

(٩) ١٠٦ سورة التوبة، وكذلك قوله تعالى: «تُرجئ من تشاء» ٥١ سورة الاحزاب

وأنت تجد الاختلاف وعدم الوضوح في التدقيق في مسألة النبر ونسبتها الى اصحابها، فبينا وجدنا صاحب «الإتحاف» يشير الى ان الهمز في قوله تعالى: «وآخرون مرجئون لأمر الله»(١) من لغة تميم، رأينا الطبري ينفي الهمز عن لغة تميم في آية اخرى.

ومن هنا نجد ان افراد المجموعة الشرقية من القبائل يختلفون فيما بينهم، فالاختلاف واقع بين تميم وقيس مثلاً، وبين لغة أسد وتميم، وبين تميم وبكر، وبين نجد وأسد. على ان هذا الاختلاف قد قيد بألفاظ ذكرت في المصادر اللغوية وكتب القراءات ولا نستطيع ان نفهم من ذلك ان غير هذه الالفاظ مما ورد على ابنيتها قد تكون نظائرها في هذا الذي اختلفت فيه لغة عن لغة اخرى، فاذا قيل ان «الرفقة» بضم الراء والجمع «رِفاق» في لغة تميم، وانها مكسورة الراء، والجمع «رِفَق» في لغة قيس(٢)، فلا يمكن ان نقيس على هذا «صُحبة» و«طُرفة» وغيرهما.

وهل لنا ان نقول: ان «تُذْنوب» بالضم ونسبها الفراء الى بني أسد، في حين ان التميمي يقول: تَذنوب بالفتح، اقول: هل لنا ان نحمل على هذا كل ما ورد على «تفعول»؟

ونحن نخرج من هذا الحشد الذي وجدناه في مصادرنا غير مطمئنين الى قوة هذا العلم والى سعته، وامر نسبته الى اصحابه.

لقد اشرت الى ان هذه مخلفات لغوية لا يمكن ان تكون مادة دراسة منهجية تخضع للتصنيف الدقيق.

وكثيراً ما وجدنا ان تميماً وقيساً تتفقان في مسألة خالفا فيها لغة اهل الحجاز، ومن ذلك كلمة «الهَدْي» وهو ما يهدى الى الحرم من النعم. فهو يخفف بلغة اهل الحجاز، ويثقل بلغة تميم وسفلى قيس(٣).

ومنه «الوتر» من قوله تعالى: «والشفع والوتر» بالفتح وهي لغة اهل الحجاز، وبالكسر في لغة تميم وأسد وقيس(٤)

ولو اردت الاتساع في هذا لجئت بالشيء الكثير.

وكنت اشرت الى ان كثيراً مما يدخل في مواد اختلاف اللغات بين القبائل كان مما يتجاهله أهل اللغة فينبزونه ويقللون من شأنه، ومن هذا ما اتصل بمواد «الابدال»، فقد قالوا ان قبيلة هذيل تبدل العين من الحاء، ومنه «حتى» تكون في لغتهم «عتّى». وحكاية عمر – رضي الله عنه – في هذا معروفة، فقد سمع احدهم

---

(١) لسان العرب ٣٧٦/١ (ذنب)

(٢) المصدر السابق (هدي)

(٣) أمالي القالي ١٣/١

يقرأ: «وليسجنن عتى حين»(١) فسأله عمن اخذ قراءته منه، فقال: أقرانيهـا عبداللـه بن مسعود، فلم يكن من عمر الا ان كتب الى ابي موسى الأشعري عامله على الكوفة يطلب اليه ان يكف عبدالله بن مسعود عن قراءته هذه، وقد جرى فيها على لغة هذيل، وليقرئ الناس بلغة قريش[٢].

ولو اننا قرأنا بلغة تميم قوله تعالى «وحَسُن اولئك رفيقًا»[٣] لكان علينا ان نسكن السين في «حسن» وهي لغتهم، ولم يكتب لمن قرأ بهذه اللغة ان تشيع قراءته[٤].

ومثل هذه القراءة من قرأ «وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبَتْ»[٥] باسكان الحاء في «رَحْبَت» على لغة تميم[٦].

اقول: وهذا يعني ان نصيب لغة الحجاز في لغة التنزيل قدر وافر، ولعل من هنا ساغ لبعضهم أن يقول: انزل القرآن بلغة قريش[٧]؟ وحقيقة الأمر ان في القرآن لغات عدة غير لغة قريش، وقد أشار السيوطي في «الاتقان» الى ما ورد في القرآن من لغات العرب.

وأراني بعد هذا العرض أخلص الى ان ما دعاه المعاصرون بـ«اللهجات» ليس مادة علم قويم ينتهي فيه الدارس الى القول الفصل، ولذلك نراهم يستخلصون فيه اقوالاً غير سديدة، ومن هذا ما قاله الجندي في بعض ما أثر عن لغة تميم: ان تميماً تكسر فاء «فعيل» اذا كان حلقي العين فتقول: «بِعير»، وقد قرئ «بِهيمة الانعام»[٨].

قال الاستاذ علم الدين: «ان الانسجام من طبع البدوي، لأنه يميل بطبعه الى الاقتصاد في المجهود عند نطقه، فاذا نطق «بهيمة» بالكسر عمل اللسان من وجه واحد، وهو الكسر، بعكس «بَهيمة»، فان فيها مشقة، لان اللسان ينتقل من الفتح الى الكسر»[٩].

أقول: من اين لك هذا العلم، ألم يقل استاذك الدكتور أنيس ان الفتح

---

(١) ٣٥ سورة يوسف

(٢) كنز العمال ٢٨٤/١

(٣) ٦٩ سورة النساء

(٤) البحر المحيط ٢٨٩/٣

(٥) ٢٥ سور التوبة

(٦) انظر شواذ سورة التوبة في «البديع» لابن خالويه.

(٧) شرح السيرافي ١٢٦/٢ (مخطوط التيمورية)

(٨) ١ سورة الانعام، وانظر البحر المحيط ٤٠٩/٢

(٩) اللهجات في التراث ص ٧٢

خفيف وفي نقلة اقتصاد بالمجهود العضلي؟!

وقال الجندي في موضع آخر في قراءة من قرأ «الاّ من اغترف غرفة بيده»[1] بفتح الغين من «غرفة»[2]:

ان قبيلة تميم تميل الى انسجام الأصوات، ففتح الغين مع فتح الفاء يجعل اللسان يعمل في طريق منسجم بعكس لغة الحجاز التي لا تميل الى الانسجام، ولذلك قرأوا بالضم «غُرفة»، لأن اللسان ينتقل من الضم الى الفتح.

وقرأ ابو عمرو بالفتح لانه تميمي!!

أقول: لا أعرف «الانسجام» الذي ذهب اليه الاستاذ الجندي، ولا أعرف عدم ميل الحجازيين الى الانسجام، هذا علم غريب يبرأ منه علم الأصوات في عصرنا.

ان الدليل على اضطراب ما ذهب اليه الجندي ما قاله في «قرح» من قوله تعالى: «ان يمسكم قَرح»[3] والفتح لغة اهل الحجاز، وقرأ آخرون بضم القاف والضم لغة تميم، فكيف صار الضم لغة البدوي الذي يميل الى الخفة والانسجام!

كلمة اخيرة:

هذه نبذة يسيرة بين يدي هذا الباب الواسع الذي يقوم على «اللغات» القديمة في العربية التي لم يبق منها إلاّ شذرات تتصل بالأصوات واخرى مما ندعوه الدلالة المعجمية.

---

(١) ٢٤٩ سورة البقرة

(٢) البحر المحيط ٢/٢٦٥

(٣) ١٤٠ سورة آل عمران

لغة الحجاز

لعلّ أول ما يصادفه الدارسون للنحو القديم قول النحاة: «على لغة أهل الحجاز»، وهم في هذا يقابلون هذه اللغة بلغة أخرى أطلقوا عليها «لغة تميم».

وقد عرفنا ان «تميماً» هذه في قول النحاة تشمل مجتمعاً كبيراً يتفسح في مساحات واسعة في شرقي بلاد العرب صاعداً الى الشمال ومنحدراً الى الجنوب. وقد تنضم الى هذا المجتمع تجمعات قبائل أخرى شرقية كقيس وأسد وغيرهما، وهي في اصطلاح اللغويين والنحاة تضم نجداً أيضاً.

وكنا قد أسلفنا القول في هذه التقسيمات الجغرافية والبشرية.

وإذا كان لنا أن نبدأ الكلام على لغة الحجاز، فعلينا ان نعرف «الحجاز» وما يشتمل عليه. وليس لنا إلاّ أن نرجع الى مفهوم الحجاز لدى البلدانيين العرب.

قال عرّام: «حدّ الحجاز من معدن النقرة الى المدينة، فنصف المدينة حجازيّ، ونصفها تهاميّ»(١).

وقال المدائني: «جزيرة العرب تشتمل على خمسة أقسام: تهامة، ونجد، والحجاز، والعروض، واليمن» (٢).

وزاد ابن حوقل في اقسامها بادية العراق وبادية الجزيرة فيما بين دجلة والفرات، وبادية الشام(٣).

وأما الهمداني في «صفة جزيرة العرب» (٤) فقد قال: «هي عند أهل اليمن يمن وشام، فجنوبها اليمن، وشمالها الشام ونجد وتهامة».

وقال الخليل: سمي الحجاز حجازاً لأنه فصل بين الغور والشام وبين البادية(٥).

وقال الزبير بن بكار: سألت سليمان بن عياش السعدي، لِمَ سُمّيَ الحجاز

---

(١) كتاب أسماء جبال تهامة لعرّام السلمي ص ٢٤

(٢) سبائك الذهب للبغدادي ص ٨

(٣) المسالك والممالك

(٤) صفة جزيرة العرب ص ٥

(٥) معجم البلدان (حجاز)

حجازاً، فقال: لأنه حجز بين تهامة ونجد. قلت: فما حدّ الحجاز؟ قال: الحجاز ما بين بئر أبي بكر بن عبدالله بالشقرة وبين أثاية العرج، فما وراء الأثاية من تهامة[1]؛

وقال الأزهري: سُمِّيَ حجازاً، لأن الحرار حجزت بينه وبين عالية نجد[2].

وقال الأصمعي: الحجاز ما احتجزت به الحرار، حرّة شَوران، وحرّة ليلى، وحرّة واقم، وحرّة النار، وعامة منازل بني سليم الى المدينة، فذلك الشقّ كله حجاز[3].

ونقل ابن دريد قال: إنما سُمِّيَ حجازاً لأنه حجز بين نجد والسراة[4].

وقال عمارة بن عقيل: ما سال من حرّة بني سليم وحرّة ليلى فهو الغور، حتى يقطعه البحر، وما سال من ذات عِرق مغرباً فهو الحجاز الى أن تقطعه تهامة، وهو حجاز أسود قطع بين نجد وتهامة[5].

ومن مدن الحجاز أمّ القرى وهي مكّة وسكانها من قُرَيش البطاح والظواهر، والمدينة، ومن مدن الحجاز وقراه جدّه، والحجر وخيبر والطائف[6].

ويخلص جواد علي من المعاصرين الى القول:

ويسمى القسم الشمالي من الحجاز أرض مدين وحِسْمَى. وتطلق حِسْمَى على سلسلة جبلية تتجه من الشمال الى الجنوب، حيث تجوس خلالهما أوردية محصورة بين التيه وأبلة من جهة، وأرض بني عذرة من ظهر حرّة ثهيل من جهة أخرى. وكانت قبائل جزام تسكن هذه المناطق في الجاهلية[7].

ونقل كحالة فقال: قال محمد صادق: إن ولاية الحجاز واقعة بين نجد وتهامة، ومحدودة من الجنوب ببلاد عسير، ومن الشرق بصحراء نجد، ومن الشمال بسورية، ومن الغرب بالبحر الأحمر[8].

ونقل أيضاً: قال الأستاذ العبادي: الحجاز يمتد من رأس خليج العقبة الى حدود اليمن إذا اعتبرنا عسير داخلة فيه[9].

---

(١) معجم ما استعجم ١١/١

(٢) لسان العرب (حجز)

(٣) معجم البلدان (حجاز)

(٤) المصدر السابق

(٥) المصدر السابق

(٦) نهاية الارب للقلقشندي ص ٣٩٨، وصبح الأعشى ٣٥١/١

(٧) تاريخ العرب قبل الاسلام ١٢٨/١

(٨) جغرافية شبه جزيرة العرب ص ١١٠

(٩) المصدر السابق ص ١١٨

ولعل هذا العرض الوافي لأقوال الأقدمين في الكلام على الحجاز، لا يزود الباحث في عصرنا بالحقيقة الجغرافية القديمة التي تشير اليها أقوال اللغويين والنحاة الأقدمين. ولا أدري كيف انتهي الدكتور جواد علي، من المعاصرين، في ضبط حدّ الحجاز في عصور ما قبل الإسلام.

وإذا كان هذا ما انتهى الينا من الغموض والإبهام في الحقيقة البلدانية للحجاز، فكيف بنا ننتهي الى ضبط لغة الحجاز القديمة ونحن لا نملك إلاّ موادَّ لغوية متناثرة نسبت الى أهل الحجاز نسبة لا توحي بالثقة التامة؟

قال أبو عمرو بن العلاء: ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقلّه، ولو جاءكم وافراً لجاء علم وشعر كثير[١].

وقال ابن فارس: لغة العرب لم تنته الينا بكلّيتها، وإن الذي جاءنا من العرب قليل من كثير. وإن كثيراً من الكلام ذهب أهله[٢].

أقول: إذا كان هذا فكيف يدّعي الباحثون الجدد أنهم يرسمون لغات العرب القديمة، فهذا يبحث في لغة تميم، وآخر في لغة هذيل، وهكذا جرت محاولات لرسم لغات القبائل؟ ولكنك لو فحصتها لم تجد إلا مخلّفات لغويّة خاصة بهذه القبيلة، وقد تشركها قبيلة أخرى[٣].

ومن أجل هذا ليس لنا أن ندّعي أننا نضع شيئاً جيداً وافياً بالأغراض العلميّة في لغة أهل الحجاز. وإذا كان هذا فليس لنا إلاّ أن نثبّت هذه البقايا اللغوية في المصادر اللغوية والنحوية مما نصّ على أنها لغة الحجاز.

ومن المفيد أن نشير الى ان حضور لغة الحجاز في هذه المصادر يأتي مصاحباً للغة بني تميم، وكأن بين الحجاز وتميم مقابلة لغوية تاريخية[٤].

ولكنك تجد ما ينقض هذه المقابلة لدى شاعر من الشعراء، فهذا الفرزدق

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٣

(٢) الصاحبي ص ٥٨

(٣) جاء في كتب النحو ان من لغة بلحارث بن كعب، وهي يمنية، حذف نون «اللذان» و«اللتان»، ونجد الشاهد في هذا قول الأخطل التغلبي:

«هُمُ اللّتا لو ولَدَتْ تميم»

ولم يجر الأخطل على هذه اللغة لان قبيلته تغلباً يمنية الأصل، ولكنه التزمها في هذا الرجز، ولم يلتزمها في كل بيت من شعره جاءت فيه «اللذان» أو «اللتان»، ومعنى هذا ان الشاعر يختار من لغات العربية ما وافق الوزن.

(٤) أهل الحجاز يعملون «ما» رفعاً ونصباً، وكذلك نجد تعملها، وبنو تميم يهملونها. انظر الكتاب ٢٨/١

يعمل «ما» النافية رفعاً ونصباً، وهو من تميم، وتميم تهمل «ما»، قال الفرزدق:

فما أحدٌ من قيس عيلان فاخراً[1]

وقال أيضاً:

فما المرء منفوعاً بتجريب واعظ[2]

ولو أنه قال: «فاخر» و«منفوع» لجرى على لغة قومه، واستقام الوزن أيضاً. وهذا عمر بن أبي ربيعة يقول:

ما روضة جاد لها وابلٌ مولِيّة ما حولها جَدْبُ[3]

وعمر حجازي، وقد أهمل إعمال «ما»، وأهل الحجاز يعملونها.

ولو أنك نظرت الى «الإمالة» وعدمها، وهي من المواد اللغوية لعلمت ان «الإمالة» وعكسها «الفتح» لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة أهل نجد من تميم وقيس وأسد[4].

وقد نقف على خصوصيات في هذه النسبة فنجد السيوطي يعزو الإمالة الى أهل الحجاز، وقال أيضاً: كما ثبت بالسماع أن أهل الحجاز يميلون الألف للكسرة[5].

وجاء في «أسرار العربية» للانباري: والإمالة تختص بلغة أهل الحجاز ومن جاورهم من بني تميم[6].

وقد جاء في «الكتاب» ما ينفي هذه النسبة، وذلك في قول سيبويه: «ان الإمالة لغة أهل الحجاز»[7].

وكأن السيرافي قد أدرك أن نسبة الإمالة الى قوم بأعيانهم غير سديدة فقال: «اعلم أنه ليس كل من أمال الألف وافق غيره من العرب ممّن يميل، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه، فينصب بعض ما يميل صاحبه، ويميل

---

(١) ديوان الفرزدق

(٢) ديوان الفرزدق

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة

(٤) ابراز المعالي لأبي شامة ص ١٥٢

(٥) همع الهوامع ٢/٢٠٠ ـ ٢٠١

(٦) اسرار العربية (ط. دمشق) ص ٤٠٦

(٧) الكتاب ٢/٢٦١

بعض ما ينصب صاحبه. وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب، ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأول في الكسر، فاذا رأيت عربياً كذلك فلا ترينه خلط في لغته، وكذلك هذا من أمرهم»[1].

وقالوا: ان أهل الحجاز يفتحون حرف المضارعة فقرئ بلغتهم «نَستعين»[2]. أقول: ولو كان التقسيم للعربية على أساس الكتلتين غربية وشرقية كما فعل علم الدين الجندي في رسالته «اللهجات العربية في التراث ص ٤٦-٤٩»، لما رأينا قبيلة هذيل، وهي غربية، تكسر حرف المضارعة فتخالف بذلك لغة أهل الحجاز[3].

ولا نعلم كيف تعد «قريش» مخالفة لأهل الحجاز، وكيف يستقيم لنا التقسيم الجغرافي؟ ان المعروف ان قريشاً هم أهل مكة وما جاورها، ومكة من حواضر الحجاز. ان هذا يشير الى أن الفصل في اللغات القديمة التي دعاها المعاصرون «لهجات» أمر صعب.

جاء في «إتحاف فضلاء البشر»[4] في قوله تعالى: «حتى اذا ساوى بين الصَّدَفَيْنِ»[5] ان في لغة قريش «الصدفين» بضمتين، وهي بفتحتين في لغة أهل الحجاز.

ونحن في هذا السبيل الصعب من أمر عزو اللغات القديمة الى أصحابها حين نجد أن الخلاف يحصل بين أهل القبيلة الواحدة.

---

(١) شرح السيرافي (مخطوط التيمورية) ٣٤١/٥

أقول: ويؤيد قول السيرافي هذا اختلاف تميم ومن جاورها من أصحاب العربية في شرق شبه الجزيرة. قال أبو زيد: تميم تقول: سماء البيت، وقيس تقول: سماوة البيت. النوادر ٢٥٣ وجاء في «المصباح المنير» ٣٥٩/١: لغة تميم «الرُّفقة» بالضم، والجمع «رِفاق»، وبكسرها في لغة قيس، والجمع «رِفَق»

و«الضبع» بضم الباء في لغة قيس، وبسكونها في لغة تميم. انظر: المصباح المنير ٥٤٥/٢، والخزانة ٣٦٩/٢. وانت تجد من هذا الخلاف بين تميم وقيس، وكلاهما من شرق شبه الجزيرة، الشيء الكثير الذي استوفاه علم الدين الجندي في كتابه «اللهجات العربية في التراث ص ٤٦-٤٧، وكذلك الخلاف بين أسد وتميم، وبين تميم وبكر، وبين نجد وأسد، المصدر السابق ص ٤٩

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ص ٢٣/١-٢٤

(٣) المصدر السابق. قرأت هذيل «نِستعين» بكسر النون

(٤) إتحاف فضلاء البشر ص ٣٩٥

(٥) ٩٦ سورة الكهف

ومن هذا: «لَمَق» الشيءَ أي كَتَبَه، في لغة عُقَيل، وسائر قيس يقولون: لَمَقَه أي محاه[1].

ومن المعلوم أن «عُقَيلا» من قيس كما في كتب الأنساب.

وقد نقف على «اللغات» الخاصة غير منسوبة الى أصحابها. جاء في شرح السيرافي[2]: ان قوماً من ربيعة يقولون «منهِم» بكسر الهاء في «منهُم»، قال سيبويه أتبعوها الكسرة، ولم يكن المسكّن حاجزاً حصيناً عندهم[3]. كما ان ناساً من بكر بن وائل يكسرون الكاف في «منكِم» و«أحلامِكِم»، فبعضهم ضمّ وبعضهم كسَرَ[4].

ومما وقفت عليه مما نسب الى الحجاز، وهو كثير، ومنه:

الهَدْي، وهو ما يهدى الى الحرم من النعم، وهو مخفف بلغة أهل الحجاز، ويُثقّل «الهَدِيّ» بلغة تميم وسفلى قيس[5].

و«الوِكاف» بالواو للحمار وهو معروف في لغة أهل الحجاز، وهو «الإكاف» في لغة تميم، كذا ورد في «نوادر اليزيدي»[6].

أقول: ولكني أشك ان يكون «الوِعاء» «إعاءً» في لغة تميم[7]. وإذا كانت العلة صوتية، وهي ان تميمياً لا تسيغ الكسر مع الواو، كان ذلك سبباً أيضاً في إبدال الواو المكسورة في طائفة من المصادر على «فِعال» همزة كالوصال والوئام والوفاق.

ومن هذه الخلافات: ما كان مفتوح الاول نحو «قَرْح» في قوله تعالى: «إن يمسسكم قَرْح»[8] في لغة أهل الحجاز، وهي «قُرْح» بالضم في لغة تميم[9].

وعلى العكس من هذا كلمة «غَرفة» في قوله تعالى: «إلاّ من اغترَفَ غَرْفةً بيده»[10] وهي في لغة تميم، في حين قرأ أهل الحجاز «غُرفة» بالضم[11].

---

(١) لسان العرب «لمق»

(٢) شرح السيرافي ٤٦٢/٥

(٣) الكتاب ٢١٤/٢

(٤) شرح السيرافي ٤٦٣/٥

(٥) لسان العرب (هدي)

(٦) المزهر ٢٧٧/٢

(٧) انظر لسان العرب (وعي)

(٨) ١٤٠ سورة آل عمران

(٩) كتاب اللغات في القرآن (ط. الرسالة) ص ٢٣

(١٠) ٢٤٩ سورة البقرة

(١١) البحر المحيط ٢٦٥/٢

[redacted] وقفنا [redacted] الاختلاف في [redacted] والضم في [redacted] آيتين، ولم [redacted] يكن الفتح خاصاً بجهة، ولا الضم خاصاً بالجهة الأخرى، وانما الأمر يتعلّق بالكلمة.

غير ان الباحثين المعاصرين مدفوعون الى النظر الى ما رسموه بادئ ذي بدء من ان «اللغات» التي اختلف فيها أهل الحجاز عن غيرهم من القبائل في قراءاتهم مواد تدخل في بناء ما دعوه «اللهجات»، ومن هنا فهم لا بد أن ينسقوها في نسق ومنهج يتصل بالحجاز مثلاً، وبتميم مثلاً.

قال علم الدين الجندي[1] معلقاً على «غَرفة» بالفتح في قوله تعالى: «إلاّ مَن اغترَفَ غَرفة بيده» «ان قبيلة تميم تميل الى انسجام الأصوات ففتح الغين مع فتح الفاء تجعل اللسان يعمل في طريق منسجم، بعكس الحجاز وهي التي لا تميل الى الإنسجام، ولذلك قرأوا بها بالضم لأن اللسان ينتقل من الضم الى الفتح، وقرأ أبو عمرو بالفتح لأنه تميمي».

أقول: وقوله هذا في محاولة من اسباغ هذا الفضول الصوتي على المسألة يزول اذا عورض بمسألة «قَرْح» في قوله تعالى: «إن يمسسكم قَرْح...» التي وردت بالفتح على لغة أهل الحجاز في حين قرأ التميميون بالضم، وهذا عكس ما اجتهد في جعله نظاماً، وهو «ميل تميم الى الإنسجام في الأصوات» كما قال.

وقد ذهب الجندي الى هذا «الانسجام البدوي» الذي «يميل البدوي بطبعه الى الاقتصاد في المجهود عند نطقه فنطق «بِهيمة» في قوله تعالى «بهيمة الانعام»[2] بكسر الباء. وتميم تكسر فاء «فِعيل» اذا كان حلقي العين فتقول «بِعير»[3]. وعند الجندي: ان «بهيمة» بفتح الباء فيها مشقة لأن اللسان ينتقل من الفتح الى الكسر!! أقول: كأن علم الأصوات لدى الجندي وجماعة من الأساتيذ وعلى رأسهم ابراهيم أنيس ـ رحمه الله ـ مسائل تخص ألفاظاً، حتى اذا كان الشيء نفسه في كلمة أخرى لا يكون لأقوالهم أثر. ومن هذه الغرائب لدى الجندي قوله:

الرُفقة بالضم لغة تميم، وقيس تكسرها. والبدوي يميل الى الضم لأنه «مستمد من سمات الخشونة البدوية، وان الكسر يجنح اليه الحضر وهو سمة من سمات الرقة، ولهذا رجّح (أي الجندي) أن الذين آثروا الكسر هم القبائل المتحضرة من قيس التي كانت تجاور الحجاز لا جميع قيس، وفيها العمائر والبطون والفصائل»[4].

---

(١) اللهجات في التراث ص ٨٨

(٢) ١ سورة الانعام

(٣) البحر المحيط ١٨/٢

(٤) اللهجات في التراث... ص ٧٣، وانظر شرح السيرافي ١٢٦/٢

[redacted]

أقول: وهذا هو الخبط والتخبص الذي وقع فيه الجندي، الذي أطلق في علم الأصوات زيادات لا يعرفها العلم الجيد، ولم يقل بشيء منها أهل العلم في عصرنا.

ومما جُعل من لغة الحجاز بناء «فَعالِ» على الكسر، وهي معربة إعراب ما لا يتصرف في لغة تميم[1].

وجاء في حكم «ما» النافية ما روي من قول عبدالله بن مسعود: «ما على الأرض شيء أحقُّ بطول سجنٍ «من لسانٍ» ،رُوِيَ بالنصب والرفع، والنصب لغة أهل الحجاز، وبلغتهم قرئ «ما هذا بشراً»، والضم لغة تميم[2].

وقد جاءت «هؤلاء» بالمد في لغة أهل الحجاز، وبالقصر لغة تميم[3]. وذكر هذا الفرّاء في كتابه «لغات القرآن» ولم يخصه بتميم[4].

وقرئ: «والشَفع والوَتْر» بالفتح «الوِتر»، وهي لغة أهل الحجاز، وبالكسر في لغة تميم وأسد وقيس[5].

وقال الفرّاء: كل جمع كانت واحدته بالهاء، فجمعه بطرح الهاء فإن أهل الحجاز يؤنثونه، وربما ذكّروا، والأغلب عليهم التأنيث، وأهل نجد يذكّرون ذلك وربّما أنّثوا، والأغلب عليهم التذكير[6].

وجاء في «المزهر»[7]: ومن نوادر يونس: أهل الحجاز يقولون خمس عشرة، خفيفة، لا يحرّكون الشين، وتميم تثقّل[8].

وأهل الحجاز يقولون: «يبطِش» بالكسر، وتميم تقول: «يبطش».

ويقول الحجازيون: «جونة» وتميم تهمز «جؤنة».

ويقول الحجازيون: «القنية»، وتميم يقولون «القنوة».

ويقول الحجازيون: «لاتَه عن وجهه»، وتميم يقولون: «ألاته»[9].

ويقول الحجازيون: بَرَأْتُ من المرض، ويقول التميمي: بَرِئت[10].

---

(١) شرح السيرافي ٣٤٨/٤، خزانة الأدب ٣٤٩/١

(٢) مجمع الامثال ٢٦٠/٢، خزانة الأدب ١٣٠/٢-١٣٥

(٣) شذور الذهب ١٤٧/١، وجاء في الحاشية: لغة تميم وقيس وأسد وربيعة.

(٤) التصريح على التوضيح ٢٨/١

(٥) أمالي القالي ١٣/١

(٦) المذكر والمؤنث (ط. حلب) ص ٣٠

(٧) المزهر ٢٧٥/٢

(٨) لعل هذا ينقض مسألة «الانسجام البدوي» الذي هُرع إليه علم الدين الجندي، وقد كنا أشرنا الى هذا.

(٩) المزهر ٢٧٥/٢

(١٠) المصدر السابق ٢٧٦/٢

ويقول الحجازيون: هي التمر، وهي البُرّ، وهي الشعير، وهي الذهب، وهي البئر، وتميم تذكّر هذا كله[1].

ويقول الحجازيون: لعمري، وتميم تقول: رَعَملي [2].

ويقول الحجازيون: أوتد الوتد إيتاداً، وتميم تقول: وتدته وَتْداً [3].

ويقول الحجازيون: إسوة، بالكسر، وتميم تقول: أسوة، بالضم [4].

والحجازيون يؤنثون «الصراط» وتميم يضمونه [5].

وقرأ أهل الحجاز «أأنذرتهم» [6] فلا يجمعون بين الهمزتين للتخفيف فيدخلون ألفاً، وتميم تخفف [7].

و«الزوج» مؤنثة لغة أهل الحجاز، وبنو تميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون «زوجة»[8].

وجاء في سورة البقرة (الآية ٤٠): وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم» على لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون: «وفيتُ»[9].

وقرأ أهل الحجاز: «فانفَجَرَت منه اثنتا عشرة عيناً»[10] باسكان الشين، وبكسرها في لغة تميم[11].

وقرأ أهل الحجاز: «وقفّينا من بعده بالرُسْل»[12] باسكان السين، وبنو تميم قرأوا بالتحريك[13].

وجاء في الكلام على قوله تعالى: «... خزي في الحياة الدنيا»[14] ان «الدنيا» مؤنثة مقصورة، تكتب بالألف، وهي لغة نجد وتميم خاصة، وأهل الحجاز وبنو

---

(١) المصدر السابق ٢/٢٧٧

(٢) المصدر السابق

(٣) الاشتقاق (ط وستنفلد) ص ٦٨، وأدب الكاتب ٢٨٨

(٤) المزهر ٢/٢٧٦-٢٧٧

(٥) البحر المحيط ١/٢٥

(٦) ٦ سورة البقرة

(٧) البحر المحيط ١/٥٤٧

(٨) البحر المحيط ١/١٠٩

(٩) المصدر السابق ١/١٧٢

(١٠) ٦٠ سورة البقرة

(١١) البحر المحيط ١/٢١٨-٢١٩

(١٢) ٨٧ سورة البقرة

(١٣) البحر المحيط ١/٢٩٩

(١٤) ٨٥ سورة البقرة

أسد يلحقونها هي ونظائرها بالمصادر ذوات الواو، فيقولون: «دَنْوَى»[١].

وقرأ أهل الحجاز: «هل عسِيتم أن تولَّيتم»[٢] بكسر السين[٣].

وقرأ أهل الحجاز: «وحَسُن اولئك رفيقاً»[٤] بضم السين، وبنو تميم باسكانها[٥].

وكأن الحفاظ على حركة الاعراب في الكلمة اعرف وأُصرح في لغة الحجاز، وذلك لأن في لغة تميم عرف ذلك، وقرئ بها «وبعولتهن احق بردِهِنّ»[٦] باسكان التاء في «بعولة» وبها قرأ مسلمة بن محارب[٧].

ومن هذا قراءة بعضهم «وما يُشعرْكم...»[٨]، وقوله تعالى: «ويُعلِّمْهم الكتاب»[٩] باسكان الراء واسكان الميم وذكر ابو عمرو ان ذلك في لغة تميم، وأهل الحجاز يظهرون الإعراب[١٠].

وقال علم الدين الجندي في تفسير هذه الظاهرة: «ان ظاهرة حذف الحركات تتلاءم هي وتميم البدوية، حيث انهم يميلون الى «السرعة في النطق الذي ينتهي الى الاقتصاد في الجهد العضلي، ولا شك ان حذف الحركات فيه تيسير واقتصاد، وهو ما يهدف اليه البدوي، بعكس الحجاز المتحضرة التي تهدف الى إعطاء كل صوت حقه من الوضوح والبيان»[١١].

أقول: وكأن صاحبنا في هذا التفسير نسي أو تناسَى ظاهرة «الانسجام البدوي» التي هرَع اليه غير مرة في تفسير الأصوات، إنه جعل هذه المرة «السرعة» في النطق، و«الاقتصاد» في الجهد العضلي...

لا أدري، أين يكون «الاقتصاد في الجهد العضلي» حين تعرب تميم كلماتها على وفق العربية، وذلك كثير في كلامهم وكأن صاحبنا الجندي سرعان ما يناقض نفسه وهو يعرض لقوله تعالى: «فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً»[١٢]، ولغة أهل

---

(١) البحر المحيط ٢٨٢/١

(٢) ٢٢ سورة محمد

(٣) البحر المحيط ٢٥٥/٢

(٤) ٦٩ سورة النساء

(٥) البحر المحيط ٢٨٦/٣

(٦) ٢٩ سورة البقرة

(٧) البحر المحيط ١٨٨/٢، وانظر مختصر البديع لابن خالويه ص ١٤

(٨) ١٠٩ سورة الانعام

(٩) ١٦٤ سورة آل عمران

(١٠) البحر المحيط ١٨٨/٢

(١١) اللهجات في التراث ص ١٧٧

(١٢) ٦٠ سورة البقرة

[redacted] الحج[redacted]كان [redacted]ين وبها[redacted] وتميم [redacted]ر الشين [redacted] .

فأين «الاقتصاد» التميمي في «الجهد العضلي» وهي تكسر في حين اسكن أهل الحجاز!

ثم ألم يقل ان الكسر سمة من سمات الرقة التي هي سمة حضرية؟

ومثل هذا قراءة ابن وثاب: «وقطّعناهم اثنتي عشِرةَ اسباطاً»[2] بكسر الشين، وهي لغة تميم، وقرأ الجمهور باسكان الشين وهي لغة أهل الحجاز[3] .

وقد رأينا ما ورد في «المزهر»[4] : ان في «نوادر يونس» أن تميماً تثقّل الشين في «عشرة»، وأهل الحجاز لا يحركون.

أقول: ليس لنا ان نعير الحركات صفات حضارة او بداوة، وليس لنا ان نهرع الى «الاقتصاد في الجهد العضلي، ذلك ان اللغات القديمة لا يضبطها نظام متسق ندركه واضحاً في أجزائها. فاذا رأينا أهل الحجاز لا يحرّكون الشين في «عشرة» وتميم تكسر الشين، وجدنا في الوقت نفسه ان تميماً تسكّن الباء في «كبرت» في قوله تعالى: «كَبُرت كلمةً تخرج..»[5] ، وأهل الحجاز يضمّون الباء، وهي قراءة الجمهور، كما ان «فَعُل» للتعجب تحوّلت الى «فُعْلَ»

بسكون العين وضم الفاء، ومن ذلك قول الأُخطل:

«وحُبّ بها مقتولةً حين تُقتَل»[6] .

أقول: والظواهر اللغوية في اللغات الخاصة لا تخص قوماً بأعيانهم ولا قبيلة بعينها، وهي تمنح المعربين ولا سيما الشعراء سعة، فاذا وجدنا الاخطل يقول في رجزله:

هم اللّتا لو وَلَدَت تميم لكان فخرٌ لَهُمُ عظيم

فان ذلك لا يعني أنه ملتزم بلغة الحارث بن كعب التي يحذف فيها نون «اللذان واللتان»، ولا نجتهد فنقول: «ان الاخطل من تغلب، وتغلب قبيلة قحطانية.

وقد يكون لنا ان نورد قول القطامي:

---

(١) البحر المحيط ٢١٨/١

(٢) ١٦ سورة الاعراف

(٣) البحر المحيط ٤٠٦/٤

(٤) المزهر ٢٧٥/٢

(٥) ٥ سورة الكهف

(٦) شرح الشافية ٤٣/١

من [redacted] إن [redacted] أكرم [redacted] يمانية طابوا [redacted] نُسِبَ [redacted]

قال: وينشد: «يمانية قَرْبوا إذا نُسِبَ البشرْ».

وينسجم مع هذا الذي ذكرناه قراءة بعضهم «ويأمرون الناس بالبُخُل»[2] بضم الخاء مع ضم الباء، وهي لغة أهل الحجاز وبني أسد، فأما من قرأ باسكان الخاء فهي لغة بكر بن وائل[3].

فأين الحضارة في بني أسد، وهي قبيلة طالما رأيناها توافق تميماً، وهي بدوية أيضاً؟

ومثل هذا قراءة من قرأ بلغة أهل الحجاز «والمرسلات عُرُفاً»[4] وقوله تعالى: «فالملقيات ذكراً عُذُراً أو نُذُراً»[5] وقوله تعالى: «وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبُراً»[6]، كلها بضمتين، ومن قرأ بالاسكان وهي الكثيرة كانت لغة تميم وأسد[7].

على أنه ينبغي ألا نأخذ ما قيل في نسبة هذه الوجوه من القول التي تنسب الى «اللغات» خاصة مأخذ الثقة التامة.

جاء في لسان العرب[8] ان الحجاز تثقّل «الجمعة» اي بضمتين، وهي لغة بني عُقيل كما في «المصباح المنير»[9].

وأضاف علم الدين الجندي[10]: أنها لغة هذيل بدليل ان قبيلة هذيل، وهي في مناطق أثر عنها كما جاء في «المخصص»[11] عن أبي عبيد كانت تقول: «نُجُد» بضمتين، والدليل على ذلك ما قاله ابو ذؤيب:

في عانةٍ بجنوب المسّ مشربها   غَورٌ ومصدرها عن مائها نُجُدُ

---

(١) الكامل للمبرد ١١٤/٢ وقال المبرد: وهذا جائز في كل شيء مضموم أو مكسور اذا لم يكن من حركات الاعراب، تقول في الأسماء «فَخِذ» و«فَخْذ» (بالكسر في الخاء وسكونه) وكذلك: عضُد وعضد، وتقول في الأفعال: كَرْمَ عبدالله أي كَرُمَ...

(٢) ٢٧ سورة النساء

(٣) البحر المحيط ٢٤٧/٣، وانظر مختصر البديع لابن خالويه ص ٢٦

(٤) ١ سورة المرسلات

(٥) ٦ سورة المرسلات

(٦) ٦٨ سورة الكهف

(٧) اتحاف فضلاء البشر ص ١٤٣، وانظر اللسان (خبر)

(٨) لسان العرب (جمع)

(٩) المصباح المنير ١/١٧٠-١٧١

(١٠) اللهجات في التراث ص ١٨٢

(١١) المخصص ٤٨/١٢

وفي «معجم البلدان» [١] : انها لغة هذيل خاصة.

أقول: والمسألة لا تتجاوز ألفاظاً بعينها، ولا نستطيع أن نقول ان لغة هذيل التثقيل فيما جاء على «فُعْل» نحو حُسْن. ثم أليس لنا ان نقول ان «نجد» في بيت أبي ذؤيب جاء بضمتين اتباعاً للوزن والقافية، والشعراء يلجأون الى هذا كثيراً.

وقد استظهر بآية أخرى أجد فيها «الرسْل» [٢] باسكان السين لغة أهل الحجاز، وهذا يعني ان لكل كلمة حقها في اللغة الخاصة، فالرسل في قوله تعالى «ولقد قفّينا من بعده بالرسْل» [٣] باسكان السين لغة أهل الحجاز، وهي تخالف «خبر» التي جاءت بضمتين في لغة أهل الحجاز أنفسهم، وتحريك «الرُسُل» هو لغة تميم.

على ان الخلاف بين التحريك بالكسر والتحريك بالضم هو بين الحجاز وتميم، ومنه: قراءة أبي عمرو وابن كثير «بالعِدوة الدنيا» [٤] بالكسر، وقرأ الباقون بالضم، وهو أعرب اللغتين [٥] . ومن هذا «مِرية» بالكسر وهي لغة أهل الحجاز من قوله تعالى: «فلا تكن في مرية» [٦] ، وبها قرأ الجمهور، ولغة تميم بضمها [٧] . وقرأ السلميّ والحسن بلغة تميم [٨] .

ومنه في قوله تعالى: «رضوان من الله» [٩] بالضم، وهي لغة قيس وتميم، وقرئت بالكسر وبها قرأ الجمهور وهي لغة الحجاز [١٠] . وفي «البحر المحيط» [١١] ان الضم لغة تميم وبكر وقيس عيلان.

ومنه «صنوان» في قوله تعالى: «صنوان وغير صنوان» [١٢] بالضم وهي لغة تميم وقيس، وهي بالكسر في لغة أهل الحجاز [١٣] .

---

(١) معجم البلدان ٢٥٢/٨
(٢) البحر المحيط ٢٩٧/١
(٣) ٨٧ سورة البقرة.
(٤) ٤٢ سورة الأنفال
(٥) ابراز المعاني ص ٣٣٤
(٦) ١٧ سورة هود
(٧) المزهر ٢٧٦/٢
(٨) البحر المحيط ٢١١/٥، واتحاف فضلاء البشر ص ٢٥٥، ومختصر البديع ص ٥٩
(٩) ١٥ سورة آل عمران
(١٠) ابراز المعاني ص ٢١٧
(١١) البحر المحيط ٣٩٨/٢
(١٢) ٤ سورة الرعد
(١٣) البحر المحيط ٣٥٧/٥

ونقرأ قوله تعالى: «اتخذناهم سخرياً» (١) فنجد ان بعضهم قرأ «سخرياً» بضم السين، وهي لغة تميم، وبعضهم قرأ بالكسر وهي لغة قريش، فهل لنا ان نحسب لغة قريش لغة الحجاز، واذا كان هذا فلِمَ هذا التخصيص؟ وان لم يكن فيكف ننظر الى الحجاز وقريش؟ هذا بعض المشكل من أمر اللغات الخاصة، وهو كثير.

ومن هذا ايضاً «قِنوان» في قوله تعالى: «ومن النخل من طلعها قِنوان» (٢)، بالكسر وهي لغة أهل الحجاز، وبالضم لغة قيس (٣).

ويفسر صاحبنا الدكتور علم الدين الجندي لغة كلب في «قنوان» بالكسر كما وردت في «لسان العرب» فيقول: «ويلاحظ أن قبيلة كلب آثرت الكسر لأنها قبيلة حضرية، اذ إنها عاشت على حدود الشام على الطريق الذي يسلكه الحجازيون في تجارتهم مع بلاد الشام، فبيئتهم ليست إلا امتداداً للبيئة الحجازية» (٤) وقد اعتمد في قوله هذا على الدكتور جواد علي في كتابه (تاريخ العرب ١١٩/٤).

أقول: والدكتور الجندي نسب الكسر الى الحجاز، وعدّه من سمات الحضارة لان تميماً تميل الى ضم مسائل كثيرة، فأين هو من «الرِفقة» التي تكسر قيس راءها، وهي قبيلة بدوية عاشت مع تميم، وكثيراً ما وافقت تميماً في لغتها.

ان نسبة الحركات الى البداوة والحضارة أبعد ما تكون عن العلم اللغوي.

ومن الطريف ان الدكتور علم الدين الجندي قد جعل الكسر سمة حضرية فاذا رأى أن قيساً، وهي قبيلة بدوية، تؤثر الكسر في «رِفقة» راح يقول:

«اننا لا نسلم أن قيساً التي عزي اليها الكسر هنا بدوية كلها، ولا حضرية كلها كذلك، لأنها شعب عظيم بدليل ان اسمها غلب على سائر القبائل العدنانية حتى جعل في المثل مقابل عرب اليمن قاطبة. واذا كان كذلك فأُرجح أن الكسر المنسوب اليها في تلك الكلمة يجب أن يحمل على بعض قبائلها المتحضرة التي جاورت الحجاز كبعض هوازن وفزارة وغطفان. وأما بقية قبائل قيس الضاربة في بواديها تنطقها بالضم كتميم» (٥).

أقول: ان صاحبنا الجندي يقول ما لا تقوله النصوص فهو يجتهد ويتكثر، ومن أين له هذا التحليل السكاني، واذا كانت قيس «شعباً عظيماً» فإن تميماً

---

(١) ٦٣ سورة ص

(٢) ٩٩ سورة الأنعام

(٣) المصباح المنير ٧٩٨/٢، وانظر: لسان العرب (قنو) بالضم لغة تميم وضبّة، وبالكسر لغة كلب!

(٤) اللهجات في التراث ص ١٨٤

(٥) اللهجات في التراث ص ١٨٦

أعظم منها، ولا بد أن يكون شيء من تميم قد جاور الجهات الحضرية ولا سيما ان بلاد تميم تتفسح من شرقي الحجاز الى حدود العراق، وهي كذلك في الشمال والجنوب، فلِمَ لم يقل فيها شيئاً كهذا، وهل كان استقراء القدامى شيئاً يطمأنّ إليه؟

وكيف نقول إذا وجدنا ان تميماً تؤثر الكسر في «الوتر» في قوله تعالى: «والشفع والوتر» كما مرّ بنا[1] ، فهل نقول كما قال: ان هذه سمة حضارة؟ وقد جزم علم الدين الجندي بهذا فكيف يقول وفي «لسان العرب»: «الوَتر» بالفتح هو الفرد، وأهل نجد يكسرون، وفي رواية أخرى: وتميم وأهل نجد يكسرون[2] .

وجاء في «الأمالي»[3] : جاء عن الأصمعي أن أهل الحجاز يفتحون الواو في «الوتر» بمعنى الفرد، ويكسرونها في «الذحل» [أي الثأر] ومن تحتهم من قيس. وتميم يسوونهما في الكسر.

وعزا علم الدين الجندي الضم الى أنه من سمات البدو، والفتح سمة في الحضر، وعلى هذا يكون «القرح» بفتح القاف لغة أهل الحجاز، وبالضم لغة تميم وذلك في قوله تعالى: «إن يمسَسْكُم قرح»[4] ، وهكذا قرئت بالوجهين[5] .

ومن هذا كلمة «غلظة» التي جاءت في قوله تعالى: «وليجدوا فيكم غلظة»[6] وقرئت بالفتح، وهي لغة الحجاز، وبالضم، وهي لغة تميم[7] .

ومثل هذا «الزعم» في قوله تعالى: «فقالوا هذا الله بزعمهم»[8] فقد قرئت بفتح الزاي، وهي لغة الحجاز، وقرئت بالضم وقالوا هي لغة بني أسد[9] . وقيل: الفتح في المصدر والضم في الاسم[10] وقال تعالى: «انظروا الى ثَمَرِهِ»[11] بفتح الثاء، وقالوا: هي لغة كنانة، وبالضم، وهي لغة تميم[12] .

---

(١) المزهر ٢٧٧/٢

(٢) لسان العرب «وتر»

(٣) الامالي للقالي ٢٣٤/١

(٤) ١٤٠ سورة آل عمران

(٥) كتاب اللغات في القرآن ص ٢٣

(٦) ١٢٣ سورة التوبة

(٧) البحر المحيط ١١٥/٥

(٨) ١٣٦ سورة الانعام

(٩) المصباح المنير ٣٨٧/١ وانظر مختصر البديع ٤١

(١٠) البحر المحيط ٢٢٧/٤

(١١) ٩٩ سورة الأنعام

(١٢) كتاب اللغات في القرآن ص ٢٦

وقال صاحبنا الجندي مفسراً ومصححا:

«خلط الرواة بين لهجتي الحجاز وكنانة، كما خلطوا بين الحجاز وقريش...»

وقال أيضاً: «ان تميماً والبيئات البدوية تؤثر الضم لأنها بدوية، ولأنَ الضم مظهر من مظاهر «الخشونة البدوية»[1] !!

وكأن الجندي قلد استاذه ابراهيم أنيس في اختراع «البداوة الخشنة»[2] .

ومن الخلاف في الفتح والضم ما ورد في «الضعف» في قوله تعالى: «وعلم ان فيكم ضعفاً»[3] ، وقد قرئت بالفتح وهي لغة تميم، وبالضم وهي لغة أهل الحجاز[4] .

أقول: وقد ذهبت أقوال الجندي و«ترسيماته»، فأين هو الآن من لغة الضم الحجازية في «الضعف» وقد قال أن الضم في تميم لانها بدوية، و«الضم مظهر من مظاهر الخشونة البدوية»!!

واين هو من «عضد» في قوله تعالى «وما كنتَ متخذ المضلّين عضداً»[5] قرئت بضمتين وهي لغة الحجاز، وقرئت بفتح العين وسكون الضاد، وهي القراءة الشهيرة، وهي موافقة للغة تميم وبكر[6] .

ومن هذا: «الجهد»، وقد جاءت في قوله تعالى: «لا يجدون جهدهم»[7] قرئت بالضم على لغة أهل الحجاز، وبالفتح على لغة غيرهم[8] . وقرأ الأعرج وعطاء ومجاهد بالفتح[9] .

أقول: وهذه أخرى تنقض ما ذهب إليه الجندي في تفسيره.

وعرض علم الدين لكلمة «العقر» وهي بضم العين على لغة أهل الحجاز، ويفتحه على لغة نجد، قال مالك الهذلي:

كرهت العَقْر عَقْر بني شليلٍ   اذا هبّت لقارئها الرياح[10]

والعقر: أصل الدار.

---

(١) اللهجات في التراث ص ١٩٢-١٩٣

(٢) في اللهجات العربية ص ٨٢

(٣) ٦٦ سورة الانفال

(٤) البحر المحيط ٥١٨/٤

(٥) ٥١ سورة الكهف

(٦) المصباح المنير ٦٣٥/٢

(٧) ٧٩ سورة التوبة

(٨) معاني القرآن للفرّاء ٤٤٧/١

(٩) مختصر البديع ص ٥٤

(١٠) الأضداد للأنباري (ط الحسينية) ص ٢٣

فقال علم الدين الجندي(١٦): «وربما ان السبب في ان تميماً وغيرها من البدو «خالفت عادتها» فنطقت مثل ذلك بالفتح، لان الأمثلة السابقة بها حرف حلق، وحروف الحلق تؤثر الفتحة (انظر سيبويه ٢٥٥/٢).

واستظهر علم الدين بقول استاذه الدكتور ابراهيم أنيس الذي قال(٢):

«ان كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج الى اتساع مجراها بالضم، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعاً، وتلك هي الفتحة.

أقول: وهذا تفسير مقبول من الناحية النظرية في علم الأصوات، لكننا نقف غير هذا اذا وجدنا «العُقر» بضم العين وهي لغة أهل الحجاز.

وقد استبعدت قراءة الجمهور كثيراً مما ورد فيه فتح الصوت الحلقيّ كما في قراءة سهل بن شعيب الفهمي في قوله تعالى: «أرنا الله جَهَرة»(٣)، وفي قوله تعالى: «زَهَرة الحياة الدنيا»(٤) بفتح الهاء في الآيتين(٥). وقراءة بعضهم(٦): «كدَأب آل فرعون»(٧) بفتح الهمزة.

وقرأ ابو السمال: «ان يمسَسْكم قَرَح»(٨) بفتح القاف والراء(٩).

وفي «اصلاح المنطق»(١٠): ان أهل الحجاز يقولون «سُكارى» و«كُسالى» و«غُيارَى» بالضم، وتميم يفتحون.

وقرأ عيسى: «واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى»(١١)، وعزا ابو حيان الضم للحجاز(١٢).

وقرأ الجمهور بالضم(١٣) في قوله تعالى: «لا تقربوا الصلاة وانتم

---

(١) اللهجات في التراث ص ١٩٠

(٢) في اللهجات العربية ص ١٥٨

(٣) ١٥٣ سورة النساء، ٥٥ سورة البقرة

(٤) ٣١ سورة طه

(٥) مختصر البديع ص ٢٢

(٦) البحر المحيط ٣٨٩/٢

(٧) ١١ سورة آل عمران، ٥٢ سورة الانفال

(٨) ١٤٠ سورة آل عمران

(٩) مختصر البديع ص ٢٢

(١٠) اصلاح المنطق ص ٩٠

(١١) ١٤٢ سورة النساء.

(١٢) مختصر البديع ٢٦، والبحر المحيط ٣٧٧/٣

(١٣) لسان العرب (سكر)

سكارى» (1) .

ولا أراني ملتزماً بشيء كما فعل الجندي، ولكني أعرض لوجوه القراءات لدى أهل الحجاز معارضاً إياها بما قرئ على لغة تميم، ولا اقتصر في ذلك على ما ورد في لغة التنزيل بل أتوسع في العربية الأخرى التي حصل فيها الخلاف، ومن هذا:

ما ورد في «نوادر اليزيدي»: أن أهل الحجاز يقولون: ولدتُه لتَمام، بفتح التاء من «تمام» وتميم تكسر (2) .

وأهل الحجاز يقولون: «مُتِين» بضم الميم، وتميم بكسرها(3).

وقرئ: «نؤتِهُ منها» (4) ، وهي لغة أهل الحجاز (5) .

وسمع الكسائي شيخاً من هوازن يقول: «عليهُ مال» بضم الهاء، وكان يقول: عليهُم وفيهُم وبهُم، كله بضم الهاء (6) .

وقال الجندي مفسراً ومعلّقاً: وهوازن، وإن كانت قيسية إلا ان بعضها سكن الحجاز، وهو يجد له حاجة في «تاريخ العرب لجواد علي ٣٢١/٤».

أقول: وكيف يقول علم الجندي ان هوازن الحجاز تقول كذا، وهوازن الاخرى المجاورة لتميم تقول العكس؟!

ونأتي الى حديث «الإمالة» فنجد أن أهل الحجاز لا يميلون، وبني تميم أشدّ حرصاً عليها(7) . وقد يصطلح على الإمالة «التفخيم»، كما يطلقون الفتح او النصب على غير الإماله، قال أبو حيان: والتفخيم للحجاز(8) .

وقد نسب أبو حيان(9) الإمالة في الهدى من قوله تعالى: «الذين اشتروا الضلالة بالهدى»(10) الى تميم. وقال أيضاً اذا نحيت هذه الالفات (اي في الصلاة والزكاة) نحو الواو فذلك على لغة أهل الحجاز(11). وقد عدّها في «ارتشاف الضَرَب» من

---

(1) ٤٣ سورة النساء

(2) المزهر ٢٧٢/٢

(3) المخصص ٢٠٦/١١

(4) ١٤٥ سورة آل عمران

(5) البحر المحيط ٥١٤/٧

(6) لسان العرب ٣٦٨/٢، وانظر الهمع ٥٨/١

(7) شرح الشافية ٤/٣

(8) البحر المحيط ٥٩/١

(9) المصدر السابق ٧١/١

(10) ١٦ سورة البقرة

(11) البحر المحيط ١٧٢/٦

الحروف المتفرعة المستحسنة في ألسنة العرب، أو يسميها ألف التفخيم (كما في الصلاة والزكاة والحياة)[1].

وجاء في «مقدمتان في علوم القرآن»[2]: روي عن زيد بن ثابت أنه قال: «نزل القرآن بالتفخيم» وجاء في «البحر المحيط»[3]: ان الكسائي قرأ «رؤياك» في قوله تعالى: «لا تقصص رؤياك»[4] بالإمالة وبغير همز.

وكأن أهل الحجاز يميلون قليلاً، قال السيوطي: ومنهم من لم يُمل إلا في مواضع قليلة[5].

والانباري في «أسرار العربية»[6] قال: والإمالة تختص بلغة أهل الحجاز، ومن جاورهم من بني تميم وغيرهم.

وفي «شرح السيرافي»[7] في الكلام على الأفعال الثلاثية الواوية قال: «اذا بلغت الأسماء أربعة أحرف أو جاوزت من بنات الواو، فالإمالة مستتبة لأنها خرجت الى الياء، وجميع هذا لا يميله ناس كثير من تميم وغيرهم.

وتميم وأسد وقيس، وهم أصحاب إمالة، يختلفون فيها، قال السيرافي: «اعلم أنه ليس كل من أمال الألف وافق غيره من العرب ممن يميل، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه فينصب بعض ما يميل صاحبه، ويميل بعض ما ينصب صاحبه. وكذلك من كان النصب من لغته، لا يوافق غيره ممن ينصب، ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأول في الكسر»[8].

أقول: على ان «الإمالة» وان اختصت بها تميم وقيس وأسد، فقد رأينا السيرافي قد أصاب حين قال ان هذا لا يعني أن يكون في تميم وقيس وأسد من لا يميل، كما لا يعني ان يكون بين أهل الحجاز من يميل.

وهذا يعني ان مسألة تعيين الخصائص في كل لغة أمر صعب، وقد يكون لنا ان نستظهر على ما نقول من شيوع الإمالة في لغة أهل اليمن.

قال أبو بكر بن مقسم: أن أكثر أهل اليمن يميلون ألف «حتى» لأن الإمالة غالبة على ألسنتهم في أكثر الكلام[9].

(١) سر صناعة الاعراب ٥٢/١، شرح الشافية ٢٥٥/٣

(٢) مقدمتان في علوم القرآن (تـ جفري) ص ٢٢٧ـ٢٢٨

(٣) البحر المحيط ٢٨٠/٥

(٤) ٥ سورة يوسف

(٥) همع الهوامع ٢٠٠/٢

(٦) اسرار العربية (ط. دمشق) ص ٤٠٦

(٧) شرح السيرافي ٣٣٣/٥

(٨) المصدر السابق ٣٤١/٥

(٩) همع الهوامع ٢٠٤/٢

وكتب اللغة حافلة بالفوائد التي تصرفنا عن وضع منهج واضح للغة من اللغات، جاء في «كتاب»(١) سيبويه عن ابن ابي اسحاق: أنه سمع كثيّر عزة يقول: صار بمكان كذا وكذا، بإمالة الألف في «صار»، وهذا يعني ان الإمالة عرفت في «خزاعة».

وقال ابن جني في إمالة الفتح الى الضم: فأما إمالة الفتح الى الضم فهي التي نجدها بين الالف وبين الواو نحو قولهم: «سلام» و«قام»، وعلى هذا كتبوا «الصلوة» و«الزكوة» و«الحيوة» بالواو لان الألف مالت نحو الواو(٢).

وهذه لغة أهل الحجاز(٣).

أقول: وهذا ضرب من «الإمالة» التي عرفت بالتفخيم في المصادر اللغوية ونسبت الى أهل الحجاز(٤). وقد كنا أشرنا الى هذا.

ولنعرض لشيء آخر من الاختلاف بين الحجاز وتميم وغيرهم، ذلكم هو «الادغام». لقد جاء في «الكامل»(٥): ان تميماً تدغم في «رُدّ» وكذلك قيس وأسد فيقولون: رُدّ يا فتى، وعضّ يا فتى، وأهل الحجاز يقولون: اردد واعضض.

أما الأمر من المضاعف المبدوء بالوصل نحو «أرُدّ» فلغة عبد القيس نحو قولهم: «اسِلْ زيداً»(٦). وقد عدّ ابراهيم انيس لغة عبد القيس هذه في الادغام من القياس الخاطئ(٧). وهذه اللغة جاءت عن الكسائي في «التصريح ١/ ٤٠٠» والفرّاء في «ليس في كلام العرب ص ١٢».

ولا يستطيع الدارس أن يدّعي أن الادغام خاص بلغة من اللغات. فاذا عرفنا ان الجمهور قد قرأوا: «فلا يغررك تقلّبهم في البلاد»(٨) بلغة أهل الحجاز، وان زيد بن علي وعبيد بن عمير قرأا: «فلا يغرّك» وهي لغة تميم(٩). وجدناهم قرأوا: «وما تدّخرون في بيوتكم»(١٠) بالادغام، وقد وصف الطبري هذه القراءة باللغة

---

(١) الكتاب ٢/٢٦١

(٢) سر صناعة الاعراب ١/٥٦

(٣) شرح الشافية ٣/٢٥٥

(٤) انظر البحر المحيط ١/٥٩

(٥) الكامل للمبرد ١/٢٩٩، ٢/٢٠٩

(٦) ليس في كلام العرب لابن خالولي ص ٦٨

(٧) في اللهجات العربية ص ١٣٩

(٨) ٤ سورة غافر

(٩) البحر المحيط ٧/٤٤٩

(١٠) ٤٩ سورة آل عمران

الجودي، وقال لا يجوز القراءة بغيرها لتظاهر النقل من القراءة بها(١).

وقال سيبويه في قراءة من قرأ بعدم الادغام في قوله تعالى: «بل رانَ على قلوبهم»(٢) على لغة أهل الحجاز: انها لغة لأهل الحجاز عربية جيدة(٣).

ولنعرض لمصطلح قديم من مصطلحات أهل اللغة وهو «النبر» وهو يقابل «الهمز»، وعدم النبر يقابل «التسهيل».

وأهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، وقال عيسى بن عمر: ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز اذا اضطروا نبروا(٤).

أقول: ان الدارس ليقف حائراً في معرفة أهل الحجاز، وقولهم: «أهل الحجاز وأهل مكة والمدينة» يشعرنا أن أهل الحرمين غير أهل الحجاز وليسوا منهم، والذي نعرفه من الرسم للأمكنة والبلدان أن مكة والمدينة من حواضر الحجاز.

وقد يبدو للدارس ان من لم يلتزم بالنبر هم غير البدو، في حين وجدنا تميماً يهمزون ويلتزمون بالنبر وهم بدو بخلاف أهل الحجاز وهم حضر يسهِّلون الهمز، ومعهم «هذيل» القبيلة البدوية.

ليس لنا أن نعوِّل كثيراً على التحضّر والتبدّي فنزعم ان خصيصة معنية من خصائص اللغة سمة لهذه أو تلك.

وقد مرّ بنا ان أهل الحجاز يقولون: «جونة»، وتقول تميم «جؤنة» بالهمز(٥).

وروى اليزيديّ عن أبي عمرو ان لغة قريش «سل» في «اسأل»(٦) في قولهم: «سل ربك» وقد ذكر السيوطي ان يونس ذكر في «نوادره» أن أهل الحجاز يقولون: «سلا»(٧).

وفي «لسان العرب»(٨): أن الأزهري في «التهذيب» ذكر: «وأهل مكة يخالفون غيرهم من العرب يهمزون: البريئة والنبيء والذريئة.

وقد مرّ بنا ان أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون في «لسان

---

(١) تفسير الطبري (تـ. محمود شاكر) ٤٤٦/٦

(٢) ١٤ سورة المطففين

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ١٤١/١

(٤) لسان العرب ١٤/١

(٥) المزهر ٢٧٦/٢

(٦) البحر المحيط ٢٣٦/٣

(٧) المزهر ٢٧٦/٢

(٨) لسان العرب ٢٢/١ وانظر اصلاح المنطق ص ١٥٩

العرب» أيضاً. وأنت ترى ان هذه الاخبار لا تفي بحاجة الدارس في عصرنا، وكأنّ أهل مكة نبروا هذه الكلمات الثلاث دون غيرها.

وجاء في «المخصص»[1] أن أهل مكة يهمزون «الخائبة».

وقد تختلف لغة أهل الحجاز وغيرها عن لغة تميم في المضعف والناقص، ومن ذلك قول أهل الحجاز: أمللت الكتاب إملالاً، وكذلك يقول بنو أسد، فأما بنو تميم فيقولون: أمليتُه إملاءً، وكذلك تقول قيس[2].

وحكى أبو زيد هذا في «اللسان»[3].

ومن هذا رواية من أنشد من قول عمر بن أبي ربيعة[4]:

رأتْ رجلاً أيما اذا الشمس عارضته فيضحي وأيما بالعَشي فيخصَرُ

قال صاحبنا علم الدين الجندي:

«وعمر لا يمكن أن يقول «أيما» لأنه قرشي حجازي، وأرجح ان التحريف في رواية الأشموني من النسّاخ».

أقول: وليس لي أن أوافق ما جاء به الجندي ذلك ان الشعراء يجدون حاجتهم في كل لغة، وقد يكون عمر في هذه الرواية التي ليست رواية الديوان قد قالها متأثراً بظرف خاص أو انه أنشدها جماعة من تميم.

وصاحبنا الدكتور الجندي يأخذ بعلم ابراهيم أنيس فيلجأ الى «الاقتصاد في الجهد العضلي» في لغة البدو وهي لغة تميم فيفسر قول العجاج:

«تقضيَّ البازي اذا البازي كَسَره»

لأن العجاج تميمي، وأصله «تقضض».

أقول: ليس لي علم أكيد ان «التقضّي» أصله «التقضّض»، ولكن الكلمتين وردتا في العربية. وليس لي أن أقول: ان الأولى أقدم عهداً فهي أصل.

وليس لي أن أقول ان الفرزدق تميمي لذلك قال:

«ألَسْتُم عائجين بنا لعنّا»

وتميم تقول: «لعنّك» في «لعلّك»[6].

---

(١) المخصص ١٥٣/١٧

(٢) المصباح المنير ٨٩٦/٢، وادب الكاتب ص ٣٧٦

(٣) لسان العرب ١٥٤/١٤

(٤) شرح الأشموني ١٠٩/٣

(٥) اللهجات في التراث ص ٢٧١

(٦) لسان العرب ١٦٨/١٧

ليس لي أن أقول ذلك لان «لعنّ» لم ترد في شعر الفرزدق الا في هذا الشطر.

ولا تستطيع ان تخرج بما يشبه الكلام المطرد في مسائل الخلاف بين الحجاز وتميم، فبينا نرى أهل الحجاز يقولون: «قلنسية»، وتميم تقول: «قلنصوة»، نرى أهل الحجاز يقولون: «قنوة» وتميم تقول: «قنية»[1].

وفي كتب «الابدال»: الجدث بالثاء لغة أهل الحجاز، وبالفاء لغة تميم، ويرى ابن جني أنها بالثاء على الأصل، وقوله تعالى: «فاذا هم من الأجداث...»[2]

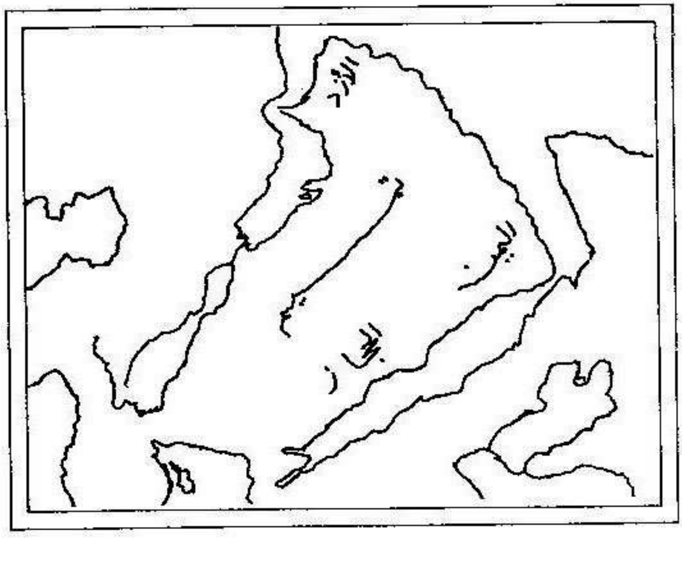
وقرأ ابن مسعود[3] : «من بقلها وقثائها و«ثومها» وعدسها...»[4]

وقال ابن جني: والصواب عندنا ان «الفوم» الحنطة[5].

وقول ابن جني هذا يدفع قراءة ابن مسعود لأن «الفوم» بالفاء أصل وهو غير الثوم.

خاتمة:

هذه نبذة يسيرة أتيت فيها على لغة أهل الحجاز في معارضتها للغة تميم وغيرها.



(١) المزهر ٢٧٦/٢

(٢) ٥١ سورة يس، وانظر التفسير في «الكشاف»

(٣) الكشاف ١٠٨/١

(٤) ٦١ سورة البقرة

(٥) سر صناعة الاعراب ٢٥٣/١

لغة تميم
بين يدي البحث

ان البحث في لغة قديمة مسألة تاريخية، ذلك ان الدارس ليس له إلا ما هو مثبت في المصادر القديمة. ومن هذا لا يمكن لهذا الدرس أن يبتعد عن استقراء المادة القديمة بعجرها وبجرها.

أقول: بعجرها وبجرها لانه ليس في وسع الدارس أن يستوفي عناصر البحث. ان الدرس العلمي في المادة اللغوية يتطلب معرفة الأصوات معرفة جيدة ليصل منها الى ضبط الظواهر الصوتية، وما يتأتى منها في الأبنية اللغوية. إن علم الأصوات علم عملي لا بد أن يكون له أثر واضح في التركيب اللغوي، وهذا هو الغرض الوحيد من الدرس الصوتي، وما عدا هذه الناحية العملية التطبيقية يبقى من علم الأصوات رصد الظواهر الصوتية التي تتصل بطبيعة الأصوات، والتي تختلف فيها لغة طائفة من الناس عن لغة طائفة أخرى في البلد الواحد أو في بلدان مختلفة.

ومن أين للباحث في عصرنا أن يضبط هذه الخصائص اللغوية للغة قديمة لم يبق من آثارها إلا القليل القليل الذي اختلط بغيره من العناصر اللغوية.

وإني لأرى أن ما يدرج به قوم في سلوكهم اللغوي هو لغة برأسها، وان أدرجت مع غيرها التي لا تختلف كثيراً عنها في نظام واحد. وهذا يعني أني اذهب الى رفض تسميتها بـ«لهجة»، وإن تعارف الدارسون في عصرنا على تسميتها «لهجة». وكيف لي أن أدعو السلوك اللغوي الذي ينتظم بلداً كاملاً «لهجة»، فأقول مثلاً: «اللهجات العربية القديمة والحديثة». ان الألسن الدارجة العامية هي لغات لها نظامها الصرفي ونظامها النحوي، ولها أصواتها الخاصة، وكل منها يختلف عن الآخر في هذه الأجزاء. ولك ان تدرك هذا في موازنة اللسان المصري في عصرنا مع اللسان الجزائري مثلاً. ولنا أن نعكس الامر على اللغات القديمة فنقول: ان عربية كل من الحجاز وتميم عربية خاصة تختلف عن لغات القبائل الاخرى.

وقد يكون لي أن أذهب الى أبعد من هذا، فأثبت أن الرقعة الواسعة التي كان يسكنها أهل الحجاز وجمهور تميم في العصور القديمة قد عرض لها بعض الاختلاف والتغير، وهذا يعني أن أهل الجهات الشمالية من هاتين المجموعتين لهم طريقة خاصة فيما يدرجون فيه من وجوه القول تختلف عنها في الجهات

الجنوبية. وقل مثل هذا لدى أهل الاجزاء الشرقية من هاتين المجموعتين الذين لا بد أن يكون لهم طريقة تختلف عنها في الأجزاء الغربية.

وعلى هذا ليس لي أن أتوسع في لغة تميم، وهي مادة تاريخية لا ادرك من أمرها إلا الذي قال به علماء اللغة في عصور متقدمة.

ثم إن الذي ذكره علماء اللغة على قيمته التاريخية، لا يمكن أن يكون مادة يُطمأنّ اليها بلهَ أن تكون كافية تفي بحاجة الدرس الجاد.

ومن هنا لم يبقَ لي إلاّ أن أجمع هذه المخلفات المتناثرة في كتب اللغة، والنحو القديم، فأصنّفها بحسب ما يقتضي الدرس اللغوي الحديث.

وقد رأيت أن أقصر جهدي على لغة الحجاز ولغة تميم، ذلك أن الحجاز على سعته يمثل غرب بلاد العرب، وتميم في مواطنها الفسيحة تمثل شرق هذه البلاد. ولا أرى حاجة أن أتوسع في باب ما يدعوه المعاصرون بـ«اللهجات». ولا أدري كيف احتفل هؤلاء بشذرات لغوية نسبت الى قبائل مختلفة، واختلف أهل العلم في نسبتها اي اختلاف، وسنجد من هذا الكثير الذي نسب الى غير قبيلة واحدة.

ولا أدري كيف عدّ المعاصرون هذه الشذرات المتناثرة لهجات، وهي لم تنسب الى قوم بأعيانهم، وقد عدت «لغات مذمومة» لدى علماء اللغة؟ و«اللهجات» في اصطلاح هؤلاء الدارسين «لغات»، وهي تتصل بألفاظ بأعيانها وردت في عامة مصادرنا القديمة ولم يختلف فيها مصدر عن آخر.

ولم يشق المعاصرون في هذا الامر، بل أقاموا من هذه «المخلفات» المتناثرة هيكلاً في بنائهم، وقد شقوا في تجميع مواد هذا البناء. وكأنهم سعوا وراء الجديد، وسعيهم وراء الجديد كان على حساب العلم.

ولعل أوائل المستشرقين في القرن المنصرم قد أدركوا حقيقة هذا الأمر، فلم يروا في هذه المخلفات ما يعين على الوقوف على «لهجات» يتضح فيها ما يعين على البحث عن نظام معجمي ونظام صوتي. وسأبدأ كلامي على لغة تميم ذلك ان المادة فيها أقل مماهي في لغة أهل الحجاز، وكان لي دراسة وافية للغة أهل الحجاز.

مقدمة

تقابل لغة الحجاز في تاريخ العربية لغة تميم، نلحظ هذا في كتب النحو واللغة. وتميم جمهرة كبيرة من العرب استوطنت بلاداً تمتد من الشمال الى الجنوب في شرقي بلاد العرب، في حين ان كلمة «الحجاز» في التاريخ اللغوي تتجاوز المعروف من الحجاز في العلم الجغرافي. ومن هنا كانت «الحجاز» في الأطلس اللغوي القديم تشتمل على نجد وما جاورها.

لقد أغفل النحويون واللغويون في هذا التقسيم الواسع الحقائق اللغوية التي تبرز بخصوصياتها في هذين الشطرين، فليس من المعقول ولا من العلم أن تكون لغة تميم واحدة وهي في هذه الرقعة الفسيحة، كما ان مما لا يقبل أن تكون لغة أهل هذه البلاد الواسعة التي أطلق عليها الحجاز واحدة. ومن العلم ان نثق ان عربية كل من الحجاز وتميم كانت تشتمل على ألوان عدة تتصل بالنظام الصوتي، وتتجاوزه الى الأبنية، ثم لا نعدم أن نجد في كل منهما خصوصيات تتصل بالنحو وأخرى ذات علاقة بالمعجم القديم.

وليس أدلَّ على هذا مما تصادفه في كتب النحو واللغة من الاشارات التي تثبت ان الخلاف في أجزاء كل شطر من هذين الشطرين واضح. ان هذا كله ليضطر الدراس الى ان يكتفي باستقرائه مفيداً فيه الى ما يجعله يضع شيئاً يسيراً يتصل بالأجزاء الضرورية من العلم اللغوي. ان هذا الشيء اليسير الذي يخرج عن الاستقراء الوافي لا يمكن ان يفي بوضع بناء مكتمل يستجيب لما تفرضه عناصر البحث الوافي في عصرنا.

ومن هنا كانت كتب النحو القديم دون ما كان ينبغي ان تكون عليه في معرفة الخصوصيات التي حفلت بها العربية في مجالها الواسع. ان الباحث لا يظفر فيها بشيء ذي قيمة يتصل بطبيعة الأصوات في مختلف الأجزاء التي عاشت فيها جمهرة التميميين، كما لا يظفر بنظير ذلك مما يتصل بالخصوصيات اللغوية في البيئة الحجازية.

ولا بد لي أن أضع بين يدي القارئ خارطة لبلاد العرب أثبت فيها مواقع تميم بحسب ما أفادت المصادر التاريخية الجغرافية، ويحسن أن أثبت ما قيل في تميم ومواطنها، على أن هذا الذي أثبته من مواطنها لا يشير الى هذا الموضوع إشارة دقيقة، ذلك ان حركة القبائل عامة كانت دائمة ولا بد من تقارب بين مواطن القبائل المختلفة.

تميم وما قيل فيها

تؤلف «تميم» تجمُعاً كبيراً للعرب، فقد كانت قبائل عدة تنتمي اليها، وهي: كعب بن سعد بن زيد مَناة، وحنظلة بن مالك بن زيد مناة، وهم البراجم، وبنو دارم، وبنو زرارة بن عدس، وبنو أسيد، وعمرو بن تميم. وقد امتلأت منهم البلاد، وكانوا أهل منعة وعدد وبأس ونجدة، وأصحاب فصاحة وشعر.[1] وتميم تنتسب الى أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر.[2] ومن هنا قال فيهم ابن حزم: أكبر قواعد العرب.[3] ولعل هذا التجمع الكبير من العرب الذي يضم جمهرة من القبائل دليل على أنها أفادت هذا الشمل على تراخي العصور والأحقاب.

سكنت تميم المواطن الشرقية من أرض نجد، وهي تمتد فيها من الشمال الى الجنوب، وجلها مفاوز وصحارى لا يهتدى لمشاكلها، وماؤها من الآبار كما يستفاد من تاريخ الطبري.[4] وقد أفادنا في هذا القلقشندي فأثبت: ان بلادهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة، وامتدت الى العذيب من أرض الكوفة.[5] وقال البكري: «ثم مضوا حتى خالطوا أطراف هجر، ونزلوا ما بينها وبين اليمامة، ووقعت طائفة منهم الى عمان، وخالطوا عامر بن عبد القيس في بلادهم قطر، وامتدت منازلهم الى البحرين، فالأحساء حيث نفذ بنو سعد بن زيد مناة بن تميم».[6]

وقد كانت تميم كلها بأسرها في اليمامة حيث جاء الاسلام.[7]

وتؤلف تميم تجمّعاً بدوياً في عاداته وتقاليده.[8] ومن هنا عرف بينهم

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢٢٩/١

(٢) المصدر السابق

(٣) جمهرة انساب العرب /٢٠٧

(٤) تاريخ الرسل والملوك ١٦٩/٢

(٥) صبح الأعشى ٣٤٧/١

(٦) معجم ما استعجم ٨٨/١

(٧) المصدر السابق ٩٠/١

(٨) المحبر /١٥٦-١٥٧

«الوأد»، وكأنهم بذلك يتّقون ممّا يمكن أن يجلبه السبي عليهم من العار في معاركهم مع القبائل الأخرى.[1]

وقد أثبت الآلوسي في «بلوغ الأرب»: ان الوأد كثر في بني تميم، وكان السبب في ذلك ان بني تميم منعوا الملك ضريبة الإتادة التي كانت عليهم فجرّد اليهم النعمان أخان مع دوسر ـ كتيبة ـ وكان أكثر رجاله من بكر بن وائل، فاستاق نعمهم، وسبى ذراريهم... ثم وفدت وفود بني تميم على النعمان وكلّموه في ذلك فحكم أن يجعل الخيار في ذلك الى النساء، فأية امرأة اختارت زوجها رُدّت عليه، فاختلفن في الخيار، وكانت فيهن بنت القيس بن عاصم فاختارت سابيها على زوجها فنذر قيس بن عاصم أن يدسّ كل بنت تولد في التراب[2] غير أن الفقر الذي عرفته البيئة العربية والقسوة التي صاحبته كان كل ذلك دافعاً لهم على الوأد، وقد ذهبت الآية الكريمة الى هذا فقال تعالى: «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق»[3] .

وقد حفلت كتب الأدب والتاريخ باشارات تدل على مكانة تميم بين العرب في الجاهلية والاسلام. لقد بوّأ العرب تميماً المكانة العالية فكان منهم حكام الأسواق[4] ، ومن هؤلاء مخاشن بن معاوية بن شريف وابنه ربيعة، وأكثم بن صيفي، وحاجب بن زرارة، والأقرع بن حابس، وضمرة بن أبي حمزة.[5] وكان العرب لا يبرحون «منى» في الحج حتى يجوز صاحب الموسم من تميم[6] . ان صاحب الموسم هذا الذي له الاجازة في الحج سعد بن زيد مناة، ومازن بن مالك بن عمرو، ومعاوية بن شريف بن جردة، وصلصل بن اوس بن مخاش، وصفوان بن شجنة بن عطارد[7] ، والى هذا أشار جرير:

ومنّا مَن يُجيز حجيج جمعٍ وإن خاطبتُ عزّكم خطابا[8]

وليس شيئاً أقل من هذه المكانة الاجتماعية الجانب الأدبي، ذلك ان تميماً في الجاهلية كان فيها من الشعراء غير واحد من المشاهير، وفيهم أوس بن حجر،

---

(١) المستقصى في امثال العرب ٢١٧/١

(٢) بلوغ الأرب ٤٢/٣ـ٤٣

(٣) سورة الاسراء ٣١

(٤) المحبَّر لابن حبيب ص ١٨٢

(٥) المصدر السابق ص ١٣٤

(٦) المصدر السابق ص ١٨٢ـ١٨٣

(٧) المصدر السابق، وانظر جملة هذا كله وغيره في «لهجة تميم» لغالب المطلبي (رسالة ماجستير) ص ٩ـ١٦

(٨) الديوان ص ٧٩

شاعر مضر في الجاهلية[١]، وعبدة بن الطبيب[٢]، وعلقمة الفحل[٣]، وسلامة بن جندل[٤]، ومالك ومتمم ابنا نويرة،[٥] والسُليك بن السلكة[٦]. والعجاج وابنه رؤبة[٧]، والفرزدق وجرير[٨].

وقال أبو عبيدة: ليس الإسلام مثل حظ تميم في الشعر، وأشعر تميم جرير والفرزدق[٩].

واذا كان هذا حظ تميم فان حظهم في الخطابة واللسن لا يقلّ عنه، فمن خطبائهم: أكثم بن صيفي[١٠]، وحاجب بن زرارة[١١]، والأقرع بن حابس[١٢]، والاحنف بن قيس[١٣].

وهي مع كل هذا مشهود لها بالفصاحة بين العرب، ذكر المبرّد في «الفاضل»: «ان رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - ورد عليه الوفود فأقرأ الأخماس كل خمس على لغته، فكان أعرب القوم تميم»[١٤]. وقال أبو عمرو بن العلاء: «أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم»[١٥]. ومن أجل هذا كانوا ممن «نقلت العربية عنهم، وبهم اقتدي وعليهم اتكل في الغريب، وفي الإعراب والتصريف»[١٦].

أقول: بعد هذا العرض لمكانة تميم في التاريخ وحضورها في الأدب القديم شعراً ونثراً أودّ أن أثبت شيئاً يتنكر الى حماسة الشادين بالقول بـ«اللهجات»،

---

(١) الأغاني ٧٤/١١

(٢) الشعر والشعراء ٦١٢/٢

(٣) المصدر السابق ١٤٥/١

(٤) المصدر السابق ١٩٢/١

(٥) المصدر السابق ٢٥٤/١

(٦) المصدر السابق ٢٨١/١

(٧) المصدر السابق ٤٩٣/١، ٤٩٥

(٨) المصدر السابق ٣٧٤/١، ٣٨١

(٩) الأغاني ٣٠٩/٢١

(١٠) الاصابة ١١٠/١-١١١

(١١) المصدر السابق ٢٧٣/١

(١٢) خزانة الأدب ٢١٩/٣

(١٣) طبقات ابن سعد ٩٣/٧-٩٧

(١٤) الفاضل ص ١١٣

(١٥) الصاحبي ص ٥٧، والمزهر ٢١١/١. وفي العمدة ٨٨/١: ان ابا عمرو بن العلاء قال: «أفصح العرب عليا تميم وسفلى قيس» أقول: وهذا الاضطراب في المصادر يدعونا الى التقليل من حماستنا في الاعتماد على هذه النقول

(١٦) المزهر ١٢٨/١

الذين يحسبون ان للقبيلة عربية خاصة، وأنت تخلص فيما مضوا فيه الى أن هذه «العربية الخاصة» تختلف عن عربية القبيلة الأخرى.

ومما لا شكّ فيه ان لتميم صلات ودية أو غير ودية مع القبائل الأخرى، ومن هذه بكر بن وائل، قبيلة كبيرة، لعلها مثل تميم في كثرة العدد. وكان بينها وبين تميم صراع شديد في الجاهلية، وما كان للإسلام أن يأتي على كثير من هذا الصراع، اذ سرعان ما بدا في عصر بني أمية[1] .

ومن مشاهد هذا الصراع ما كان في أيام العرب.[2]

وقد كان مثل هذا بين تميم وقيس، والأحداث بينهما معروفة في كتب الادب والتاريخ [3] . ولِمَ لا يكون هذا وللبيئة الجاهلية تقاليدها في الغزو والسلب والنهب، وما يتأتى عن ذلك من قتل وسفك دماء، ثم ما يكون بعد ذلك من الثأر للقتلى. وقد كان شيء من ذلك بين بطون تميم وأقسامها التي احتلت رقعة فسيحة في شرقي نجد من الشمال الى الجنوب كما بيّنا آنفاً.

وأودّ أن أختم هذه «المقدمة» فأقول:

لو أن هذا الانتماء الى القبيلة يفترض فيه أن تكون لكل قبيلة عربية خاصة فهل كان لنا أن نواجهها في شعرهم؟ لم يكن شيء من هذا لدى أولئك الشعراء الذين انتسبوا الى تميم، والشعراء الذين انتسبوا الى غير تميم من القبائل العربية. لم نجد هذه الخصائص التي تؤسس عربية خاصة لدى الشعراء الذين ينتسبون الى بكر بن وائل، ولا لدى الشعراء الذين ينتسبون الى قيس، ذلك أن عامة هؤلاء وعامة أولئك قد مضوا في اعرابهم على المشهور المتفق عليه من خصائص لغة مشتركة.

واذا كانت تميم قد توزعت بطوناً فتفرقت في موطنها الفسيح الذي يمتد من الشمال الى الجنوب، ومن شرقي نجد الى اليمامة واطرافها حتى اتصل بهجر، وشارف البصرة، وامتد الى العذيب من أرض الكوفة،[4] !فكيف يتهيأ لنا أن نفترض أن هذا الجمهور التميمي الذي يسكن بلاداً مترامية الأطراف يعرب في لغة واحدة؟ لا بد أن يكون هذا الجمهور مختلفاً في اعرابه أصواتاً ومعجماً. غير أن «العربية المشتركة» كان لها حضور. والدليل على هذا ما ورثنا من أدب أهل الجاهلية، فهل اختلف شعر امرئ القيس عن شعر الأعشى، وكل منهما ينتمي الى قبيلة تبتعد في مواطنها عن القبيلة الأخرى؟.

---

(١) انظر الكامل لابن الاثير ١٣٦/٤ـ١٣٨... و٢٠٧/٤

(٢) العقد الفريد ٥٣/٦ـ٥٩

(٣) المصدر السابق ٦/٦، ٨ و٣٥ـ٣٨

(٤) صبح الأعشى ٣٤٧/١

ونعود الى لغة التنزيل العزيز فنجد أنها كانت من عوامل تثبيت العربية العامة المشتركة. وإذا كانت هذه اللغة الشريفة قد نزلت في حاضرتي الحجاز: مكة والمدينة، فان ذلك يعني ان الخصائص اللغوية التي أثبتها اللغويون والنحاة في لغة الحجاز واضحة فيها، فأين هي؟

لم نعرف في لغة التنزيل ما ندعوه بتسهيل الهمزة التي أثبتها أهل اللغة على أنها من خصائص لغة الحجازيين، ولم نجد أشياء أخرى غيرها وسنعرض لها في إثبات الفروق بين الحجاز وتميم.

لا أنكر أن العربية كانت متوزعة في لغات عدة، ولا أدعوها «لهجات» لأن ما ندعوه «لهجة» في عصرنا شيء افتعلناه، وليس من ملاك «اللهجة» اشتمالها على الخصائص اللغوية الواسعة التي يعرب بها جماعة عن آخرين[1].

أقول: لا أنكر وجود «اللغات»، وقد عرفنا من ذلك «لغات القرآن» التي بقيت من مواد القراءات، على اختلاف درجاتها في العلو، كما عرفنا من ذلك الشواذ من القراءات وما اجتمع فيها من خصائص تتصل بالعربية الخاصة التي ابتعد عنها المعربون في شعرهم.

ومثل الشعر ما كان من العربية التي وصلت الينا في خطب الجاهليين والاسلاميين، والعربية التي وقفنا عليها في أمثالهم، وكلها جاءت متسقة متشابهة، لا نرى بينها أي خلاف ولم يبق لنا إلا أن نقول: اننا لم نقف على الغرائب التي تتصل بالعربية الخاصة المنسوبة الى القبائل إلا في الشواهد اللغوية، والشواهد النحوية، وهي نماذج فريدة ترد في كتب النحو وكتب اللغة، وهي يتيمة لا نجد

---

(١) انظر مادة «لهج» في «لسان العرب»، وهي: اللسان أو طرفه، أو جرس الكلام. وقد جاء أيضاً ان «اللهجة»، هي اللغة التي جُبل عليها الانسان، فاعتادها ونشأ عليها. أقول: وكون «اللهجة» هي اللغة كما في «لسان العرب» وغيره من المعجمات، لم يرد في استعمال المعربين، ذلك ان معنى «الجرس» هو المعروف، فكان يقال: هو صادق اللهجة، ولا يراد بهذا «اللغة».

ومما تجدر الاشارة اليه أن كلمة «لغة» كانت كثيراً ما تدلّ على لغة جماعة قليلة أو كثيرة، فقد قالوا مثلاً: لغة بني الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها ألفاً، يقولون: اخذت الدرهمان، واشتريت ثوبان، والسلام علاكم (نوادر ابي زيد ص ٥٨) وعلى هذه اللغة قوله تعالى «إن هذان لساحران» سورة طه ٦٣. قال ابو الحسن الأخفش: هي لغة بلحارث بن كعب (معاني القرآن للأخفش) على أن «اللغة» في الأعم الأغلب: دلت على المعنى العام فقالوا: لغة العرب، ولغة العجم مثلاً.

لها نظائر في أشعارهم وخطبهم[1].

ولا أشك أن تكون لغة تميم قد اختلفت بعض الاختلاف في أصواتها، وفيما ندعوه في عصرنا بـ«النبر»، عن لغة قبيلة أخرى من القبائل العربية، كما أني لا أستطيع أن أدرك أن فروع تميم، وقد استوطنت بلاداً شتى، قد احتفظت بخصائص لغوية واحدة في الأصوات والنبر والدلالات.

«اللغات» العربية القديمة:

جاء في «الصاحبي» لابن فارس: «... فحدثنا علي بن ابراهيم عن المعداني بن أبيه عن أبي معاد معروف بن حسان عن الليث عن الخليل، قال:

ان النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ارادة اللبس التعنيت.

قال ابن فارس: قلنا فلينخر آخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا...[2]

ابتدأت بقول الخليل الذي قدمت لأشير الى ان الوضع والكذب قد فشوَا في العربية، ولا أدري لِمَ لم يعرض المعاصرون الى هذا، وصرفوا همّهم الى الانتحال في الشعر، كما انصرف نقّاد الحديث الشريف الى الموضوع المصنوع على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ!

وقد قرأنا في الأثر قول أبي عمرو بن العلاء: «ما انتهى اليكم مما قالته العرب إلا أقلّه، ولو جاءكم وافراً لجاء علم وشعر كثير[3].

وكأن دأب الناس في العصور المتقدمة، وأهل العلم والأدب والشعراء كان

---

(١) قلت: ان شواهد اللغويين والنحاة أبيات يتيمة يتبادلها جمهورهم، فيتناقلونها في كتبهم. ومن هنا فهي عربية نادرة أو قل قديمة فاذا عرضوا لتحوّل الياء المشددة جيماً في النسب استشهدوا بقول الراجز الذي نجده في جميع مصادرهم وهو:

خالي عُرَيف وأبو عَلجّ   المطعمانِ اللحم بالعشجّ

وبـالغِـداة فلق البَـرنجّ

((الصاحبي (تـ. أحمد صقر) ص ٣٧))

وأما في ابدال الجيم ياء نراهم ينشدون:

اذا لم يكن فيكنّ ظلٌ ولا جَنىً   فلا جـادكن الـلـه من شَيَراتِ

(٢) الصاحبي ص ٤٨

(٣) طبقات فحول الشعراء (ط. دار المعارف ١٩٥٢) وانظر المزهر ١/ ٦٦ـ٧١

ان تسود العربية المهذبة البعيدة عما هو خاص باللغات الغريبة. ومن هنا نجد أهل العلم ينعتون عنعنة تميم وكشكشة أسد، وكسكسة ربيعة وغير ذلك مما هو شنسنة وفحفحة هذيل باللغات المذمومة[١].

وقد يكون عامة الشعر القديم الجاهلي والاسلامي قد درج في الفصيحة المشهورة، ولم نجد هذه المواد الغريبة إلا في شواهد لغوية سجلها اللغويون وذكرها النحاة، وهي عندهم من العيوب التي ينبغي ألاّ تكون في العربية المشهورة.

لقد طلب عمر بن الخطاب من عبدالله بن مسعود ألا يقرأ بلسانه الهذلي، وذلك لأنه بلغه أنّ عبدالله بن مسعود قرأ: «وليُسجنَنّ عتى حين» بدلاً من «حتى حين»[٢].

وكان لعمر أقوال معروفة حث فيها على تعلّم العربية[٣].

وقد نخلص من هذا الى أن مصادرنا لا تشير الى ما يتصل باللغات الخاصة لانها أمر مرغوب عنه، وان الذي بقي منها اشارات قليلة لا تمكّن الدارس أن يقف منها على شيء ذي بال.

لعلّ من المفيد أن أشير الى أن الشاعرقد يلتزم بشيء من هذه الظواهر اللغوية مسوقًا بالضرورة او الحاجة الى الوفاء بمطلب من مطالب النظم، ومن هذا نقرأ قول الفرزدق:

أبنـي كليبٍ ان عَمّـي اللذا　　　قتلا الملوك وفكّكا الأغلالا

فقد جاء في البيتْ «اللذا» اسماً موصولاً حذف النون منه على ما قيل ان بني أسد[٤] يحذفونها في «الغتهم»، لقد اضطر الشاعر الى هذا لإقامة الوزن، وإلا أين هو من بني أسد؟ والبيت شاهد لغوي في حذف النون هذه.

وقد يكون قريبا من هذا قول ذي الرمة:

أعَن توسّمتَ من خرقـاءَ منزلـةً　　　ماء الصبابةِ من عينيكَ مسجومُ[٥]

وموطن الشاهد «أعَن» وهي «أأن» وتميم وأسد يُبدلون الهمزة عيناً، فهل نقول ان ذا الرمة جرى على «لغته» الخاصة، وهي لغة تميم واسد؟ لا لن أقول ذلك، بل

---

(١) الصاحبي ص ٣٥

(٢) كنز العمال ٢٨٤/١، وانظر الكشاف للزمخشري في تفسيره للآية ٣٥ من سورة يوسف

(٣) انظر كنز العمال ٢٢٨/٥، وصبح الأعشى ١٦٨/١

(٤) المقاصد النحوية للعيني (على هامش الخزانة) ٤٢٣/١، ونُسب في «شرح شواهد المغني» (تعليق محمد محمود الشنقيطي) ١٤٣/١ الى الأخطل

(٥) طبقات فحول الشعراء (ط. سنة ١٩٥٢، دار المعارف) ص ٤٧٧-٤٧٨

أذهب الى أنه هَرَبَ من اجتماع النظيرين، أي الهمزتين لما في ذلك من ثقل، ثم لو ن ذا الرمة جرى على هذه «اللغة»، وهي العنعنة لكان لنا ان نرى «العين» في كل كلمة كانت الهمزة بعض أصولها. لم يكن شيء من هذا.

ومن المفيد أيضاً أن نتعقب هذه الفوائد وهي فرائد يتيمة فنقرأ قول أبي ذؤيب الهذلي:

شربن بماء البحر حتى ترفّعت «متى» لجج خضر لهنّ نئيجُ

أي: «مِن لجج»، ومثل هذا قول صخر الغي:

متى ما تنكروها تعرفوها «متى» أقطارها علقٌ نفيثُ

أي «من أقطارها». وهذان الشاهدان وردا في ان «متى» بمعنى «من» على لغة هذيل[1].

وعلى حين لم يأذن أهل العلم ولا الحاكمون لهذه المخلفات اللغوية ان يكون لها حضور في روائع النظم والنثر، بل قد اهتم اللغويون والنحويون اهتماماً خاصاً بها، وكأنهم أرادوا الوفاء بالناحية التاريخية، فقد سارعوا الى تسجيل هذه النماذج، وربما وضعوها واصطنعوها، وحملوها على الشعراء كذباً كما سترى.

لقد استشهد النحاة على مجيء اللام في خبر لكن فجاءوا بما نسب الى المجنون وهو قوله:

يلومونني في حبّ ليلى عواذلي ولكنني من حبّها لعميد

وقد أشار الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ناشر «شرح ابن عقيل» الى أن من المحتمل أن يكون الشارح «ابن عقيل» قد وضعه...[2]

وفي صدر البيت قوله «يلومونني» مع وجود الفاعل، وهي «اللغة» التي وسمت بلغة «أكلوني البراغيث» أو لغة بلحارث بن كعب، والبيت كله مما نسب الى المجنون، ويجتمع فيما نسب المجنون الصحيح والموضوع. ومما أنشد المفضّل الضبيَ ما أنشده أبو الغول الطهويّ لبعض أهل اليمن:

أيّ قلوصٍ راكبٍ تراها طاروا عليهن فشُلْ علاها
واشدُد بمَثْنَي حَقَبٍ حَقواها ناجيةً وناجياً أباها
ان أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

قال ابو عبيدة لأبي حاتم: إنها من صنعة المفضّل الضبيّ نفسه[3].

---

(١) المقصور والممدود (ط. السعادة سنة ١٣٢٦ هـ) ١٠٣/٢

(٢) شرح ابن عقيل (الكلام على دخول لام التوكيد على خبر لكنّ)

(٣) نوادر ابي زيد ص ١٦٤ (ط الكاثوليكية ١٩٨٤ م)

ومما وضعه حماد الراوية ونحله زهير بن أبي سلمى ما استشهد به الكوفيون على جواز استعمال «من» لابتداء الغاية في الزمان قوله:

لمن الديارُ بقنّةِ الحَجْرِ أقوينَ من حججٍ ومن دهرِ[1]

واذا كان حماد هذا قد اشتهر بالوضع، فان الأمر قد تجاوز هذا الحد الى آخرين عرفوا بالضبط والصحة فهذا أبو عمرو بن العلاء يقول: «والله ما كذبت فيما رويته حرفاً، ولا زدت فيه شيئاً إلا بيتاً في شعر الأعشى، فإني زدته فقلت:

وانكرتني وما كان الذي نكِرت من الحوادث إلاّ الشيبَ والصلعا

فألحقه الناس في شعر الأعشى[2]. وقد أورده القالي في «نوادره»[3] منسوباً الى الأعشى، وكذلك فعل المرزباني في «الموشح»[4].

وقد يكون لي أن أختم هذه الألاعيب التي جرت اليها حماسة اللغويين والنحاة في السعي وراء الغريب ما ورد في الأثر وهو قول الجرمي:

سألت أبا عبيدة عن قول الراجز:

أهَدَموا بيتك لا أبا لكا وأنا أمشي الدَّألَى سوالكا

فقلت: لمن هذا الشعر فقال: هذا ما يقوله الضبّ للحِسْل أيام كانت الأشياء تتكلم[5]. والبيت من شواهد «الكتاب»[6].

ومن هذه الشواهد التي تكلّموا في أنها موضوعة الرجز المشهور:

أعرف منها الجيد والعينانا ومنخرين أشبها ظبيانا[7]

وعلى استشهادهم به قالوا: انه مصنوع. وذكر السيوطي في «الاقتراح»[8]: عن

---

(١) الأغاني ٥/١٧٣، وخزانة الأدب ١٢٩/٤

(٢) مجاز القرآن ٩٣/١، ومراتب النحويين ص ١٤، ومجالس العلماء ص ٢٣٥، وبغية الدعاة ٢٣١/٢. وقد اجتهد الشيخ محمد الخضر حسين فنفى الخبر محتجاً بصلاح ابي عمرو (انظر «نقض كتاب في الشعر الجاهلي») ص ٢٧٦ـ٢٧٧

(٣) نوادر ابي علي القالي ص ١٩٨

(٤) الموشح ص ٥٣

(٥) الكامل للمبرد (مطبعة الاستقامة، القاهرة) ٣٥٦/١

(٦) الكتاب (سيبويه) ١٧٦/١

(٧) شرح ابن عقيل ٦٥/١

(٨) الاقتراح (ط. دلهي ١٣١٤) ص ٢١ـ٢٢

المرزباني ان المولدين قد وضعوا أشعاراً ودسّوها على الأئمة، فاحتجوا بها ظناً منهم أنها للعرب، ثم ذكر البيت.

على أني لا أنكر ان جمهرة شواهدهم عدا هذه المناكير، كان من الكلام الجيد الصحيح ومما لا يشك في نسبته الى قائليه.

وإنّا لَنجِد طائفة من الشواهد قد نُسِبت الى القبائل، ولكن هذه النسبة لا توحي بالتثبّت والصدق. وكأن الأشعار الى هذه «اللغات» التي خرجت عن العربية العامة التي يحسن تسميتها «مشتركة» وردت في تأييد قراءة من القراءات النادرة، في آية من الآيات على ان صاحب القراءة من المعدودين بين أهل القراءات العالية. ومن ذلك قراءة حمزة في قوله تعالى: «وما أنتم بمصرخيِّ»[1] بكسر الياء، وقرأ كذلك يحيى بن وثاب وسليمان بن مهران، وحُمران بن اعين وجماعة من التابعين[2]. ونقل قطرب أنها «لغة» بني يربوع وأنشد:

ماضٍ اذا ما هَمَّ بالمضيِّ قال لها: هل لك ياتا فيِّ

قالت له: ما أنت بالمرضيِّ[3]

وقالوا في الفعل «يئس» بمعنى «علم» في قوله تعالى: «أفلم ييأس الذين آمنوا»،[4] وقالوا: ومنه قول سحيم بن وثيل اليربوعي:

أقول لهم بالشِعبِ إذ يأسرونني ألم تيأسوا أنّي ابن فارسِ زَهْدَمِ

وقالوا: هي لغة النخع وهوازن[5].

أقول: اذا كان سحيم يربوعياً فلِمَ جاء شيء من «لغة» النخع وهوزان في شعره؟ ليس هذا من المحال البعيد، ولكنه غريب يستوقف النظر.

ومن ذلك «ذو» و«ذات» بمعنى الذي والتي في لغة طيء. حكى الفرّاء «بالفضل ذو فضلكم الله به والكرامة ذات أكرمكم الله بها»[6].

ومن ذلك قولهم ان قبيلة هذيل يقلبون الألف في آخر الكلمة ياء عند اضافة الكلمة الى ياء المتكلم، واستشهدوا على هذا بقول ابي ذؤيب:

سبقوا هَوَيَّ واعنقوا لهواهمو فتخرّموا، ولكل جنب مصرع[7]

---

(١) سورة ابراهيم ٢٢

(٢) النشر في القراءات العشر ٢٩٩/٢

(٣) مجمع البيان للطبرسي (ط. طهران) ٢١٢/١٣، خزانة الأدب ٢٥٩/٢

(٤) سورة الرعد ٣١

(٥) قطر الندى (لابن هشام) ص ٦١

(٦) المصدر السابق ص ١٠٤

(٧) المصدر السابق ص ٢١، ومثل هذا ما جاء في شواهد الكتاب ٣١٨/١: يا ابنة «عمّا» لا تلومي واهجعي»

اقول: اذا كان هذا في لغة هذيل فلِمَ لا نجده في سائر أشعار أبي هذيل، ولِمَ لا نجد في شعر الهذليين الذي وصل الينا منه طائفة كبيرة؟[1]

والذي أراه ان هذا من صنع اللغويين وتوشيتهم للنصوص التي وقعوا عليها. واذا كان أبو ذؤيب قد سلك هذه «اللغة»، أفلا يكون نظير الشعراء الذين ملكوا ناصية اللغة وزهوا بأنفسهم فراحوا يرسلون القول فيذهب لغة ونصاً يعتدّ به ويستشهد.

ومن هذا قول الفرزدق:

يا مَروُ إنّ مطيتي محبوسة ترجو الحباء وربّها لم ييأس[2]

وقول اوس بن حجر:

تنكّرتِ منّا بعد معرفةٍ لَمي وبعد التصافي والشباب المكرم[3]

وقول عمر بن أبي ربيعة:

قفي فانظري يا أسمُ هل تعرفينَه أهذا المغيريُّ الذي كان يذكَرُ[4]

ومثله قول لبيد:

يا أسمُ صبراً على ما كان من حَدَثٍ ان الحوادث مَلْقيٌّ ومنتظَرُ[5]

أقول: هذه الأبيات لا يمكن إلا أن ننسبها الى سطوة الشعراء وتمكنهم، ولا أقول: ان الضرورة ألجأتهم فحذفوا من الاسم المنادى ما حذفوا، فجاء النحويون ووضعوا باب «الترخيم».

لا أريد أن أذهب الى ان هذه «اللغات» التي اصطلح عليها المعاصرون «لهجات» غير صحيحة، ولكني أقول: ان ما عندنا من فوائد لغوية لا تعين على إقامة بناء لكل «لغة»، وسأعرض للمادة التي وصلت الينا مما هو خاص بتميم.

وقد يكون السبب في هذا منذ البدء هو ان العرب نظروا في الأفصح والفصيح وغير الفصيح، ولنعرض لهذه البداية التأريخية.

ولنقف على الحديث المشهور الذي حظي بالعناية لدى أهل الحديث ولدى اللغويين على حدّ سواء، ذلك هو قول الرسول الكريم ـ صلوات الله عليه ـ:

---

(١) انظر شرح اشعار هذيل، وديوان الهذليين

(٢) الكتاب ٣٣٧/١

(٣) المصدر السابق ٣٣٦/١

(٤) وهو من الرائية المشهورة «أمن آل نعم...»

(٥) الكتاب ٣٣٧/١

«نزل القرآن على سبعة أحرف، او قال سبع لغات»[1]

قال ابن فارس: خمس بلغة العجز من هوازن، وهم الذين يقال لهم عليا هوازن، وهي خمس قبائل أو أربع، منها سعد بن بكر وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف.

قال أبو عبيد: وأحسب افصح هؤلاء بني سعد بن بكر، وذلك لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «أنا أفصح العرب ميد[2] أني من قريش، وأني نشأت في بني سعد بن بكر»[3] ، وكان مسترضعاً فيهم. وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: «افصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم»[4] .

أقول: ومن هنا تدخل «لغة تميم» (السفلى) في القسم الأفصح من «اللغات»[5] .

وأودّ أن أقف وقفة قصيرة على الحديث مفيداً من معنى «بيد» التي عرض لها شراح الحديث الشريف فقالوا هي «غير» فأقول:

كأن الرسول الكريم ـ صلوات الله عليه ـ أراد أن يقول: انه أفصح العرب طراً لأنه نشأ في بني سعد بن بكر، وإن كان من «قريش».

وهذا يعني ان لغة قريش ليس لها الفصاحة العليا التي عرفت في بني «سعد بن بكر».

وقد يكون هذا التأويل صحيحاً، ذلك ان لغة قريشٍ ما كان لها أن تتصف بالنقاء والسلامة لأن مجتمع قريش مجتمع مفتوح ينلسّ فيه أقوام شتى يأتون حاجين أو قاصدين المنفعة. وليس لمجتمع كهذا أن يكون سليماً مما يعرض للغته وعاداته وسلوكه.

ثم ان الحديث الشريف الذي ذكرناه آنفاً وهو: «نزل القرآن على سبعة

---

(١) الصاحبي ص ٤١، المزهر ١/٢١٠ـ٢١١

(٢) الفائق (ط. الحلبي ١٣٦٦) ١/١٢٣، النهاية (ط. العثمانية) ١/١٠٣ وفيه: «بيد» بمعنى غير

(٣) الصاحبي ص ٤١

(٤) المصدر السابق

(٥) و«اللغات» في هذا النص، والنصوص الأخرى في المصادر القديمة تنصرف الى ما يدعوه المعاصرون «لهجات». قال ابن دريد في الجمهرة (المقدمة ص ٤ـ٥): ومثل الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم، وهي لغة سائرة في اليمن، مثل «جمل» اذا اضطروا قالوا: «كمل»

أقول: ربما لم يصب ابن دريد في قوله وقصّر، ذلك أنه أراد نطق القاف في عصرنا في اللغات المحكية في بلدان الخليج والسعودية، والعراق والسودان وجهات أخرى، وهو نطق سامي قديم ثقيل كنطق الغربيين للحرف (G).

أحرف أو لغات» وقد ذكر الشراح ما المراد بالأحرف السبعة أو اللغات السبع، وليس في تلك الشروح ذكر لقريش.

فان تاريخ القرآن، وما ورد فيه من قراءات يبعد بيسر ان تكون لغة القرآن لغة قريش، وسنجد في الفروق بين الحجاز وتميم من الناحية اللغوية ما يؤيّد ما ذهبنا إليه.

ما وصل الينا من لغة «تميم»

وهذا هو القسم الذي يلي «المقدمة» التي سبقت هذا الذي سأجتهد في جمعه وتصنيفه، وهو من غير شك يتصل شيء منه بالأصوات، وشيء آخر ببناء الكلمة، ثم أعرض لما هو داخل في النحو وأختم هذا القسم بما يتّصل بالدلالة.

على أني في هذا القسم ليس لي أن أدعي أني وصلت الى لغة تميم على نحو ما يصنع المعاصرون الذين قعدت بهم مادة الدرس الناقصة، ولكنهم ساروا في الطريق الذي لم يوصلهم الى ما خططوا. قلت بين يدي هذا البحث ان الدرس الجاد ينفي أن تكون الشذرات التي وصلت الينا مادة بحث تؤدي الى تصور وافٍ للمسألة.

قلت ان ما يدخل في لغة تميم شيء خاص بالأصوات، على أن هذه المادة بعيدة عن أن تكون كاملة مستوفية للناحية الصوتية، ولكننا سنستقري هذه المخلفات وندرجها فيما يلي هذه الأسطر فنقول:

١ـ السكون والحركة:

جاء ان تميماً وربيعة يسكنون العين في «الثلْث» الى «العُشْر»، في حين ان أهل الحجاز وبني أسد يضمّون العين في هذه المواد[١].

وقال الأصمعي: الضَبُع (بضم العين لغة قيس، وتميم تقول: «الضَبْع» بالاسكان)[٢].

ومنه أن تميماً وربيعة يقولون «العُمْر» بتسكين الميم، وأهل الحجاز يضمون الميم[٣].

وكذلك في «عضد» فتميم تقول بتسكين الضاد، وأهل الحجاز يضمّونها[٤].

---

(١) تفسير القرطبي ٥/٦٣ـ٦٤

(٢) المذكر والمؤنث لأبي بكر الانباري ١/٨١

(٣) لسان العرب

(٤) المذكر والمؤنث ١/٣٨٤

ومنه «العنق» بالإسكان لدى تميم، وكذلك ربيعة، وأهل الحجاز يضمّون النون[1].

وليس لي أن أقول: ان سائر ما ورد على «فعل» من الأسماء كذا يكون لدى تميم، ولدى أهل الحجاز.

وأضيف الى هذا أن من قرأ «عُرْب» باسكان الراء تبع تميماً في هذا[2] وكذلك «رسل» بالإسكان[3].

٢ـ الضم والكسر:*

وهذا يدخل في باب الأصوات الصائتة، وها نحن نستقريه في لغة التنزيل فنسجل ما ورد منه في كتب القرآن والتفسير واللغة، والمراد بالضم والكسر ضم الفاء وكسرها، واليك شيئاً من هذا:

أسوة بالضم في لغة تميم وقرأ بها عاصم، وبالكسر في لغة أهل الحجاز ولغة بني أسد[4].

رُحلة بالضم في لغة تميم، والكسر لدى أهل الحجاز[5].

ثُمرة بالضم في لغة تميم، والكسر لدى أهل الحجاز[6].

رضوان بالضم في لغة تميم، وقرأ بها عاصم (آل عمران ١٦٢، ١٧٤)، والكسر لدى أهل الحجاز[7].

رُفقة بالضم في لغة تميم، والكسر لدى أهل الحجاز[8].

زُعْم بالضم في لغة تميم، والكسر لدى أهل الحجاز[9]. في حين ان بعض تميم وبعض قيس يكسرون الزاي[10].

صُنوان بالضم في لغة تميم، والكسر لدى أهل الحجاز[11].

---

(١) الأصول لابن السراج ٤٨٠/٢، وكذلك المذكر والمؤنث ٢٨٣/١

(٢) البحر المحيط ٢٠٧/٨ وهي قراءة أبي عمرو وحمزة وعاصم في قوله تعالى في سورة الواقعة ٣٧

(٣) الأصول لابن السراج ٤٨٠/٢

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (ط. المكتب الاسلامي ١٩٦٤ـ١٩٦٧) ٣٦٧/٦

(٥) اصلاح المنطق ص ١١٥

(٦) اللغات في القرآن (رواية ابن حسنون...) بيروت ص ٢٤

(٧) البحر المحيط ٣٩٨/٣

(٨) اصلاح المنطق ص ١١٥

(٩) التهذيب ١٥٨/٢

(١٠) البحر المحيط ٢٢٧/٤

(١١) المصدر السابق ٢٥٧/٥، والكشاف ٥١٣/٢

غُلظة بالضم في لغة تميم، وقرأ بها أبو حيوة والسلمي وغيرهما، وبالكسر في لغة أهل الحجاز[1].
قُدوة بالضم في لغة تميم، والكسر لدى أهل الحجاز [2].
رُبّيون بالضم في لغة تميم وقرأ بها عبدالله بن مسعود [3]، وبالكسر لدى أهل الحجاز.
قُرح بالضم في لغة تميم، والكسر لدى أهل الحجاز [4].
عُشوة بالضم في لغة تميم، والكسر لدى أهل الحجاز [5].
مُرية بالضم في لغة تميم، والكسر لدى أهل الحجاز [6].
قُثّاء بالضم في لغة تميم وقرأ بها ابن مسعود، وبالكسر في لغة أهل الحجاز [7].

على ان مما ينبغي أن يقال ان الضم في حركة الفاء الذي سبق الكلام عليه لدى تميم ليس خاصاً بتميم، ومن هذا ان «رضوان» بكسر الراء لدى أهل الحجاز هي مضمومة الراء لدى تميم وبكر وقيس [8]. وان إسكان العين فيما ورد على «فُعل من الأسماء قد يعرض في الأفعال الثلاثية، وليس لي أن أقول: انه يلاحظ في الكثير منها، فالذي وقفت عليه ان «عَلِمَ» الفعل الثلاثي تسكّن عينه لدى بكر بن وائل وتميم، قرأ زيد بن علي «بما رَحْبَت»[9].

٣ـ ظواهر لغوية أخرى[10]:

---

(١) اصلاح المنطق ص ١١٥

(٢) المزهر ٢/٢٧٧

(٣) تفسير الطبري ٢/٢٢٩ـ١٣٠، البحر المحيط ١/٥٣٣

(٤) اللغات في القرآن ص ٢١، ما ورد من لغات القبائل ١/٦٩

(٥) المزهر ٢/٢٧٧

(٦) المصدر السابق ٢/٢٨٧

(٧) زاد المسير ١/٨٧

* وبنو تميم قرأوا «يعرشون» بكسر الراء فجاءت على غير المشهور. انظر الجامع لاحكام القرآن ٧/٢٧٢

(٨) البحر المحيط ٢/٣٩٨، وتاج العروس (رضو). * انظر اللسان (ضلل)، وكذلك تاج العروس

(٩) البحر المحيط ٥/٢٤. وقرأ ابو السمال «حَسْنَ» (النساء ٦٩) بلغة تميم. انظر البحر المحيط ٣/٢٨٩

(١٠) أريد في هذه «الظواهر» ما اتصل بلغة تميم، وهذا يعني ان ما وافقت فيه تميم غيرها من القبائل ليس من وكدي ان اعرض له لأنه خارج عن نطاق البحث

١ـ كسر حرف المضارعة

وتكسر تميم وقبائل أخرى حرف المضارعة خلافاً لأهل الحجاز[١] ، فهم يقولون: أنا إِعلم، ونحن نِعلم، وأنت تِعلم، وكذا في المثال الأجوف والناقص اذا كان على بناء «فعِلَ» بكسر العين نحو: إِيجل وإِخال، وإِشقَى. وكذلك المضاعف نحو إِعضّ، وكذلك فيما أوله همزة وصل نحو: تِستغفر وتِحرنجِم.

٢ـ ظاهر الاتباع

وهو ان تتبع حركة الفاء حركة العين في الكلمة كما في «شهيق» بكسر الشين، وبعير بكسر الباء، وهذا لم يختص بتميم وحدها بل انه لغة قيس أيضاً ولغة أسد[٢] .

٣ـ أولئك:

لغة أهل الحجاز «اوليك بالياء»، وأهل نجد وربيعة وقيس وأسد يقولون اولئك بهمزة. ولا بدّ لي ان أشير هنا الى اضطراب المصادر في عزو الظواهر اللغوية الى أصحابها. لقد واجهنا كثيراً فيها ان لغة الحجاز تقابل لغة تميم ولا سيما في الكتب النحوية، فهل لنا الآن ان نجعل «نجداً» في هذه الإشارة الجغرافية تعني لغة تميم؟

ان تميماً كما عرفنا من المصادر قد استوطنت البلاد الواقعة شرقيّ نجد ممتدة الى الشرق حتى اليمامة ومنبسطة من الشمال الى الجنوب، واذا كان هذا فليس كل نجد مواطن تميم.

وكيف لي والحالة هذه أن أفهم على وجه من الضبط قول المصادر مثلاً:

لغة تميم وقيس وكثير من أهل نجد[٣] . ولغة تميم وربيعة وأسد وجميع أهل نجد[٤] ولغة تميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون[٥] .. وقد نسمع قولهم: «لغة نجد وتميم خاصة» أو «لغة تميم وأهل نجد».[٦] وأقوال المصادر هذه تكشف عن صفحة من عدم العلم والضبط الذي يقتضيه في عزو المسائل اللغوية الى أصحابها.

ومن هذا الاضطراب نجد ان لغة «نجد» تقابل لغة أهل الحجاز فيقال مثلاً:

أهل نجد يذكرون فيقولون: هذا بقر، وأهل الحجاز يؤنثونه فيقولون: هذه

---

(١) الكتاب ٢/٢٥٦ـ٢٥٧ ، المخصص ١٤/٢١٦ـ٢١٨

(٢) التهذيب ٧/١٢٢

(٣) زاد المسير ١/١١٩

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٩٤ ، التهذيب ١٤/٢٩٨ (فتن)، فعل وافعل لأبي حاتم السجستاني ص ١٩٩ ، التبيان في تفسير القرآن للطوسي ٣/٣٠٨، تفسير القرطبي ٥/٣٦٣

(٥) المخصص ١٧/٢٤ ؛ تفسير الطبري ٢/٤٤٦ ، زاد المسير ١/٦٥

(٦) اصلاح المنطق ص ٣٠، المخصص ١٥/٧٤، البارع ص ٢٤، البحر المحيط ١/٢٨٢

بقر، وكذلك كل جمع كان واحده بالهاء وجمعه بطرح الهاء[1].

ان استعمال الشعراء للكلمة لا يعني انهم التزموا بلغة قبيلتهم، ذلك ان الشاعر محكوم بالوزن فهو يلجأ الى اللغة التي تجيزها أية قبيلة كقول الفرزدق:

أبا حاضرٍ من يزنِ يعرف زناؤه ومن يشرب الخرطوم يصبحْ مُسكَّرا[2]

وقوله:

اخضبتَ عودك للزناء ولم تكن يوم اللقاء لتخضب الأبطالا[3]

أقول: لم يمدّ الفرزدق «الزناء» أخذاً بتميميته، ولكنه صار اليها لما يقتضيه الوزن، والدليل على ذلك ان «الزنا» بالقصر ورد في شعره وشعر جرير، والقصر لغة أهل الحجاز، والقصر في الزنا أكثر، وبها لغة التنزيل، وان وردت لغة المدّ فيها في طائفة من القراءات.

ومن هذا الاضطراب اننا نرى قولهم: «لغة تميم وأهل نجد»[5].

ومن هنا لا يمكن أن يأتي الدارس الجاد بشيء يفرضه علينا فيعنون كتاباً له مثلاً بـ«لغة قريش» أو «لغة الحجاز» او «لغة بكر بن وائل» أو «لغة تميم».

ونعود الى «أولى» فنرى كتب النحو تنسب الى تميم القصر فيها[6].

واجتزئ بالذي ذكرت مما يتصل بالأصوات الصائتة فأتحول الى ما كان من الأصوات الصامتة فأقول: ومن هذا ان السين تبدل صاداً مع الطاء والقاف والخاء والغين[7] كما في صراط وصَقر (أي سقر) وصخب ولصق وصغد وغير ذلك، في حين يبدل السين زاياً لدى ربيعة كما في قولهم: لزق في لسق.

ومن ذلك ما عرف بـ«الكشكشة» التي عدت من اللغات المذمومة كما أشرنا في «المقدمة»، وهي لغة بني أسد أيضاً[8]. وحد «الكشكشة» ابدال الكاف شيناً

---

(١) التبيان في تفسير القرآن ٣٩٨/١، وهل لنا ان نفهم ان المراد بـ«نجد» هو لغة تميم كما يتضح ذلك مما ورد في البحر المحيط ٨٣/١ و٥١١/٥، و٣٨٠/٢، والتسهيل ص ٨٤، ان هذا كله يثبت اضطراب المصادر وعدم وضوح الرؤية الذي يؤدي الى القول اعتباطاً

(٢) زاد المسير ٣١/٥، ولم أجد البيت في ديوان الفرزدق

(٣) المصدر السابق ٣٢/٥، وليس البيت في الديوان

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٣٧٧، وزاد المسير ٣١/٥

(٥) اصلاح المنطق ص ٣٠، المخصص ٧٤/١٥، البارع ص ١٢٤، التسهيل ٢٥٤، البحر المحيط ٢٨٢/١

(٦) قطر الندى لابن هشام ص ١٠٥

(٧) التهذيب ٣٧١/٨ (لصق)، تاج العروس ٦١/٧ (لصق)

(٨) الكتاب ٢٩٥/٢، شرح الكافية ٤٥٤/٢

فيقولون: «عليشَ» بمعنى «عليكَ»[١] وأنشدوا:

فعيناشِ عيناها وجيدُشِ جيدها ولونُشِ إلاّ أنها غير عاطل[٢]

وقال آخرون: بل يصلون بالكاف شيناً فيقولون: عليكش[٣].

أقول: كأن ابن فارس لم يتأكد من حدّ ما يسمى «الكشكشة»، والذي أراه ان الشين ليست شيناً صريحاً بل هي المشوبة ببعض الجيم على لغة العراقيين وأهل الخليج في كل كاف وليس كاف الخطاب وحدها.

ومن ذلك أيضاً ما يسمى «العنعنة» من المواد التي جعلت من اللغات المذمومة، وهي لغة تميم وبني أسد[٤] أيضاً وتتلخّص بقلبهم الهمزة عيناً في بعض كلامهم: يقولون: سمعت «عَنَّ» فلاناً قال كذا، يريدون: أنّ فلاناً...

وروي في حديث قَيلة[٥] «تحسب «عنّي» نائمة».

قال أبو عبيد: أرادت تحسب «أني»، وهي لغة تميم[٦].

وقد مرّ بنا ظاهرة الاتباع كما في «بعير» بكسر الباء اتباعاً لكسرة العين، وأريد أن أقول هنا ان هذا الاتباع أكثر ما يظهر مع أصوات الحلق كما في «سِعيد» و«رِغيف»[٧].

وللشبه الكبير في طبيعة أصوات الحلق وصفاتها وقرب أحيازها يتم بينها الإبدال، ومنه ابدال العين حاءً كما في كلمة العرجلة (من الفاظ الخيل) تكون «الحرجلة» بلغة تميم[٨]. وكذا ابدال العين من الحاء في قولهم: «عشّمس» قال أبو عمرو بن العلاء: أصله عبّ شمس أي حبّ شمس، وهو ضوؤها، والعين مبدلة من الحاء[٩].

وابدال الغين من العين في «العلّ» فتكون «الغَنّ»، ومنه قول الفرزدق

---

(١) الصاحبي ص ٣٥

(٢) البيت للمجنون كما في الجمهرة ٢٦/١ وغير منسوب في «اللسان» ٢٣٣/٨

(٣) الصاحبي ص ٣٥

(٤) التهذيب ١١١/١-١١٢ وانظر: سر صناعة الاعراب ٢٣٧/١، والمفصل للزمخشري ٢١١/٢-٢١٣

(٥) هي قيلة بنت مخرمة العنبرية الصحابية. انظر الاصابة ١٧١/٨-١٧٣، أسد الغابة ٥٣٥/٥-٥٣٦

(٦) الصاحبي ص ٣٥

(٧) الكتاب ٢٥٥/٢، الخصائص ١٤٣/٢

(٨) التهذيب ٣٢٠/٣ (ع ج)، الصحاح ١٧٦٣/٥، التاج (حرجل)

(٩) الصحاح ٩٣٨/٢، اللسان (شمس)، المزهر ٤٨٤/١

هـل انتـم عـائجون بنـا لغنّـا		ترى العرصاتِ أو أثرَ الخيامِ

وقد تقلب العين عند بني تميم همزة، والهاء حاءً نحو «أحَدتُ إليه» أي «عهـدت اليه»، وقد جاء قول الراعي:

بأن الأحبـة بالأحد الذي أحدوا		فلا تمـالُكَ عن أرضٍ لهـا عَمَـدوا

يريد بالعهد الذي عهـدوا[1].

أقول: ان قلب العين همزة في هذا الشاهد يخالف ما درج عليه بنو تميم في هذا، والسبب في هذا أن الهمزة مقتضاة لتناسب الحاء الذي أصله الهاء.

ومن الظواهر الصوتية لدى تميم تحقيق الهمزة خلافاً للحجازيين وفيهم قريش، فهم يحقّقون الهمزة في الألفاظ التي على وزن «فِعْل» اذا كان في موضع العين من الفعل ألف ساكنة ما قبلها مفتوح نحو: رأس وفأس ،وكأس فهذه راس وفاس وكاس، أو ياء ساكنة ما قبلها مكسور نحو: ذئب وبئر في ذيب وبير، او واو ساكنة ما قبلها مضموم نحو: شُؤم ولُؤم في شُوم ولُوم[2].

أقول: مما فات اللغويين الاقدمين انهم جهلوا طبيعة المدّ في حركة الفتح أي ما ندعوه ألفاً، وكذلك الياء والواو حرفي مدّ، وتخيّلوا انها ساكنة، ولم يدركوا انها أصوات مدّ، على أنهم قالوا، الفتحة بعض الألف، والياء بعض الكسرة، والواو بعض الضمة[3].

ثم إن تحقيق الهمزة في الألفاظ آنفة الذكر هو شيء مسموع في هذه الألفاظ، وليس بقياس متلئب، وانما يحفظ عن العرب كما قالوا[4].

والهمز هو «النبر» وهو ما التزمت به العربية الفصيحة في الشعر القديم، ثم في لغة التنزيل[5].

---

(١) المصدر السابق

(٢) الجمهرة ٢٩٣/٣، المخصص ١٣/١٤

(٣) انظر قول ابن جني الحركات أبعاض حروف المد في «الخصائص»

(٤) المخصص ١٣/١٤

(٥) والنبر في لغة المعاصرين هو الضغط الذي ينتج عنه صوت يتأتى من انطباق الوترين الصوتيين والغضروفين الهرميين في الحنجرة انطباقاً كاملاً وشديداً بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقاً فيحتبس داخل الحنجرة، ثم يسمح له بالخروج على صورة انفجار، ومن هنا فالهمزة صوت انفجاري يحتاج جهداً عضلياً كبيراً (القراءات القرآنية ص ٢٤). وقد اختلف في الهمزة أمجهورة أم مهموسة، على حين أنها مجهورة لدى سيبويه وشديدة (الكتاب ٤٠٥/١-٤٠٦)

وقد يكون تحقيق الهمزة من عادات النطق لدى تميم، وليس لعلة صوتية، فقد عرف عن رؤبة الرجاز أنه كان يهمز «الشدوّة» و«سئة» القوس، والعرب لا تهمزهما[1] . كما روي أيضاً ان العجاج كان يكثر من الهمز فيهمز ما لم يسمع همزة نحو العالَم والخاتَم فيقول: العألم والخأتم[2] .

قلت ان التحقيق من العادات اللغوية، ولولا العادة والدربة ما كان للعجاج ان يركب هذا المركب الخشن.

وليس لنا ان نتمسك بتحقيق الهمزة لدى تميم دون أن يشار الى سبب ذلك، كما أن قلب الهمزة عيناً لا يدلّ لم يكن في كل موضع، وان كثرت الشواهد.

ان تحقيق الهمزة قد يأتي ابتعاداً من مقطع طويل يحدثه الف المد الذي يليه صامت ساكن (وهو ما يدعى خطأً التقاء الساكنين في مصادرنا اللغوية). ومن هنا قرئ في الفاتحة «ولا الضألّين»[3] بالهمز، وهذا كقولهم في دابّة وشابّة «دأبّة» و«شأبّة»[4] . وقال أبو زيد: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ «فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جأن»[5] فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب دأبّة وشأبّة[6]

أقول: وليس من هذه القراءات ما سمع من صيرورة «افعالّ» «افعألّ» في الشعر كقول كثيّر عزة:

وأنتَ ابنُ ليلَى خير قومِكَ مشهداً ... اذا ما احمَأرّتْ بالعبيط العوامِلُ[7]

وقول الفرزدق:

رَأَتْ كَمَراً مثلَ الجلاميد فُتّحتْ ... أحاليلُها لمّا اثمَأرّتْ جذورُها[8]

وممّا أنشده الفرّاء:

قد بَكَرَتْ شَبْوةُ تَزبَئِرُّ ... تكسُو اسْتَها لحماً وتَمطِرُّ

(المذكر والموئث ص ٦٠)

---

(١) جوامع اصلاح المنطق ص ٧٧

(٢) سر صناعة الاعراب ١/١٠٢

(٣) سورة الفاتحة ٧

(٤) البحر المحيط ١/٣٠

(٥) سورة الرحمن ٣٩

(٦) البحر المحيط ١/٣٠

(٧) الديوان ص ٢٩٤

(٨) النقائض ١/٥٢٧

والذي دعا الى هذا أن ما جاء على «افعالّ» من الأفعال، وما يشتق منها من الابنية لا يمكن أن يدخل البناء الشعري إلا أن يكون من المتقارب الذي يمكن منه كما جاء ذلك في شواهد نادرة.

ومن تحقيق الهمزة في لغة تميم ذهابهم فيما كان أوله واو مكسورة مما كان على بناء «فِعال» و«فعالة» الى الهمزة، فقالوا: إسادة في وِسادة، وإشاح في وِشاح، وإعاء في وِعاء[1].

وقد يبدو غريباً ان يكون في لغة تميم عظاية وعباية، وليس عظاءة وعباءة[2]. ومن الغريب ان «العباءة» بالهمز، وهي الشائعة في الفصيحة المعاصرة هي عامية في الفصيحة القديمة كما في كتب اللغة.

ومن الأصوات الصامتة الضاد والظاء، وقد اختلفت لغة تميم عن لغة الحجاز فيهما، وعن الفرّاء قال أهل الحجاز وطيّء يقولون: فاظت نفسه، وقضاعة وتميم وقيس يقولون: فاضت نفسه على مثل فاضت دمعته[3].

وجاء في «لسان العرب»: فاض يفيض فيضاً وفيوضاً أي مات، وفاضت نفسه فيضاً خرجت، لغة تميم وأنشد:

تجمّع الناس وقالوا عرس ففقّئت عين وفاضت نفس[4]

وقال المفضّل: من العرب من يقول الضهر، ويبدل الظاء ضاداً فيقول: قد اشتكى ضهري[5].

أقول: ان جملة هذه التحولات الصوتية تتصل بألفاظ بعينها فهي من مادة الابدال، ولا تؤلف ظاهرة لغوية لطائفة من الناس في بيئة معينة. ويدخل في هذا قلب السين صاداً او زاياً أو غيرها.

ولا أشك في أن من يقول «ودّ» في «وتد» نتيجة لإدغام التاء في الدال من تميم أو غيرها فقد يحصل هذا أو نظيره في جهات عدة لمن ألف الادغام.

ومن هذه الفرائد مما ورد في لغة تميم أو زعم أنه فيها الابدال بين الجيم والشين قولهم: «أشا بمعنى أجاء اي ألجأ[6]، ومنه ما ورد في المثل «شرّ ما يشيئك الى مخة عرقوب».[7]

---

(١) البارع ص ٥١٠، اللسان ٤٣٣/٧

(٢) القلب والابدال لابن السكيت ص ٥٦

(٣) التهذيب ٣٩٧/١٤ (فاظ)

(٤) اللسان (فيض)

(٥) التكملة ٤٢/٢

(٦) معاني القرآن للفرّاء ١٦٤/٢، والصحاح ٥٩/١، واللسان (جيأ)

(٧) المصادر السابقة

ومن هذا قول زهير بن ذؤيب:

فيالَ تميمٍ صابروا قد أشِئتم اليه وكونوا كالمجرّبة البُسْل [1]

أقول: و«الشين» في هذه الشواهد ليست شيناً فصيحة، ولكنها الشين المشوبة بالجيم أو هي كالجيم المعاصرة في بعض البلدان العربية كالبلاد الشامية، وهي الجيم القروية في جنوبي العراق. وهذه الجيم المشوبة بالشين هي والجيم المعاصرة متحدة في المخرج والصفة، وهي ليست شيناً وذلك لأن الجيم مجهورة والشين مهموسة[2].

ومن هذه الأصوات ما كان بين الجيم والياء، فالجيم تبدل ياءً، ذكر الأزهري انها لغة في تميم معروفة[3]. والذي جاء منها قولهم: صهري في صهريج[4]، وقولهم «شَيَرة» في شجرة.[5] أقول: اذا كان هذا كل ما ورد من ابدال الجيم ياءً فهل لي أن أقول انها ظاهرة صوتية تتّسم بها لغة. ومثل هذا الابدال عكسه، وهو ابدال الياء جيماً، وقد ذكر سيبويه[6] وابن السراج[7] انه ينسب الى بني سعد من تميم، وفي «شرح الشافية» للرضي: انها لغة ناس من تميم[8]، ويتم هذا في حال الوقف، والياء شديدة أو خفيفة تبدل جيماً[9]. وتعليل سيبويه يكون في خفاء الياء وقرب الجيم منها في المخرج هو كونها أظهر من الياء[10]. فيقال في «تميميّ» و«عليّ» تَميمج وعَلَجّ، ومنه قول الراجز:

خالي عُوَيْفٌ وأبو عَلِجِّ المطعمان اللحم بالعشجِّ
وبالغداة فِلَقَ البرْنجِّ يُقطَعُ بالودِّ وبالصيصجِّ

يريد عليّ والعشيّ والبَرنيّ والصيصيّ[11].

---

(1) الصحاح ٥٩/١
(2) اللسان ٢٠٥/٢ (أول حرف الجيم) وكذلك اللسان ٢٦٣/٦ (أول حرف الشين)
(3) التهذيب ٢٧٥/١٣ (مزي)
(4) المخصص ٣٤/١٤، أمالي القالي ٢١٤/٢، الابدال لأبي الطيب ٢٦١/١
(5) القلب والابدال لابن السكيت ٢٩
(6) الكتاب ٢٨٨/٢
(7) الأصول ١٣٨/٢
(8) شرح الشافية ٢٨٧/٢
(9) الكتاب ٢٨٨/٢، وكذلك الأصول، وشرح الشافية
(10) الكتاب ٢٨٨/٢، شرح الشافية ٢٨٧/٢
(11) الكتاب ٢٨٨/٢، سر صناعة الاعراب ١٩٢/١

أقول: لم نر غير هذا الشاهد إلا ممثلاً بالرجز الذي روي روايتين مختلفتين.

وقد ذكر ان تميماً تلحق القاف باللهاة حتى تغلظ جداً فيقولون القوم بين الكاف والقاف، وهذه لغة فيهم[١] . وهي بذلك تبتعد عن الجهر الذي هو صفة القاف وتقرب من الكاف المهموسة.

أقول: وهذا هو الشائع في عامية أهل العراق وأهل الخليج ونجد والسودان وغيرهم في عصرنا.

غير ان اللغويين لم يستشهدوا على هذه الظاهرة إلاّ بالبيت الذي لم ينسبوه الى قائل[٢] ، وانشدوا:

ولا أكول لِكِدرِ الكومِ كد نضجت ولا اكول لباب الدار مكفول[٣]

أقول: وكأن هذا الشاهد لا يحمل على الاستيثاق منه، فقد روي روايات مختلفة وهي:

ولا أكول لقدر القوم قد غليت ولا أكول لباب الدار مغلوق[٤]

وجاء في «الصحاح» للجوهري من الأقوال التميمية قولهم: ما أدري اين «بكَعَ» بمعنى بقَعَ أي ذهب[٥] .

ومن هذا الابدال الذي نسب شيء منه الى تميم هو ما كان بين الثاء والفاء، فقد ذكروا جملة كلمات بالثاء في لغة تميم، وهي نفسها بالفاء في لغة الحجازيين، ومن هذه اللثام[٦] والأثاثي ومُغثور (وهو ضرب من الكمأة) وثوم في لغة تميم[٧] ، وهي جميعها بالفاء في لغة أهل الحجاز.

---

(١) الجمهرة ٥/١، الصاجي ص ٥١

(٢) لم ينسب في كثير من المصادر كاصلاح المنطق ص ٢١٣، والصحاح ٤٤٨/٦، في حين جاء في لسان العرب ان الشاعر أبو الأسود، ولم أجده في ديوانه

(٣) الجمهرة ٥/١

(٤) فصيح ثعلب ص ٤٠

(٥) الصحاح ١١٨٨/٢ (بكع)

(٦) الصحاح ٢٠٣١/٥، المخصص ٣٩/٤، اللسان ٥٣٣/١٢

أقول: لقد جاء في كتب اللغة هذه ان «اللفام ما كان على طرف الأنف، فان كان على الفم فهو اللثام»، ولم يكن لنا ان نلمس هذا الفرق الدلالي في النصوص التي وصلت الينا

(٧) وقرأ عبدالله بن مسعود بالثاء، وهو هذلي، وليس تميمياً، وحين اختلف القراء في قوله تعالى «وفومها» أو «وثومها» ذهب المفسرون مذهباً دلالياً فقالوا: الفوم حب يشبه العدس، وقالوا الحنطة، وقالوا شيئاً آخر، وكأنهم عدوا قراءة ابن مسعود بالثاء خارجة، أو هو ابدال ليس غير، ولم يرد اهتمامهم بنسبة القراءة الى لغة تميم

أقول: واذا كان هذا العدد القليل في لغة فهل يؤلف ظاهرة لغوية؟ ولو كانت كذلك لكان عامة الألفاظ التي فيها الفاء تكون ثاء في لغة تميم، ولم يقع شيء من هذا.

ولا أدري كيف يتيسَّر لنا ان نواجه ما قيل من ان (الجدث بالثاء القبر في لغة أهل الحجاز، وهو الجدف بلغة تميم)!!

ومثل هذه الفرائد القليلة التي لا تؤلف ظاهرة لغوية ما كان من ابدال الميم نوناً ومنه:

الدِمْدِم وهو الصلّيان المحيل في لغة بني أسد، وهو في لغة تميم «الدِنْدِن»

ومن هذا مما يدخل في الميم والنون: الأيْم بمعنى الجان من الحيّات في لغة أهل الحجاز، وهي «الأين» تميم[1].

كما أبدلوا اللام في اسرائيل نوناً، اسرائين[2]، وكذلك «لَعَنَّك» في «لعلّك»[3]

كلمة أخيرة في هذه المخلفات اللغوية:

أقول: ليس لنا أن نتخذ من هذه الشذرات فيما يتصل بالإبدال مادة تفي بحاجة أهل العلم فنبسط امامهم مادة لغوية كافية في معرفة الجانب الصوتي في لغة تميم، كما انه ليس في طوقنا ان نضع شيئاً مماثلاً في لغة الحجازيين، مع علمنا ان الخارطة اللغوية لدى كل من هؤلاء واولئك غير معروفة ضبطاً وان هذه الأقاليم الواسعة تشتمل على لغات عدة، ولكن التاريخ اللغوي لم يذكر عنها ما فيه الكفاية.

ما يتصل بالأبنية:.

تشدد النون في الأسماء الموصولة وأسماء الاشارة في لغة تميم فيقولون اللذانّ واللتانّ وهذانّ وهاتانّ وتخفف في سائر لغات العرب (شرح التصريح لخالد الأزهري ١٣٢/١)

جاء في كتب اللغة والنحو أن تميماً يقولون: مبيوع ومديون ومصوون[4]،

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٦٦/١، المخصص ١٠٩/٨

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢٣١/١

(٣) الصحاح ٢١٩٦/٦

(٤) ليس للدارس ان يعتمد الشعر فيتخذ منه مادة لغوية تشير الى الخارطة اللغوية التاريخية، فأنت تقرأ قول علقمة:

حتى تـذكَّرَ بيضاتٍ وهيَّجه يومٌ رذاذٌ عليه الريحُ «مغيوم»

ولا يمكن ان تقول ان قوله «مغيوم» جرى فيه على لغة قومه تميم، ولكنها القافية ساقته إليه وليس له أن يقول: مغيم على القياس المشهور. وسنوجز القول في هذا حين نعرض للشعر والرجز

٦٩

وهي جارية على القياس أكثر مما درج عليه الحجازيون في قولهم: مبيع ومدين ومصون[١].

ومثل هذا ما كان تميم في «هَلمّ» أصل ما كانت عليه «لُمّ»[٢].

وذكروا ان أهل الحجاز يقولون: فتنت الرجل وأنا فاتن، وهو مفتون، وتميم وربيعة وأسد يقولون: أفتنت الرجل[٣].

و«العنق» مذكر لدى تميم وربيعة مع التخفيف، وهو مؤنث في لغة الحجاز مع التثقيل[٤].

و«الذهب» مذكر لدى تميم وغيرهم فيقولون: هو الذهب، وأما الحجازيون فيؤنثون ويقولون: هي الذهب[٥].

و«العَضْد» مؤنث لدى تميم مع التخفيف، وغير تميم يقولون: «العَضُد» ويذكّرونها[٦].

و«عدُس» بضم الدال قبيلة لغة تميم، وفي سائر العرب بفتح الدال[٧]

و«يستحي» بياء واحدة لغة تميم، وسائر العرب يستحيي بياءين[٨].

وما يتصل بالاعراب:

ان بني تميم افترقت فرقتين في اعراب «امس»، فمنهم من أعربه بالضمة رفعاً وبالفتحة نصباً وجراً، قالوا: مضى امسُ، واعتكفتُ أمسَ، وما رأيته مذ أمسَ، بالفتح، قال الشاعر:

لقد رأيت عجباً مذ أمسَا[٩]

ومنهم من يعربه بالضمة رفعاً، ويبنه على الكسر نصباً وجراً[١٠].

وفي «ما» النافية التي تنفي المبتدأ والخبر يذهب بنو تميم الى عدم إعمالها،

---

(١) الممتع في الصرف ٤٦٠/٢، تاج العروس ٢٦١/٩

(٢) الخصائص ١٦٨/١، ويتبعها الضمائر لدى تميم فيقولون: هلم وهلما وهلموا وهلمن (قطر الندى ص ٢٤)

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢٩٤/٢، التهذيب ٢٩٨/١٤، فعلت وأفعلت للسجستاني ص ١٩٩

(٤) الأصول لابن السراج ٤٨٠/٢

(٥) التهذيب ٢٦٣/٦ (ذهب)

(٦) المذكر والمؤنث لأبي بكر الانباري ص ٥٦

(٧) اللسان ١٣٤/٦

(٨) الاشباه والنظائر ٤٠/١ـ٤١

(٩) الكتاب ٤٤/٢

(١٠) قطر الندى ص ٩ـ١٠

ويذهب الحجازيون الى إعمالها، وقد قرئ بلغة تميم: «ما هذا بشر»[1].

ما يتصل بالدلالة:

«الكشاف» بكسر الكاف في لغة تميم وربيعة وأسد الابل التي اذا نتجت ضربها الفحل بعد أيام فلقحت، وفي لغة كنانة وهذيل وخزاعة الابل التي لم تحمل عامين[2].

و«العِدّ» بلغة تميم الكثير، وبلغة بكر بن وائل الماء القليل[3].

و«الأمَة» هي النسيان بلغة تميم وقيس عيلان[4] في قوله تعالى: «وادّكر بعد أُمَة»[5].

و«البغي» هو الحسد بلغة تميم[6]، ومنه قوله تعالى: «بغياً بينهم»[7].

و«خَشَع» بمعنى اقشعرّ في لغة تميم[8]، ومنه قوله تعالى: «انك ترى الأرض خاشعة»[9].

و«خرص» بمعنى كذب في لغة تميم[10]، ومنه قوله تعالى: «إنْ هم إلاّ يخرصون»[11].

كلمة في القرآن وقراءاته

لقد وقفنا في لغة التنزيل على مواد وافقت لغة تميم، ولكننا سنجد فيما يأتي مواد أخرى تقطع الطريق علينا في الوصول الى ما نريد من استيضاح في لغة تميم. ان هذا يؤكد ما ذهبنا إليه ان الشذرات اللغوية لا تساعدنا على بسط شيء كاف في معرفة هذه اللغة، ومن هذه الشواهد:

(١) قرأ ابن مسعود «قشطت»[12] بالقاف بدلاً من الكاف، وهي لغة تميم

---

(١) سورة يوسف ٣١

(٢) خزانة الأدب ٤٤١/١

(٣) التهذيب ٨٨/١ (عدد)

(٤) اللغات في القرآن لابن حسنون ٣٠، ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل (هامش تفسير الجلالين ط ٣) ٢١٧/١

(٥) سورة يوسف ٤٥

(٦) ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل ١٦/١، اللغات في القرآن ص ١٩

(٨) ما ورد في القرآن من لغات القبائل ١٧٤/٢، اللغات في القرآن ص ٤١

(٩) سورة فصلت ص ٣٩

(١٠) اللغات في القرآن ص ٤٢

(١١) سورة الزخرف ٢٠

(١٢) سورة التكوير ١١

كما تثبت المصادر [1] . وقد كنا رأينا ان تميماً تميل بالقاف الى ما يقربها من الكاف، فكيف نوجّه هذه القراءة، وكيف نطمئن الى مصادرنا التي أوقعتنا في التناقض.

ومثل هذا الاشكال قراءة عاصم وحمزة: «ثم جعل من بعد ضَعف قوة» [2] بفتح الضاد، في لغة تميم، وهي بالضم في غير لغة تميم [3] .

وقد رأينا ميل تميم الى الضم في كثير من الألفاظ التي وردت في لغة التنزيل، ولكننا هنا نفاجأ بما يخرم هذه المسألة. ولنا أن نقف في قراءة عاصم وحمزة على «يحسَب» بفتح السين في قوله تعالى: «أيحسَب الانسان ان لن نجمع عظامه»[4] وهي لغة تميم[5] ، وتكسر السين في قراءات أخرى منسوبة الى لغة أو غير منسوبة.

ولا أقول: ان فتح السين ظاهرة لغوية في تميم، ذلك أنها لم تتكرر.

إن هذه الاختلافات بين القراء لا تحمل الدارس على وضع شيء ثابت بصدق في ألفاظ كثيرة، فالكسر والفتح والضم من مواضع الخلاف في القراءات، وليس لنا ان نفسر كل حالة، فاذا واجهنا طائفة من الألفاظ كانت لغة لتميم فيها بضم الفاء، فان ذلك لا يحملنا على جعله ظاهرة لغوية.

واذا كان القارئ ملتزماً في لفظة بلغة تميم، فالأمر في ذلك أنه أخذها عمّن قرأ عليه واطمأن الى قراءته فلا يعني هذا ان الكسائي مثلاً قد قرأ بلغة تميم التي لا نعرف من موادها إلا اشتاتاً، كما ان الكسائي لم يسع الى هذا قاصداً.

قرأ الكسائي: «جبرئيل» فهمز وقرأ «ميكائيل» فهمز واثبت الياء في قوله تعالى: «من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال، فان الله عدو للكافرين»[6] ، وقد وافق تميماً فيما قرأ[7] . ولا أطمئن ان تكون كلمة «الحج» بكسر الكاف خاصة بتميم[8] ، وهي قراءة الكسائي وحمزة، وغيره قرأ بفتحها وذلك في قوله تعالى: يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج»[9] .

---

(١) المحكم ٩٥/٦ (قشط) و٤٢٢/٦ (كشط)، وانظر المخصص ٢٧٧/٣
(٢) سورة الردم ٥٤
(٣) زاد المسير ٣٧٨/٣، البحر المحيط ٥١٧/٤ـ٥١٨، الجامع لأحكام القرآن ٤٦/١٤
(٤) سورة القيامة ٣، وانظر سورة البلد ٥، ٧، وسورة الهمزة ٣
(٥) البحر المحيط ٣٠٨/٢
(٦) سورة البقرة ٩٨
(٧) زاد المسير ١١٨/١، ١١٩
(٨) البحر المحيط ١٠/٣
(٩) سورة البقرة ١٨٩

وقرأ بلغة تميم في قوله تعالى «سنفرَغ لكم» [١] بفتح الراء قتادة والأعرج وابو السمال [٢] .

وقرأ مجاهد وغيره بلغة تميم في قوله تعالى «فنظرة» [٣] بفتح النون واسكان الظاء [٤] .

ما نخلص اليه من القراءات والشعر

قد يعرض في أية قراءة ما يكون خاصاً بلغة تميم أو ما يمكن أن ينسب الى لغة غيرها، فاذا جاء لدى القارئ شيء من هذا فليس لنا أن نعوّل عليه كثيراً. وقد يكون القراء كالشعراء، يفيدون مما يسمعون لا يبالون ان يكون هذا الذي سمعوه موافقاً لما يتهج به قومهم أو مخالفاً له.

وإني لأرى أن العربية قد اكتسبت وحدتها، فتوحّدت لغاتها قبل الإسلام، وآية ذلك ان روائع الشعر الجاهلي في مطوّلاتها ومعلّقاتها وغير ذلك قد اكتسبت التوحيد، وأن ما قيل من أشعار القبائل لا يعدو أن يكون نسبة ليس غير. لقد وصل الينا مثلاً شعر كثير لشعراء عدة نسبوا الى هذيل [١]، غير ان هذا الشعر الهذلي لا يختلف في مادته عن شعر قبيلة أخرى، والاستقراء يؤيد هذا الذي ذهبنا اليه.

وقد يقال: لِمَ إذن خصّ النقّاد ورواة الشعر هذه النماذج بهذيل، وتلك بقبيلة أخرى؟ والجواب ان المجتمع الجاهلي مجتمع قبائل، والشعر مما تفخر به القبيلة، فكأن ذلك تسجيل لمفاخرهم ومآثرهم.

خاتمة:

وليس لي بعد هذا العرض إلاّ أن أقول: ان جملة ما وصل الينا من «شذرات» تاريخية تتصل بتراث تميم يعطي شيئاً من عربية تلك القبيلة الكبيرة ذات الفروع العديدة التي توزّعت في رقاع متباعدة من الأرض، وبقيت ماثلة على تراخي العصور.

ان البحث في لغة أيّ من القبائل يقتضينا الضبط العلمي بتحديد البلاد التي سكنت فيها القبيلة، وتحديد الحقبة.

وقد يكون من الخبط والتزيد ان نواجه هذا الأمر من غير هذا التحديد.

---

(١) سورة الرحمن ٣١

(٢) البحر المحيط ١٦٤/٨

(٣) سورة البقرة ٢٨٠

(٤) الجامع لاحكام القرآن ٣٧٣/٣، البحر المحيط ٣٤٠/٢

في لغات اليمن

وأريد بـ«لغات اليمن» ما حفظته لنا مصادر اللغة العربية من «عربية» اليمن، تلك «العربية» التي كان لها سمات خاصة، وهذا ما دعاه المعاصرون بـ«اللهجات». ولم يكن مصطلح «اللهجات» في عصرنا مما يعرفه علماء اللغة القدامى، فالسمة الخاصة في كلمة«الأصوات» و«الدلالة» سُمّيت «لغة».

ولا يفوتني في هذا الباب أن أعود الى ما ورد في النقوش السبئية مما جاء في «المعجم السبئي»، ذلك أن هذه اللغة اليمنية القديمة لا بد أن تكون قد تركت آثارها في «العربية» اليمنية في جاهليتها وإسلامها.

وعلماء العربية الاوائل قد وقعوا في ارتباك وخلط فلم يميّزوا بين الحميرية، وهي لغة يمنية قديمة، وبين «العربية» اليمنية التي هي كعربية أهل الشمال والقبائل الأخرى، لا تختلف عنها إلا في سمات صوتية وأخرى دلالية. ومن أجل ذلك رأينا أبا عمرو بن العلاء يقول:

«ما لسان حمير وأقاصي اليمن لساننا، ولا عربيتهم عربيتنا»[1].

أقول: اختلط الامر على أبي عمرو هذا وغيره من علماء العربية فلم يميزوا بين قديم سمّوه «حميرياً»، وآخر أحدث منه، وهو «العربية اليمنية» التي ورد منها في «لغات القرآن» قدر من الألفاظ. وسأعرض لهذه «العربية» كما وردت في القرآن في آخر بحثي هذا. وسيكون من منهجي في هذا البحث استقراء مصادر العربية للوقوف على «العربية اليمنية» وما ظنّه أهل العربية أنه أصل يمني.

أقول: وما ظنّه أهل الغربية أنه أصل يمني، ذلك أن أقوالهم في نسبة ما وقفوا عليه الى أصحابه لا يوحي بالثقة التامة. وسأنظر في كل مادة من هذه المواد الى الأصول السبئية في «المعجم السبئي» لأقف على المشترك الساميّ القديم، غير مستغنٍ عن النظر في «المعجمات السامية» لأتبين هذا المشترك العام الذي نقف عليه في جملة اللغات السامية. وليس لنا في هذا الباب أن نعتمد على أقوال العرب التي وسمت بنبز كل ما لم يدركوه من اللغات القديمة، فقد نبزوا الكثير من الأصول اليمنية بـ«الطمطمانية»، ولم يتردد الزمخشري في وصفها

---

(١) المزهر ١/١٧٤، وانظر طبقات فحول الشعراء ص ١١

بـ«العجمة»[٢]. وقد أشار المبرد الى هذه «الطمطمانية» مستدلاً عليها في قول عنترة:

تبري لـه حُولُ النعـام كأنـهـا ‌‌‌‌ حِزَقٌ يمانية لأعجمَ طِمْطمِ[٣]

و«الطمطمانية» أن يكون الكلام مشبهاً لكلام العجم[٤].

وسنأتي على كثير من هذا عند الكلام على «حِمير»، وعند الكلام على القبائل اليمنية، غير أني، وإن كنت أتبع حروف المعجم في عرضي لهذه الفوائد، سأبدأ بالكلام على «يمن» لانها أم الباب.

١ ـ يمن

قلت: لم يكن للغويين العرب علم حسن بل واضح عن الأصول اليمنية، فقد ورد في معجمات العربية «وقيل لناحية اليمن «يَمَن» لأنها تلي يمين الكعبة، كما قيل لناحية الشأم شآم لأنها عن شمال الكعبة، و«تهامة» من أرض اليمن، وقالوا: ان مكة من أرض تهامة، ومن هذا قيل للكعبة «يمانية». ولهذا سُمّي ماولي مكة من أرض اليمن، واتصل بها «التهائم». و«مكة» على هذا التفسير يمانية[٥].

أقول: قولهم ان «اليمن» سميت لأنها تلي يمين الكعبة، وان «الشآم» سمّيت لأنها عن شمال الكعبة، كلام من لا يعرف الأصول التاريخية، ولم يكن له إلا أن يعقد هذه المقابلة بين اليمن والشام.

ان الأصول السامية تستبعد هذا التفسير، صحيح ان العرب في شمال بلاد العرب قالوا: «أيمَنَ» و«تَيَمَّن» و«تيامن» لمن قصد اليمن من الشمال أو دخلها أو انتسب اليها بصفة من الصفات[٦].

وليس لنا أنّ نقول: ان «اليُمْن» بمعنى الخير والسعة أصل لكلمة «اليَمَن»، وكأن من ذهب الى هذا أراد أن يشير الى ان «اليمن» هي الخضراء السعيدة في بلاد العرب. والذي أراه أن إفادة الخير والسعة في كلمة «اليُمْن» قد جاءت من «اليمين»، وهي الجهة اليمنى، وذلك لأن من مذاهب العرب التفاؤل باليمين، وكأن «اليسار»[٧] أو «الشمال» هو العُسْر فكانوا يتطيّرون منه. والى هذا أشارت لغة التنزيل في قوله تعالى: «وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين، في سِدْرٍ

---

(٢) الفائق ٤٥٩/٢

(٣) الكامل (طبعة المكتبة التجارية) ٣٧٣/١

(٤) الخزانة (طبعة بولاق) ٥٩٦/٤

(٥) لسان العرب (يمن)

(٦) والنسبة الى اليمن قد تكون في صفة من الصفات، ومن هذا قول أبي تمام:
«عصَبٌ تَيَمَّنُ في الورى وتَمَصَّرُ» أي: نسيج من نسج اليمن، و«تمصّر» اي ان النسيج من مصر.

(٧) أقول: وقد هربوا من «اليسار» وهو الجهة التي تطيّروا منها، فألحقوا الكلمة بما يفيد الخير للتفاؤل فانتقلوا بالكلمة الى «اليُسْر» والغِنى والسعادة تفاؤلاً فذهبوا الى الضد من أصلها

مخضود، وطَلْح منضود، وظلٍّ ممدود، وماءٍ مسكوب، وفاكهة كثيرة...»[٨]

فأمّا «أصحاب الشمال» فقد ورد فيهم قوله تعالى: «وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال، في سَمومٍ وحميم، وظلٍّ من يَحموم...»[٩]

ومن المفيد أن نقول ان «يمن» كلمة قديمة في السبئية، وفي اللغات السامية الأخرى. والكلمة في السبئية فعل مضارع هو «يهيمنّ» «yhymnn»[١٠] والهاء في الفعل تبرز في المضارع المضعف، ونظير هذا قد جاء في العبرانية في وزن «يهقطّل» أي «يقتّل» وكأنّ «يُهريق» في العربية القديمة شيء من هذه الأصول السامية في العبرانية والسبئية ومعنى الفعل في النقوش السبئية هو: أيمن وتيامن وكان في اتجاه الجنوب.

أقول: وهذا المعنى مستفاد من «يمن» وهي الأصل، أي البلاد الكائنة في الجنوب للقاصد اليها من الشمال.

وكأن صانعي المعجم قد فاتهم الأصل لهذا الاسم الذي وُلّد من الفعل[١١] المضعف الذي أشرنا إليه وقد فاتهم أن الأصل الماضي هو مادة الفعل، وهو «Mnn»، وهو يعني الفائدة والمزيّة والمنفعة[١٢] ولو أنهم فطنوا الى هذا لادرجو بعد مباشرة الفعل المضارع «Ymn» الذي أشرنا، حتى اذا وصلوا الى «yhymnn» كان عليهم أن يحيلوا القارئ الى الأصل وهو «Mnn»، وبذلك تسلم صنعتهم وتصحّ.

أقول: هذا هو الأصل المضاعف لما ورثناه في «يَمَن»، وعلى هذا يكون المعنى السعة والبركة، وهي نظير الأصل العربي «المنّ» و«المنّة» ومنهما جاءَ الفعل «منّ» «يمُنّ».

وقد فسروا الحديث الشريف «الايمان يمان» على إرادة الجهة، وهي اليمين، وقالوا: فيه وجه آخر، وهو أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال هذا وهو في

---

(٨) ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢ سورة الواقعة.

(٩) ٤١، ٤٢، ٤٣ سورة الواقعة.

(١٠) المعجم السبئي مادة Ymn.

(١١) الأسماء التي تحولت من الأصل الفعلي كثيرة في اليمن نحو: يام، ويترب، ويريم، ويرقم ويراخ ويَزَن وغيرها من أسماء المواضع والبلدان القديمة في اليمن. ويحابر ويحبس ويحضب ويشحب ويشكر ويعرب وغيرها من أسماء الرجال، وكلها في اليمن. ولنا أن نتوسّع قليلاً فنقول: ان يثرب وينبع من أسماء بلاد الحجاز يمانية، وأهل يثرب هم الأوس والخزرج أنصار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد يكون حقاً ان ننسب الى اليمن الأسماء المبدوءة بالتاء وأصلها الفعل، وهي: تخلّي وتدمر وتنعم وتنوخ وغيرها. وقد يكون الكثير من هذا مما ورد في العربية على وزن «يفعول» نحو يرموك وغيره كثير. ومثل هذا في الأعلام وغيرها على وزن «فاعول» نحو قابوس، والمنذر أبو قابوس من لخم، من اليمن.

(١٢) المعجم السبئي.

تبوك، ومكة والمدينة بينه وبين اليمن، فأشار الى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة، اي هو من هذه الناحية.

أقول: وليس في هذا ما يبطل الأصل الذي ذكرناه، والاشارة الى الجهة المقصودة، وهو في«تبوك»، تفي بالحاجة،وهي مجرد الإشارة الى الجهة.

وهذا يُقوّى بقول الشاعر ابن مقبل، وهو من قيس، حين قال:

«طاف الخيال بنا ركْباً يمانينا»

فنسب نفسه الى اليمن لأن الخيال طرقه وهو يسير بناحيتها.

ولهذا قالوا: «سهيل اليماني» لأنه يُرى من ناحية اليمن(١٣).

وقال أبو عبيد: وذهب بعضهم الى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنى بهذا القول الانصار لأنهم يمانون(١٤). وقوله: «يمانون» منسوب الى اليمن، ولذا قالوا: والأصل يمنيّ زادوا ألفاً وحذفوا ياء النسبة ولذا «شآم» منسوب الى الشّأم، وكذلك «تَهام» بفتح التاء منسوب الى «تِهامة» بكسر التاء، والأصل «تَهمة»، وكلها بحذف ياء النسبة.

أقول: هذا قول أهل العربية، والذي أراه ان «يمان» قد جاء فيها الألف بسبب مما يسمّى في اللغة «مطل الحركة» وهي الفتحة على الميم.

وان «يمانيّ» بالتشديد تقال أيضاً، قال العرجى:

إنّي أتيحتْ لي يمانيّةٌ إحدى بني الحارث من مَذْحِجِ

وسأستوفي ما ورد في مصادر العربية مما زُعِم أنه لغة يمانية(١٥). ودونك هذه الشذرات(١٦).

١ـ ان أكثر أهل اليمن يميلون ألف «حتى»، لأن الإمالة غالبة على ألسنتهم في أكثر الكلام(١٧).

أقول: ان هذا بعض هذه الشذرات اللغوية التي لا يمكن أن نفيد منها في

---

(١٣) لسان العرب «يمن».

(١٤) المصدر السابق.

(١٥) ليس لنا هذا لاننا نجد المصادر تختلف فيما بينها فما زُعم أنه يمني نجده معروفاً وأحياناً فاشياً لدى الحجازيين أو لدى تميم، والأمثلة لا حصر لها.

(١٦) قلت: إنها «شذرات» تتوزع بين اللغة في أصواتها، وبين شيء آخر يتصل بالمعجم مما يخص الدلالة.

(١٧) همع الهوامع ٢/٢٠٤

وقد ساد الوضع والتزيّد طائفة من المعارف القديمة في الأدب والتاريخ والحديث وغيرها.

٣ـ وحكى ابن جني عن قطرب «أن أهل اليمن يقولون: «الحيوة» فهذه الواو بدل من ألف «حياة»، وليست بلام الفعل من «حيوَة»، وكذلك يفعل أهل اليمن بكل الف منقلبة عن واو كالصلوة والزكوة» (٣٣).

وابن جني قد قال في إمالة الفتح الى الضمّ «وأما الف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو، نحو قولهم: «سلاُم عليك» و«قاُم زيد»، وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو، لان الألف مالت نحو الواو» (٣٤)

أقول: وهذه مسألة أخرى يتّفق فيها أهل الحجاز وأهل اليمن ونستظهر على ذلك بما ورد في «شرح الشافية» (٣٥) من «أن كتبهم لهذه الكلمات بالواو على هذه اللغة» أي لغة أهل الحجاز (٣٦).

٤ـ وقالوا و«الإنطاء» هو الإعطاء بلغة اليمن كما في الحديث «وانطوا الثَبجة» (٣٧).

وفي الحديث: «إن مال الله مسؤول ومُنطىً» (٣٨) أي مُعطىً.

وفي الحديث أيضاً: «اليد المنطية خير من اليد السفلى» (٣٩)

وذكر ابو حيان الحديث: «اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة» (٤٠).

وفي قراءة: «إنّا انطيناك الكوثر» (٤١). وقالوا كأن الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يلتمس في القراءات ما وافق لغة أي وفدٍ وفد عليه.

أقول: و«الإنطاء» بمعنى الاعطاء لغة فاشية في كثير من بلاد العرب، وليست هي خاصة ببلد. وإني لأرى فيها ان بين الفعل «أعطى» و«آتى» قرابة، والفعلان

---

(٣٣) لسان العرب (حيو)

(٣٤) سر صناعة الاعراب (الطبعة الأولى) ١/٥٦

(٣٥) شرح الشافية ٣/٢٥٥

(٣٦) أقول: وليس هذا ما ذهب إليه المستشرق C. Rabin في كتابه «Ancient West Arabian» من أن الأسماء العربية المنتهية بـ«ون» نحو خلدون وزيدون، وهي كلها أعلام رجال من أصل يمني، يرجح انها أسماء منتهية بأداة التعريف اليمنية (آن)، ثم أمالها اليمنيون على طريقتهم، وكتبها العرب الشماليون بالواو والنون.

أقول: لا دليل على ان الأعلام المنتهية بالواو والنون يمنية فهي في كل بلاد العرب مشرقاً ومغرباً، وان غلب استعمالها في أعلام الأندلسيين والمغاربة. وهي في أصل الوضع للتصغير

(٣٧) لسان العرب (عطو)

(٣٨) المصدر السابق

(٣٩) المصدر السابق

(٤٠) البحر المحيط ٨/٥١٩

(٤١) مختصر شواذ القرآن ص ١٨١

هما هما في الدلالة، قال تعالى «وآتى المالَ على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً». وأنا أفترض أن الثلاثي «أتى» بزيادة الهمزة يؤدّي هذا المعنى. واذا ضاعفنا التاء كان عندنا «أتّى»، والمضاعف يصبح «أنْتَى» حين يفكُّ التضعيف ويبدل النون من إحدى التاءين على غرار طائفة من الأفعال غير هذا الفعل، وكأن «أنتى» صار «أنطى» بابدال الطاء من التاء. ولنا أن نقول ان «أعطى» جاء من «آتى» المضاعف بابدال الهمزة الثانية عيناً، والتاء طاء.

٥ـ الشنشنة في لغة اليمن:

مما قاله السيوطي عن الفرّاء: إن قريشاً خلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ في ذلك... الشنشنة في لغة اليمن(٤٢).

أقول: كيف يعتمد الدارسون المعاصرون على شذرات ثم يدعون أنهم يرسمون الصورة شبه الكاملة للهجة بلد أو قبيلة؟

ثم ان «الشنشنة» غير خاصة باليمن بل تتجاوزها الى الشحر وسقطرة ومناطق ظفار. وان لغة عامة المناطق الوسطى والجنوبية في العراق، وهو يقابل «ch» في اللغة الانكليزية، وملاك القول فيها من جهة الصوت ان الكاف غيّرت مخرجها من أقصى اللسان الى وسطه، وهو مخرج الشين فكأنها صارت شجرية.

وقد سمع بعضهم يقول في «عَرَفة»: لبيش اللهم لبيش. والشنشنة تلتقي بالكشكشة وهذه الأخيرة تبقى فيها الكاف مع زيادة الشين في ضمير المؤنث.

لقد أدرج اللغويون هذه المسائل في عداد اللغات المذمومة، وقد كنّا أشرنا الى هذا في أول هذا البحث الى أن هذه عدت من العجمة لا ينطق بها إلاّ غُتم العوام.

٦ـ ابدال العين من الحاء:

ذكر الدكتور جواد علي في «كتابه»(٤٣): «وفي اللهجات اليمنية حوّلت الحاء الى العين نحو صفعة بمعنى صفحة. ولم يذكر المصدر، ولم يشر إلى ضبطها مكاناً وزماناً، ولعله أخذها مما ذكره خليل نامي في «محاضرات فقه اللغة»!!

أقول: ان المعروف ان قبيلة هذيل يشيع في لغتها هذا، وبها قرأ ابن مسعود «وليُسجنَنّ عتّى حين(٤٤)». وهذيل قبيلة نجدية.

ولهذا قلت: ينبغي ألا نعوّل كثيراً على هذه الشذرات، وندّعي اننا نرسم الخطوط العريضة للهجة في بلد من البلدان.

٧ـ قلب الياء جيماً وهي التي دعيت «العجعجة»:

جاء في «نوادر» أبي زيد أبيات قلبت فيها الياء الخفيفة جيماً ونُسبت الى

---

(٤٢) الاقتراح ص ٨٤

(٤٣) تاريخ العرب قبل الاسلام ١٢٧/٧

(٤٤) انظر شواذ سورة يوسف في «مختصر شواذ القرآن» لابن خالويه

بعض أهل اليمن[٤٥]. وقد نسبت هذه الظاهرة الى قبائل عدة في كتاب سيبويه، وشافية ابن الحاجب، وفي «اللسان». جاء في «الكتاب»: «وأما ناس من بني سعد فانهم يبدّلون الجيم مكان الياء في الوقف»[٤٦].

وجاء في «شرح الشافية»: «يُبدل ناس من بني تميم الجيم مكان الياء في الوقف، شديدة كانت الياء او خفيفة»[٤٧].

وفي «لسان العرب»: «ان قلب الياء جيماً عند ناس من بني سعد، في الوقف خاصة، فاذا وصلوا لم يبدلوا، وقد تبدل في الوصل»[٤٨].

قال الفرّاء: «وهم يقلبون الياء الخفيفة أيضاً الى الجيم، وقال: وذلك في بني دبير من بني أسد خاصة»[٤٩].

وقال الأصمعي: «كل ياء مشدّدة للنسبة وغيرها، فإن بعض العرب يقلبها جيماً، ثم قال: وزعم الفرّاء: أنها لغة طيّء»[٥٠].

ومن هنا رأينا جمهرة قبائل ترد في لغاتها هذه الظاهرة الصوتية، فأين اختصاصها باليمن؟ غير ان الجوهري قال: وعجعجة قضاعة يحولون الياء جيماً مع العين، يقولون: هذا راعج خرج مَعج، أي هذا راعٍ خرج معي[٥١]. وكأنه ربط هذا التحويل بوجود العين. وقضاعة يمنية النسب، وهي ترتبط بطيّء، وكلاهما من القبائل اليمنية.

٨ـ كسر حرف المضارعة:

وهو الذي دعي بـ«التلتلة» ونسبت الى بهراء[٥٢]، قال ابن منظور: وهي لغة بهراء يكسرون التاء، وأورد الرجز:

تِكتّبانِ في الطريق لامَ ألفْ

أقول: والمصطلح هو «التلتلة»، وكأنه خاص بتاء المضارعة في حين ان كسر أحرف المضارعة فاشية في غير بهراء، وكذلك في بعض اللغات السامية كالعبرية والآرامية.

---

(٤٥) النوادر ص ١٦٤
(٤٦) الكتاب (بولاق) ٢/٢٨٨
(٤٧) شرح الشافية ٢/٢٨٧.
(٤٨) لسان العرب (شجر)
(٤٩) الابدال لأبي الطيب اللغوي ١/٢٦٠
(٥٠) المصدر السابق ١/٢٥٧
(٥١) التصريح ٢/٣٢٧
(٥٢) لسان العرب (كتب)

٩ـ الطمطمانية

وهي ابدال لام التعريف ميماً، وقد نسبت في «شواهد العيني»[٥٣] الى اليمن، وكذلك صاحب «لسان العرب»[٥٤]، وابن مالك[٥٥]، وابن يعيش[٥٦].

وقد عزيت الى طيّء في «شرح الاشموني»[٥٧]، وفي «مغنى اللبيب»[٥٨]، وفي «الهمع»[٥٩]، وفي «شرح الشافية»[٦٠].

كما عزيت الى دوس[٦١]، وقد عزاها ثعلب الى الأزد.

والى هنا فهذه جملة أصول يمنية قد اختصّت بهذه الظاهرة.

وقد قلت: ان اللغويين لم يميّزوا بين العربية اليمنية، ولغة حمير القديمة التي أبعدها أبو عمرو بن العلاء عن العربية كما أشرنا آنفاً، فقد عاد ابن هشام في «المغني»[٦٢]، وعاد السيوطي في «الهمع»[٦٣]، وصاحب «لسان العرب» الى حمير[٦٤].

و«الطمطمانية» في «الخزانة»[٦٤]: ان يكون الكلام مشبهاً لكلام العجم.

ومن هنا كان اعطاء أهمية كبيرة لأقوال القدماء في هذه المسائل اللغوية ليس من العلم الحسن.

١٠ـ وأنت تجد كلمات متناثرة تشتمل على ظاهرة لغوية واحدة، وهي ترد في جملة قبائل، بعضها من اليمن فلا تستطيع أن تحمل عليها فائدة كبيرة، ومن ذلك مثلاً قولهم في «أتا يأتو» انها لغة هذيل مستدلين عليها بقول خالد بن زهير:

يا قوم ما لي وأبا ذؤيبِ ۞ كنتُ اذا أتوته من غيبِ[٦٥]

---

(٥٣) شواهد العيني ٩٦/١

(٥٤) لسان العرب ٣٠١/١٤، ٦٨/١٠

(٥٥) همع الهوامع ٧٩/١

(٥٦) شرح المفصل ٢٠/٩

(٥٧) شرح الأشموني ٩٦/١، ٣٧/١

(٥٨) مغني اللبيب ٤٧/١

(٥٩) همع الهوامع ٧٩/١

(٦٠) شرح الشافية ٢١٥/٣

(٦١) مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٢٢

(٦٢) مغني اللبيب ٤٧/١

(٦٣) همع الهوامع ٧٩/١

(٦٤) لسان العرب ٢٦٣/١٢؟

(٦٥) الجمهرة ١٧٠/١

وذهب الى هذا صاحب «المخصص» (٦٦) ، والقالي في «الأمالي» (٦٧) .

وقال نشوان في «شمس العلوم» ان «الكلوة لغة أهل اليمن في «الكلية» (٦٨) وهذه مسألة أخرى تشير الى عدم تثبّت اللغويين فيما يقولون، وخلطهم في نسبة المواد اللغوية الى أصحابها، والمسائل عامة فليس من العلم أن نخص بها قوماً دون غيرهم.

ومن هذا ليس لنا أن نقول ان «الصراب» في لغة أهل اليمن هو «الصرام» (٦٩) ، ذلك ان المعاقبة بين الميم والباء فاشية في جمهرة من الألفاظ في العربية، وذلك حاصل في لغة طائفة من القبائل، ومثل هذا «الكحم»، وهو الحصرم، وهو لغة يمانية في «الكحب» كما في «اللسان» (٧٠) و«الجمهرة» (٧١) .

ومن ذلك أيضاً قولهم ان «اللصت» أي «اللص» لغة طيِّء وبعض الانصار كما في «اللسان» (٧٢) وهي: في «المذكر والمؤنث» (٧٣) للفرّاء قد نسبت الى بعض أهل اليمن.

١١ـ وقد نجد من المسائل الضعيفة التي لا تكون إلا في الألسن المحكيّة ومن ذلك نقل الحركة من آخر الكلمة الى ما قبلها كما ذكر سيبويه في قولهم اضربْ الوَجَهْ، وهذا الوَجُهْ، وفررت من الوَجِهْ (٧٤) . وهذه قد عزيت الى تميم. ولكن صاحب «شمس العلوم» قد عزاها لبعض أهل اليمن وقال: هي لغة ضعيفة (٧٥) .

١٢ـ وقالوا في الاجوف: «كاد يكود ويكيد» و«حاد يحود ويحيد» لغة يمانية (٧٦) .

أقول: والتردد بين الواو والياء كثير في الأفعال، ولا نستطيع أن نرد كل فعل الى قوم وندّعي انه «لهجة» أو «لغة».

ومن هنا كان الكلام على «اللهجات» سعياً في الظلام، واخراج العلم عن حدوده وذلك اذا اعتمدنا على مصادرنا العربية.

---

(٦٦) المخصص ٢٨/١٤
(٦٧) الأمالي ٢٠٩/٢
(٦٨) شمس العلوم ٩٣
(٦٩) شمس العلوم ص ٦٠
(٧٠) لسان العرب ٤١٢/٥
(٧١) الجمهرة ١٨٦/٢
(٧٢) لسان العرب ٣٥٦/٨
(٧٣) المذكر والمؤنث ص ٢٥ـ٢٦
(٧٤) الكتاب ٢٨٣/٢ـ٢٨٤، وانظر مجالس ثعلب ٦٢١/٢
(٧٥) شمس العلوم ١١٥
(٧٦) الجمهرة ٢٩٨/٢

١٣ـ وقالوا في مصدر «فعَّل» «فِعَّالاً» وهو لغة اليمن كما في «البحر المحيط» (٧٧) .

وقال الفرّاء في «كذّاب» مصدر «كذّب» لغة يمانية فصيحة (٧٨) . وذلك في قوله تعالى: «وكذّبوا بآياتنا كِذّابا» (٧٩)

١٤ـ وقالوا: ان أهل اليمن يسمّون الرجل الكبير «كُباراً» (٨٠) .

وجاء في «البحر المحيط» (٨١) : ان مقاتلاً قال في قوله تعالى: «ان هذا الشيء عجّاب» (٨٢) بالتشديد، إنها لغة ازد شنوءة.

وقال عيسى بن عمر في «كبّار» في قوله تعالى: «ومكروا مكراً كُبّارا» (٨٣) : هي لغة يمانية. وعليها قول الشاعر:

بيضاء تصطاد القلوبَ وتَسْتَبي ... بالحسن قلبَ المسلم القُرّاز (٨٤)

و«المسكَن» بفتح الكاف هو القياس، وهو لغة الحجاز، كذا قال ابن السكيت (٨٥) ، وأبو زيد كما في «المخصص» (٨٦) . وبالكسر في لغة نادرة حكاها اللحياني كما في «اللسان» (٨٧) . وهي لغة فصحاء اليمن في «الإتحاف» (٨٨) . وبها قرأ الكسائي في قوله تعالى: «لقد كان لسبأٍ في مسكِنهم آية» (٨٩) .

١٥ـ وحملوا طائفة من الألفاظ عرض لها القلب المكاني في أنها «لغة» فقالوا: وبلغة أهل اليمن «الخُفْت»، وهي «الخُتْف» (٩٠) .

أقول: وورود كلمة حدث فيها قلب في لغة قوم لا يمكن أن يؤلف مادة مفيدة في وضع تصوّر لتلك اللغة.

١٦ـ وحملوا مطل الحركة على ما يتصل باللهجات، فقد قرأ سعد بن

---

(٧٧) البحر المحيط ٤١٤/٨

(٧٨) شمس العلوم ص ٩٠

(٧٩) ٢٨ سورة النبأ

(٨٠) الجمهرة ٢٧٤/١

(٨١) البحر المحيط ٣٨٥/٧

(٨٢) ٥ سورة ص

(٨٣) ٢٢ سورة نوح

(٨٤) البحر المحيط ٣٤١/٨

(٨٥) اصلاح المنطق ص ١٢١

(٨٦) المخصص ٢٠٤/٤

(٨٧) لسان العرب (سكن)

(٨٨) اتحاف فضلاء البشر ص ٣٥٩

(٨٩) ١٥ سورة سبأ

(٩٠) المخصص ٧/١٢، وانظر الجمهرة ٧/٢

المسيب وعكرمة قوله تعالى: «عرّاف بعضه وأعرض عن بعض»[٩١] بدلاً من «عرَف». وقد خص ابن خالويه هذه القراءة بلغة اليمن[٩٢] . وقد يكون لي أن أقرر ان هذه الشذرات ليست شيئاً يصحّ به أن ندرك حال عربية قديمة ذلك ان المسألة قد تروى لقبيلة عدنانية، ثم نعود فنجدها لبعض أهل اليمن.

ومن هذا ما ورد من الحذف في «ظَلتُ» و«مَلتُ» والأصل: «ظَللتُ» و«مَللت» والفعلان مضعفان وقرئ: «فظَلتُم تفكّهون»[٩٣] ، وقرئ أيضاً: «إلهكَ الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً»[٩٤] . وقالوا: هي لغة نُمَيْر وسُلَيْم، وقبيلة طيّء كان لها مثل هذا الحذف، جاء في «مجالس ثعلب»[٩٥] :

عوى ثم نادى هل أحَسْتُم قلائصاً وُسِمْنَ على الأفخاذ بالأمس أربعا

ولنختم هذا الموجز بما ورد في «الاتقان» للسيوطي من الألفاظ اليمنية كما صرّح بها المعنيون بلغات القرآن من السلف.

قال السيوطي[٩٦] :

أخرج أبو عبيد من طريق عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: «وأنتم سامرون»[٩٧] ، قال: الغناء وهي يمانية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة: هي بالحميرية.

أقول: كيف تكون العربية اليمنية «حميرية»؟ ان اسلافنا قد جهلوا ان «الحميرية» لغة غير العربية اليمنية، وأن كانت من عدّة اللغات السامية.

وأخرج أبو عبيد عن الحسن قال: كنا لا ندري ما الارائك! حتى تلقينا رجل من أهل اليمن، فأخبرنا أن الاريكة عندهم الحَجَلة، فيها السرير.

وأخرج عن الضحاك في قوله تعالى: «ولو ألقى مَعاذيره»[٩٨] ، قال: ستوره بلغة أهل اليمن.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله تعالى «لاوَزَر»[٩٩] ، قال: لا جَبَل، وهي بلغة أهل اليمن.

---

(٩١) ٣ سورة التحريم
(٩٢) مختصر شواذ القرآن ص ١٥٨
(٩٣) ٦٥ سورة الواقعة
(٩٤) ٩٧ سورة طه
(٩٥) مجالس ثعلب ٢/٦٠٥
(٩٦) الاتقان ٢/٨٩ـ٩١
(٩٧) ٦١ سورة النجم
(٩٨) ١٥ سورة القيامة
(٩٩) ١١ سورة القيامة

وأخرج عن عكرمة في قوله تعالى: «وزوّجناهم بحور»[١٠٠]، قال: هي لغة يمانية، وذلك أن أهل اليمن يقولون: زوّجنا فلان بفلانة.

قال الراغب في «مفرداته»[١٠١]. ولم يجئ في القرآن: «زوّجناهم حوراً» كما يقال: زوّجته امرأة، تنبيهاً على ان ذلك لا يكون على حسب التعارف فيما بيننا بالمناكحة.

وأخرج عن الحسن في قوله تعالى: «لو أردنا أن نتّخذ لهواً»[١٠٢]، قال: «اللهو بلسان اليمن المرأة»

وأخرج ابن عباس في قوله تعالى: «أتدعون بعلاً»[١٠٣]، قال: رباً بلغة أهل اليمن.

وأخرج عن قَتادة قال: بعلاً: رباً، بلغة أزد شنوءة.

وأخرج عن ابن الكلبي قال: المرجان صغار اللؤلؤ، بلغة اليمن.

وأخرج عن كتاب الردّ على من خالف مصحف عثمان عن مجاهد، قال: الصّداع هو الطّرجهالة بلغة حمير.

وفي مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس «فنقّبوا»[١٠٤]: هَرَبوا، بلغة اليمن.

وأخرج سعيد بن منصور في «سننه» عن عمرو بن شرحبيل في قوله تعالى: «سيلَ العَرِم»[١٠٥]: المسنّاة بلغة أهل اليمن.

وأخرج جويبر في «تفسيره» عن ابن عباس في قوله تعالى: «في الكتاب سطورا»[١٠٦] قال: مكتوباً وهي لغة حميرية، يسمّون الكتاب «أسطوراً».

أقول: وذهابهم في بضع من الكلمات أنها حميرية جهل بالعلم اللغوي القديم الذي سبق عربية أهل اليمن.

وقد اقتصرت على هذا القدر من الكلام على العربية اليمنية في مصادرنا مع النقد لكثير مما ذهب إليه الأقدمون في مسائلهم المتقدمة.

وقد ضربت صفحاً عن لغات القبائل اليمنية كلغة طيّء، وكنانة ولغة الأزد ومذحج وخثعم وغيرها من القبائل اليمنية.

---

(١٠٠) ٥٤ سورة الدخان

(١٠١) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني، كتاب طبع غير مرّة

(١٠٢) ١٧ سورة الأنبياء

(١٠٣) ١٢٥ سورة الصافات

(١٠٤) ٢٦ سورة ق

(١٠٥) ١٦ سورة سبأ

(١٠٦) ٥٨ سورة الأسراء

ولا أدري كيف عدوا قوله تعالى: «ولا تفشلا»[١٠٧] و«عُثِرَ»[١٠٨]، و«سفاهة»[١٠٩] و«مرجُوّاً»[١١٠]، وبضعة الفاظ أخرى من الحميرية!!

---

(١٠٧) ١٢٢ سورة آل عمران
(١٠٨) ١٠٧ سورة المائدة
(١٠٩) ٦٦ سورة الاعراف
(١١٠) ٦٢ سورة هود

مع اليمن في بقايا لغوية

لقد وقفنا في الدرس النحوي على بقايا لغوية عرفتها «العربية» اليمنية، ومن ذلك ما ذكره النحويون من ابدال لام التعريف ميماً وذهبوا الى أنه لغة حميرية. وبهذه اللغة خاطب النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وفد اليمن رداً على سؤالهم: أمن امبرِّ امْصيام في امسفر، فقال: «ليس من امبرِّ امصيام في امسفر.

وقد أيّد النحويون هذه المسألة بشاهد من شواهدهم، وهو قول الشاعر:

ذاك خُليلي وذو يُواصلني ... يرمي ورائي بامْسَهْمِ وامسَلِمَهْ[1]

أقول: والبيت مما لم ينسب الى قائل في الكتب النحوية، غير أن ابن برّي قد نسبه الى بُجير بن عَنَمة الطائي. وكأن النحويين قد لفّقوه من بيتين هما:

وإنّ مولايَ ذو يعاتبني ... لا إحْنةٌ عنده ولا جَرِمَهْ
ينصُرني منكَ غيرَ مُعْتَذِرٍ ... يرمي ورائي بامسَهْمِ وامسَلِمَهْ[2]

وقد ركّبوا صدر البيت الأول بعد تغيير في بعض كلماته على عجز البيت الثاني. وقد جاء في البيت الاول «ذو يعاتبني»، و«ذو» هذه هي الطائية التي استدل عليها النحاة بقول الشاعر:

فإن الماء ماءُ أبي وجدّي ... وبئري ذو حَفَرتُ وذو طَوَيْتُ[3]

ولغة طيّء يمنية.

على ان هذا وغيره هو من البقايا الحميرية التي بقيت في «عربية» أهل اليمن،

---

(١) شرح الأشموني ١/١٧٢

(٢) المصدر السابق

(٣) والبيت من قول سنان بن الفحل الطائي «من شعراء الحماسة»، وقد استشهد به ابن هشام في «أوضح المسالك» ١/٣٦

وهي ليست بشيء[1].

لقد أقبل اليمنيون على العربية فكانت لغتهم، ولم يبق من الحميرية البائدة إلا شذرات أشار اليها الهمدانيّ في «صفة جزيرة العرب»، ونشوان في «شمس العلوم» كما سنرى.

لقد كان جهد اليمنيين بارزاً في الإقبال على العربية، والرحلة في طلبها الى الحواضر العربية ومنها مكة والمدينة، والبصرة والكوفة، كما كانت حواضر اليمن ومنها صنعاء وحضرموت وعدن وزبيد وغيرها من البلاد التي قصدها علماء العربية وأخذوا عن رجالها.

وكان أبو عمرو بن العلاء ممن قصد اليمن في رحلته، فقد روي عن الأصمعي أنه قال: قال أبو عمرو بن العلاء سمعت اعرابياً يمانياً يقول: فلان لَغوب جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت تقول: جاءته كتابي! فقال: أليس بصحيفة؟ فقلت له: ما اللغوب؟ فقال الأحمق[2].

ومما رواه الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سمع رجلاً من خولان يقول وقد مات لهم باليمن سيّد: أيّ عَيْرٍ انقعَر منا، أي أيُّ سيد[3].

وقد أشار أبو عمرو الى ما سمعه في اليمن فقال: «كنت باليمن فأتيت دار قوم باليمن اسأل عن رجل، فقال لي رجل منهم: اسمُكْ في الرَّيْم، أي اعلُ في الدار»[4].

ومن هذا أيضاً قوله: «رأيت باليمن امرأة ترقّص ابنها وهي تقول:

يا ربّنا مَن سرّه أن يكبُرا   فسُقْ له يا ربّ مالاً حَيَرا[5]

---

(١) وذهب الهمداني الى أن أهل «خيوان» فصحاء، وفيهم «حميرية» كثيرة الى صعدة.

أقول: كأن الهمداني استثنى «الحميريين» من الفصاحة. وقد جعل الهمداني ابدال لام التعريف ميماً من الآثار الحميرية، كما عدّ لزوم المثنى للألف منها، وان بقي هذا في بعض فصيح العربية كما في قوله تعالى: «إن هذان لساحران».

قال الهمداني: «فقد تؤثر لغتهم [أي الحميريين] في بعض الفصحاء، فبلد سفيان بن أرحب فصحاء، إلاّ في مثل قولهم: أم رجل، وقيّد بعيراك، ورأيت أخواك. ويشركهم في ابدال الميم من اللام في الرجل والبعير وما أشبههما «الأشعر» و«علّ» وبعض «حَكم» من أهل تهامة، (صفة جزيرة العرب ص ٢٧٨).

(٢) جمهرة اللغة ٢١٩/١، ٢٤٩/١، وانظر الخصائص ٢٤٩/١

(٣) المصدر السابق ٢٩٨/٢، وأمالي القالي ١٦٠/١

(٤) المصدر السابق ٤١٩/٢

(٥) المصدر السابق (ط. بيروت) ٥٢٦/١

وقد ورد في «التنبيه والايضاح»: هذا الخبر والرجز: فَسق إليه يا ربّ مالاً حَيَرا والرجز في «اللسان» (حير): فهب له أهلاً ومالاً حَيَرا.

على اننا نجد ان أبا عمرو قد أشار الى ما بقي من الحميرية في «العربية» اليمنية وأنكرها. فقد قال: «ما لسان حمير في أقاصي اليمن لساننا، ولا عربيتهم عربيتنا»[1]. وقد أراد بقوله: «عربيتهم» تلك العربية التي خالطتها الحميرية في «أقاصي اليمن»[2].

وكما قصد أهل العلم بلاد اليمن للطلب، قصد أهل اليمن مراكز العلم في مكة والمدينة والبصرة والكوفة، وكان من هؤلاء الشاعر ابن مناذر الذي أخذ العلم في عدن، ثم بدا له ان يستكمل ما كان له في عدن فقصد البصرة[3].

وقد عرفت البصرة أهل صنعاء، واننا نتبيّن هذا مما ورد في «الاكليل» في حديث من عرف البصرة، قال الهمداني: «وحدثني محمد بن أحمد الفهمي السمسار، قال حدثني ابراهيم بن اسماعيل الفهمي، قال كنت بالبصرة قبل سنة الخمسين ومئتين، فرأيت في مسجدها الجامع حلقة من الناس كثيفة. فقلت ما هذه الحلقة؟ فقيل: حلقة غلام جليل، فتقدّمت فسمعت من كلامه، وهو يعظ الناس، ثم أقبل على الجماعة فقال: يا أهل البصرة عوّدوا نساءكم الخفاء، وكأنّي أسمع قعقعة خلاخيلهن على أقتاب الإبل. ثم أقبل على جماعة من أهل البصرة كان يعرفهم يتّجرون بصنعاء، ويقيمون بها، فكانوا يُسمّون بالبصرة الصنعانيين»[4].

وقد أشار القفطي الى صلات الهمداني بأهل العلم في العراق وكان يكاتبهم ويعاشرهم، ومنهم: «ابو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري الذي كان يختلف بين صنعاء وبغداد، وهو أحد عيون العلماء باللغة والعربية، وأشعار العرب وأيامهم. وكذلك أبوه القاسم على ما ورد في أخبارهم» وكان يكاتب أبا عمر النحوي صاحب ثعلب، وأبا عبدالله الحسين بن خالويه، وهو تلميذ أبي بكر بن الانباري.

وزاد القفطي فأثبت ان «الهمداني سار الى العراق واجتمع بالعلماء واجتمعوا به فيما قيل». على ان الشيخ حمد الجاسر قد أثبت في «مقدمته» لصفة جزيرة

---

(١) المزهر ١٧٤/١، وانظر طبقات فحول الشعراء ص ١١

(٢) وفي الأثر: «وفد على النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وفد اليمن فقال: «أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرقّ أفئدة، الإيمان يمان، والحكمة يمانية (لسان العرب ـ يمن).

أقول: وفي هذا الحديث إشارة ضمنية الى عربيّتهم التي وردوا عليها.

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ـ ١١٩ـ١٢١، وبغية الوعاة ٢٤٩/١، والأغاني ١٦٩/١٨ـ١٧٠، ومعجم الأدباء ١٠٧/٧ـ١١٠

(٤) الإكليل ٥/٨

العرب أن الهمداني لم يكن له رحلة الى العراق، وأنه يجهل طريق العراق ولو سلكه لما جهل ذلك.

على أننا نجد في «الإنباه» للقفطي، و«بغية الوعاة» للسيوطي ما يفيد أن لأهل العراق في القرن الثالث الهجري صلات بأهل اليمن، وكان من هؤلاء سليمان بن معبد المتوفى سنة ٢٥٧ هـ، وأبو داود النحوي الذي سمع من النضر بن شميل والأصمعي في البصرة، وقد سمع من عبد الرزاق بن همّام في اليمن»[١].

ونقف في «صفة جزيرة العرب» على قِدم إفادة اللغويين في اليمن من علماء العراق، قال الهمداني «ولهم (أي كتّاب صنعاء) خط المصاحف الصنعاني المكسّر والتحسين الذي لا يلحق به، ولهم حقائق الشكل ذكرهم بذلك الخليل»[٢].

وعرفت اليمن العربية وسادت فيها، والإشارات القليلة الى صلات أهل كل من البلدين ببعضهما ببعض دليل على ذلك. وان ما ذكره أبو عمرو بن العلاء عن «الحميرية»، والذي أثبتناه في درسنا هذا، دليل آخر على فشو العربية وان «الحميرية» المشار اليها لا تعدو أن تكون شذرات وبقايا. وطبيعي أن تعرف عربية اليمن هذه البقايا، وليس من العلم ان يزول الشيء دون ان يخلّف فيما يليه أثراً يدلّ على وجوده القديم.

لقد أثبت الدكتور هادي الهلالي[٣] ما أفاده من الهمداني من أن «الحميرية سائدة في عصر الهمداني (أي القرن الرابع)»[٤]، غير سديد، ذلك أن آثار الهمداني نفسه تشهد بغير هذا الذي ذهب إليه صاحبنا الهلالي. ان كتاب «الاكليل» وكتاب «صفة جزيرة العرب» وكتاب «شرح الدامغة» وغيرها جاءت بعربية سليمة خلت من ألفاظ حميرية. وهذا يعني أن ما سجله الهمداني من الحميرية في «قتاب» وغيرها من الحواضر الى «ذمار» لغة دارجة عامية حفلت فيها الحميرية بنصيب، وليس لنا أن نقول ان هذا قد طغى على العربية لانعدام الدليل المادي، وكتب اليمنيين الذين تقدموا الهمداني تشهد بتلك العربية الفصيحة العالية التي وقف عليها الهمداني في «رسائل» البلوي[٥]، وهي الرسائل الأدبية التي توجه بها الى جملة من معاصريه.

---

(١) انباه الرواة ٢/ ٢٠، وتاريخ بغداد ٩/ ٥٢، والبغية ١/ ٦٠٣

(٢) صفة جزيرة العرب ص ٨٣

(٣) نشأة الدراسات النحوية واللغوية (ط. دار آفاق عربية ١٩٨٤) ص ٩٢

(٤) ولد الهمداني سنة ٢٨٢ هـ، وتوفي سنة ٣٣٤ هـ. انظر ترجمته في «الاعلام» للزركلي (الحسن بن أحمد .... الهمداني)

(٥) و«البلوي» بشر بن أبي كبار من الأدباء الصنعانيين

وقد أشار الهمداني بإطراء بالغ الى هذه «الرسائل».

ومن هنا كان فشوّ «الحميرية» في عربية صنعاء الدارجة، وكذلك فشوّها في «شيبام»[1]، وفي «خيوان»[2] كما اشار الهمداني. وقد يكون شبه هذا ما نجده في عصرنا في عامية أهل اليمن في القرى والبوادي من آثار لغوية «حميرية»، وهي في الحقيقة العلمية كلمات «سبئية» نجد أصولها في لغة الخطوط التي استُقريت فكان منها مادة «المعجم السبئيّ»، غير أن اللغويين العرب قد أطلقوا عليها «الحميرية».

ونظير هذا حاصل في كل لغة عربية دارجة، ألا ترى ان عامية أهل العراق وسطه وجنوبه قد حفلت بمواد أكدية وأخرى سابقة على ذلك سومرية[3] ؟

والى شيء من هذا أشار الهمداني في كلامه على لغة أهل عدن فوصفها بأنها مولّدة ورديئة[4]، ومثل هذا قوله في «المهرية» و«الشحرية» أنهما يشاكلان العجم لان الناطقين بهما قوم لا ينطقون نطقاً فصيحاً فقال: «أهل الشحر والأسعاء ليسوا بفصحاء مهرة غُتم يشاكلون العجم، حضرموت ليسوا بفصحاء، وربما كان فيهم الفصيح، وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف وسَرومذحج، ومأرب وبيحان، وحريب فصحاء وردي، اللغة منهم قليل»[5]. ويمضي الهمداني فيقول: وسرو حمير وجعدة ليسوا بفصحاء، وفي كلامهم شيء من التحمير[6].

ولنمضِ مع الهمداني فنستوفِ ما أفاض فيه وهو:

«ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون: «يا ابن معَمّ» في «يا ابن العمّ» و«سِمَعْ» في «اسمَعْ»، و[لغة][7] لحج وأبين ودثينة أفصح. والعامريون من كندة والأوديون أفصحهم. وعدن لغتهم مولّدة رديئة، وفي بعضهم نوك وحماقة إلاّ من تأدب. وبنو مجيد وبنو واقد والأشعر لا بأس بلغتهم. وسافلة غُتم، وعاليتها أمثل. والسكاسك وسط بلد الكلاع نجدية «مثيل» (كذا) مع عسرة من اللسان الحميري سراتهم فيهم تعقّد[8] (كذا).

و«سخلان» و«جيشان» و«وراخ» و«حَضِر» و«الصهيب» و«بلد» قريب من لغة

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٨

(٣) انظر سلسلة مقالات في مجلة سومر لطه باقر

(٤) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧

(٥) المصدر السابق

(٦) المصدر السابق. والمراد بـ«التحمير» الحميرية

(٧) سقطت من الأصل ص ٢٧٧، والسياق يقتضيها

(٨) أقول: كأن الأصل: تعقيد، ولكني وجدت الصيغة تتكرر

«سرو حمير». و«يحصِب» و«رَعَين» أفصح من «جُبْلان»، و«جُبلان» في لغتهم تعقّد [1] وحقل «قَتاب» فإلى «ذَمار» الحميرية القحة المتعقدة [2]. و«سراة مذحج» مثل «رَدْمان» و«قَرْن» ونجدها مثل «رَداع». و«إسبيل» و«كومان» و«الحدا» و«قائفة» و«دِقْرار» فصحاء، و«خَولان» قريب من ذلك [3].

أقول: وكأن الهمداني في سرده هذا أراد أن يضبط القبائل والجهات التي عرفت بالفصاحة كما يضبط الجهات الأخرى التي عرفت فيها «الحميرية».

ونمضي في هذا الضبط وكأننا ننظر في خارطة لغوية على نحو ما يفعل الغربيون في الأطالس اللغوية، ونجد المصنف يقول:

و«سخْمَر» و«قَرْد» و«الحَبَلة» و«مُلح» ولَحج» و«حمض» و«عُتمة» و«وتيح» و«سَمْح» و«أنَس» و«ألهان» وسط والى اللكْنة أقرب.

و«حَراز» و«الأخروج» و«شم» و«ماضح» و«الأحبوب» و«الجَحادب» و«شَرَف أقيان» و«الطرف» و«واضع» و«المعلل» خِلَيطَى من متوسط بين الفصاحة واللكْنة، وبينها ما هو أدخل في الحميرية المتعقدة، لا سيما «الحضورية»[4] من هذه القبائل.

و«بلد الأشعر» و«بلدعَكّ» و«حَكَم بن سعد» من بطن تهامة وأحوازها لا بأس بلغتهم، إلاّ من سكن منهم القرى.

و«همدان» من كان في سراتها من «حاشد» خِلَيطَى من فصيح مثل «عُذَر» و«هَنْوَم» و«حَجُور» وغُتْم مثل بعض «قُدَم» وبعض «الجبر».

ونجديّ «بلد همدان البون» منه المشرق والخشب عربيّ يخلط حميرية ظاهر همدان النجديّ من فصيح [5]. ودون ذلك «خَيْوان» فصحاء، وفيهم حميرية كثيرة الى «صَعْدة». وبلد «سفيان بن ارحب» فصحاء إلاّ في مثلِ قولهم: أم رجل، وقيّد بعيراك، ورأيت أخواك [6]... و«عُذَر مَقِرة» و«نَهم» و«مرهبة» و«ذبيان» و«سكن

(١) كأن الهمداني يتتبع مواطن الفصاحة للعربية ليميزها عن «الحميرية».

(٢) وهذه العبارة جعلت الدكتور هادي عطية مطر الهلالي يذهب الى انتشار الحميرية بين «قتب» و«ذمار» كما أشرنا الى ذلك.

(٣) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٨

(٤) لعل المراد: لغة الحواضر.

(٥) لم يتوقف محقق «صفة جزيرة العرب» فيشير الى عدم انتظام النص، واضطراب السياق، وكأن الكلام مستقيم.

(٦) كنا ذكرنا هذا الموضع من كلام الهمداني في أحد التعليقات من هذا المبحث. ولا بد أن نشير الى أن ابدال إلميم من لام التعريف قد نسب الى عامة اليمن، وان التزام المثنى للألف قد عُزي الى لغة بلحارث بن كعب في مصادرنا النحوية.

«الرحبة» من بلحارث فصحاء. و«صناف» بالجو الأعلى دون ذلك «خرفان» و«أثافت» لا بأس بفصاحتهم.

و«سكن الجوف» فصحاء، إلاّ من خلطهم من جيرة لهم تهاميين.

وقابل «منهم» الشمالي و«نعمان مرهبة» فظاهر بني عَلِيان و«ظاهر سفيان» شاكر فصحاء.

و«بلد وادعة» بنو حرب أهل إمالة في جميع كلامهم و«بنو سعد» أفصح.

ومن «ذَمار» الى «صنعاء» متوسط، وهو بلد «ذي جُرَة».

و«صنعاء» في أهلها بقايا من العربية المحضة، ونبذ من كلام حمير.

و«مدينة صنعاء» مختلفة اللغات واللهجات، لكل بقعةٍ منها لغة، ومن يُصاقب «شَعوب» يخالف الجميع[1].

و«شِبام أقيان» و«المصانع» و«تخلى» حميرية محضة.

و«خولان» صعدة، نجديُّها فصحاء، وأهل «قدَّها» وغورها غُتْم.

ثم الفصاحة من «العَرْض» في «وادعة» فجنب «فيام» فزَبيد فبني الحارث فيما اتصل ببلد شاكر من نجران الى أرض «يام» فأرض «سنحان» فأرض «نهد» وبني أسامة، فعَنْز، فخثهم، فهلال، فعامر بن ربيعة، فسراة الحَجْر، فدَوْس، فغامد، فشَكر[2]، فقَهْم فثقيف فبجيلة فبنو علي، غير أن اسافل سروات هذه القبائل، ما بين سَراة خولان والطائف دون أعاليها في الفصاحة. وأما العروض ففيها الفصاحة ما خلا قراها، وكذلك الحجاز، فنجد السفلى فإلى الشام والى ديار مضر وديار ربيعة فيها الفصاحة إلاّ في قراها، فهذه لغات الجزيرة على الجملة دون التبعيض والتفنين»[3].

ولنعرض لشيء من مادة «الإبدال» مما هو داخل في لغة اليمن كما أشارت مصادرنا اللغوية، ودونك هذا:

١ـ بين الفاء والباء:

يبدل أهل اليمن الفاء باء فيقولون في «الفداء» «البداء»[4]، وفي «الخزف» «الخزب»[5]، وفي «شخف» «شخب»[6].

---

(١) علّق المحقق فقال: هي كذلك الى اليوم (صفة جزيرة العرب ص ٢٧٩).

(٢) قال المحقق في تعليقه: في الأصول «فيشكر» وتقدم. أقول: و«يشكر» أولى، والنسبة إليها فاشية.

(٣) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧ـ٢٧٩

(٤) انظر «التاج» (بدي).

(٥) وفي «المخصص» ١٢٥/٢: «الخزب» يمانية، وهي «خزف» وانظر الجمهرة (بخز).

(٦) الشخاف ككتاب، قال الليث: هو اللبن لغة حميرية (تاج العروس) (شخف).

أقول: اذا كنا قد وقفنا على هذه الكلمات الثلاث، ولو استوفينا استقراءنا لوجدنا كلمات أخرى، فهل يكون ذلك ان في لغة أهل اليمن تتعاقب الفاء والباء، وأن كل فاء تكون باءً؟

هذا ما أشك فيه وأنكره، وابدال اليمنيين لا يتجاوز جملة ألفاظ ليس غير، وهو كسائر الإبدال في لغات القبائل الأخرى. وقد نستظهر على ما نقول بما يعرض من الإبدال في لغاتنا الدارجة في عصرنا، واختلاف البلدان فيه، ألا ترى ان بعض أهل بلادنا يقولون: «عمبر» في حين أن غيرهم في بلاد أخرى يقولون «عنبر»، ومثل هذا «اسماعيل» و«اسماعين»، والأمثلة كثيرة. فهل لنا أن نقول: ان نماذج هذا الابدال مطردة في كل كلمة فيها ميم أو فيها لام..؟

٢ـ بين الميم والباء:

وهم يبدلون الميم باءً فيقولون في «الصِّرام» «الصِّراب»[١] ويقولون في «الكحب» «الكحم»[٢].

٣ـ بين السين والتاء:

يبدلون السين تاء فيقولون في «الناس» «النات»[٣]، وفي «لباس» «لبات»[٤].

٤ـ ابدال أول الحرف المشدد نوناً:

وهم يقولون في «حظ» «حنظ» وفي «إجاص» «انجاص»، وفي «إجّار» «إنجار» وفي إجّانة» «إنجانة»[٥].

٥ـ بين الزاي والشين والسين:

ويبدلون الزاي شيناً فيقولون في «الخزف» «الخشف»[٦]، وفي «مزع» «مشع»[٧].

---

(١) صَرب الزرع أي صرمه، بلغة بعض أهل اليمن، ويسمون «الصرام» «الصراب».
وحمير تسمي «أيلول» «ذا الصراب»، لانه فيه صرام الزرع. انظر: منتخبات من كتاب شمس العلوم (مصدر دار الفكر بدمشق) ص ٦٠، وانظر: التاج (صرب).

(٢) الكحب والكحم هو الحصرم، لغة يمانية عن ابن دريد، وعن الليث: الكحب بلغة أهل اليمن: الثورة. انظر: التهذيب (كحم) وكذلك اللسان (كحم) والقاموس. وانظر الجمهرة (حكم).

(٣) المزهر ٢٢٢/١ والصاحبي ص ١٣٩، والنوادر (لأبي زيد) ص ١٠٤، واللسان ٤٠٧/٢

(٤) التهذيب ١٠٩/١٣، واللسان (لبات).

(٥) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ص ١٢٩ـ١٣٠

(٦) الجمهرة ٢٢٣/٢، واللسان (خشف).

(٧) المزع، لغة يمانية: نفش القطن بالأصابع، مزعت القطن أمزعه مَزْعاً، الجمهرة ٥٢/١ والمشع، لغة يمانية ذكرها الخليل: مشعت القطن أمشعه مشعاً اذا نفشته بيدك، والقطعة منه مشعة ومُشيعة (الجمهرة ٦١/٣).

ويبدلون الشين سيناً فيقولون في «أكباش» «أكباس»[1] .

ويبدلون السين زاياً فيقولون في «الأسد» «الأزد»[2] .

٦ـ بين الدال والراء والذال:

ويبدلون الراء دالاً فيقولون في «الشكر» «الشكد»[3] ، ويبدلون الدال ذالاً فيقولون في «ذحج» «دحج»[4] .

٧ـ بين الغين والجيم:

ويبدلون الجيم غيناً فيقولون في «المجداف» «المغداف»[5] .

٨ـ بين الطاء والضاد:

ويبدلون الطاء ضاداً فيقولون في «الحطب» «الحضب»[6] .

٩ـ بين العين والغين:

ويبدلون الغين عيناً فيقولون في «أصغَى» إليه «أصعَى» اليه[7] .

١٠ـ بين الحاء والخاء والعين:

ويبدلون الحاء خاءً فيقولون في «القفح» «القفخ»[8] ، وفي «رحمته» «رخمته»[9] .

ويبدلون العين حاءً فيقولون في «زَلَعَ» جلده بالنار «زلح»[10].

---

(١) ثوب أكباش، وهي ضرب من برود اليمن، قال: وقد صحَ الآن أكباس (بالسين) اللسان (كبش).

(٢) اللسان (أزد).

(٣) التهذيب ٨/١٠ ومنتخبات من شمس العلوم ص ٥٦ ، واللسان (شكر).

(٤) دحجه يدحجه دحجاً أي عركه يعركه عركاً كعرك الاديم، يمانية في «الجمهرة» (جحد) وانظر اللسان (جحد).

(٥) الغادف: الملاّح، والغادف، والمِغدَفة، والغادوف، والمِغدَف كله المجداف، يمانية.

انظر: اللسان (غدف) والجمهرة (دغف).

(٦) الحضب والحطب بلغة أهل اليمن، انظر اللسان والتاج (حضب) وكذلك «الصحاح»، وفيه ان «الحضب» لغة في «الحصب» وفيه قرأ ابن عباس «حضب جهنم».

قال الفرّاء، يريد الحصب، قال: وذُكر لنا أن «الحضب» في لغة أهل اليمن الحطب، وكل ما هيجت به النار وأوقد...

(٧) منتخبات ص ٦٢

(٨) الجمهرة ١٧٥/٢ـ١٧٦

(٩) المصدر السابق ٢١٤/٢

(١٠) المنتخبات من «شمس العلوم» ص ٤٦

١١- بين الكاف والشين:

ويبدلون الكاف شيناً فيقولون في «لبّيك» «لبّيش»[١]، وهو الذي أطلق عليه «الشنشنة».

١٢- بين التاء والكاف:

ويبدلون التاء كافاً فيقولون في «عَصَيتُ» «عَصَيكُ»[٢].

١٣- بين الهمزة والواو والياء:

ويبدلون الهمزة واواً تارةً وياءً تارة فيقولون في:

«آتيتُه» على الأمر، «واتيته» على الأمر[٣].

وفي «آسيته» «واسيتُه»[٤].

وفي «آكلتُ» «واكَلْتُ»[٥].

وفي «آمرتُ» «وامَرْت»[٦].

وفي «آخيت» «واخيتُ»[٧].

وفي «آخُذُ» «واخُذُ»[٨].

وفي «بدأنا» «بدينا»[٩].

وفي «المئزاب» «الميزاب»[١٠].

ويبدلون الياء همزة في بعض الكلمات فيقولون في «رثيت» الميّت «رثأته»[١١].

أقول: وجملة هذه المواد التي عرض لها الإبدال قد تحدث أو يحدث نظائرها في عربية غير يمنية. وفي كتب الإبدال مادة وافية تتصل بلغات القبائل[١٢].

---

(١) المزهر ٢٢٢/١

(٢) الصحاح ١٤١/٥، والإبدال للزجاجي ص ١٠٦، والنوادر ص ١٠٥

(٣) تاج العروس (أتى)، والصحاح ٨٦٢/٢، واللسان (أتى).

(٤) المصباح المنير ١٩/١، والصحاح (أسو).

(٥) اللسان (أكل).

(٦) المصدر السابق (أمر).

(٧) المصدر السابق (أخو)، والمصباح ١٢/١، والمزهر ٤٦٢/١

(٨) المصباح (أخذ).

(٩) الجمهرة ٢٠٢/٣، واللسان (بدي) ومثله في «التاج» و«الصحاح».

(١٠) التهذيب ٢٦٢/١٣، والمعرّب للجواليقي ص ٣٧٤

(١١) الجمهرة ٢٨٢/٣، وكذلك «اللسان» (رثأ).

(١٢) مواد «الابدال» في أي لغة (لهجة) قديمة أو حديثة يندرج في باب «التغير التركيبي» في الكلمات. ذلك ان الاصوات يتصل بعضها ببعض تجاوراً واقتراباً فيلتقي الصوت بما يجاوره من غير أن يصل بينهما صوت لين. وقد يتصل صوت اللين بنظيره فيكون من هذا التجاور بين الصوتين الساكنين «تماثل» وهو ما يدعى Assimilation، أو يكون تغاير

وليس لنا ان نتخذ من هذه البقايا أو الشذرات مواد علمية في درس لغات القبائل، وهو ما ندعوه في عصرنا بـ«اللهجات». لا أدري كيف يسوغ لباحث في عصرنا أن يدّعي أنه درس لغة هذيل أو لغة تميم أو لغة أهل الحجاز، وهو لا يستطيع أن يعرف على وجهٍ من التحديد مواطن هذه المجاميع القبائلية. وكيف يتأتّى لدارس أن يقول فيما يقول: هذه لغة تميم معتمداً على شذرات صوتية تدخل في باب الإبدال، وعلى مواد صرفية تختلف في الفتح والضم والكسر، وعلى طائفة من كلم لها دلالات خاصة لدى هؤلاء، ودلالات أخرى لدى اولئك.

لقد ادرك اللغويون القدامى ومعهم النحاة وجوه الاختلاف في هذا الموروث من التراث اللساني، فاشاروا إليه على أنه خارج عن المطّرد العام من مواد العربية. وربما وقفوا على نماذج فريدة أدرجوها في باب «المذموم» من اللغات[1].

لقد عني الغربيون بدراسة ما ندعوه «اللهجات»، ولكنهم لم يبتعدوا عن العلم، ذلك انهم درسوا لغات معروفة في هذا العصر في بيئة محدودة معروفة، فقد درس الفرنسيون لغة منطقة «بريتاني» في شمال غرب فرنسا، ولغة الباسك في جنوب غرب فرنسا. لقد واجه الدارسون هذه البيئات وسمعوا منهم فكان من ذلك درس للنظام الصوتي، ودرس للنظام النحوي كما كان درس للمعجم الذي يدخل في باب الدلالة.

وهكذا فعل الانكليز والروس وغيرهم. ولم يكن من هؤلاء الدارسين أن تصدوا للغةٍ قديمة عفّى عليها الزمن، ولم يبق منها إلاّ شذرات تندرج في باب الأصوات وباب الدلالة. وأنت قد يأخذك العجب في صنيع أصحابنا في هذا العصر، يتصدّى أحدهم للغة تميم أو هذيل أو لغة قبيلة أخرى فيحاول أن يدرس مسألة «النبر» و«النغمة» وما أشبه هذا مما يستحيل ادراكه، لأن الدارس يفتقر الى الناطق بهذه اللغات القديمة. ثم إن الموروث من تلك اللغات شيء بعيد عن الأصل القديم كل البعد.

اننا نعرف ان الصوت وحده يتطوّر تطوّراً كبيراً، ألا ترى ان صوت الضاد في عربيتنا المعاصرة قد تحول الى ظاء. وان العرب في عصرنا يختلفون من بلد الى بلد في إخراج أصوات الحلق؟ فكيف يذهب اخواننا في الظلام فيصنّفون الرسائل في موادّ قديمة طغت عليها عربية موحدة نحواً وصرفاً ودلالة، وقد يكون

= Dissimilation. فأما «التماثل» فيكون فيه ظاهرتان، الاولى غلبة الصوت السابق على اللاحق، والثانية على العكس. وهكذا يتحوّل المهموس الى مجهور أو العكس، وهكذا يتحوّل الصوت الى صوت آخر قريب إما في المخرج أو الصيغة. وأما «التغاير» فكثيراً ما يكون في الصوت صوت من الاصوات المائعة liquide وهي اللام والميم والنون والراء.

(١) انظر «اللغات المذمومة» في الصاحبي أو المزهر.

المشرفون على هذه الرسائل من أساتيذ الجامعات أحق أن يوجّه اليهم هذا النقد؟

يأتي نفر من هؤلاء الأساتيذ فيزعم أحدهم: أن المبرر الصوتي لانقلاب السين تاءً هيّن واضح، لانهما يكادان أن يكونا متماثلين في المخرج، كما ان كلاً منهما صوت مهموس، ولم يبق إذن إلا أن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكماً به ينحبس النفس حتى اذا انفصلا انفصالاً مفاجئاً سمع ذلك الصوت الانفجاري الذي تسميه بالتاء، في حين أنه في حالة النطق بالسين نلحظ ان انحباس النفس لا يكون محكماً، بل هناك فراغ ضيق من طرف اللسان وأصول الثنايا ليتسرّب منه الهواء[1].

أقول: هذه الفائدة الصوتية صحيحة وأنت تنظر في اخراج السين والتاء، ولكنني لا ارى ذلك سبباً بل أراه شرحاً لما هو واقع، اذ لو كان سبباً لتحقق في كل كلمة على وزان «الناس»، فلم يؤثر هذا الابدال في البأس والرأس والفأس ونحو ذلك، ولم يسمع ذلك في هذه الألفاظ ونظائرها حتى في تسهيل الهمزات في كل قول من يقول: باس وراس وفاس. ثم قال: ان القبائل التي تقلب السين الى التاء هي القبائل البدوية التي تميل الى الأصوات الشديدة في نطقها كقبائل ختعم وزبيد[2].

أقول: هل استقرى هذا الأستاذ ما يكون في نطق القبائل البدوية الأخرى؟ وكيف اهتدى الى ان القبائل البدوية تؤثر الأصوات الشديدة؟ ان أصحاب هذه الأقوال يفسرون الظواهر الصوتية فيهتدون الى أي سبب يخيّل إليهم أنه سبب حقيقي، لذلك نراهم يتناقضون في أقوالهم. فقد رأينا أحدهم يفسّر الفتح في تميم في طائفة من الكلمات الثلاثية لانها بدوية، تميل الى السهولة، في حين كانت لغة الحجاز[3] تميل في تلك الألفاظ الى ضم فاء الكلمة. ثم يبتعد بهذا الباحث الشوط فيجد الفتح في لغة الحجاز، والضم في لغة تميم فينطلق ملتمساً سبباً آخر لهذا فيجعل البداوة تؤثر الضم.

أقول: كأن العلم اللغوي لدى هؤلاء صنعة وافتعال، بعيد عن سماحة الطبع التي جبل عليها المعربون بدواً كانوا أم أهل حواضر.

واذا كان طبع أهل البادية على ما وصف هذا الأستاذ، فلِمَ اختصّ بهذه الكلمة «الناس» ولم يتجاوزها الى غير مما ينتهي بسين مثل نبراس وقرطاس وقياس وغيرها؟

ولننظر فيما قالوا في الدال والذال:

---

(١) اللهجات العربيه لابراهيم آنيس ص ١٠٥

(٢) المصدر السابق

(٣) انظر الكلام على لغة الحجاز في كتابنا هذا.

لقد قالوا يقرب مخرج الدال من مخرج الذال، اذ ان مخرج الدال من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، ومخرج الذال من بين طرف اللسان وطرف الثنايا العليا، ويتّحد الصوتان في صفة الجهر، ويختلفان في ان الذال صوت رخو بينما الدال صوت شديد[1].

أقول: وهل لنا أن نفسّر ما نسب الى أهل اليمن انهم قالوا: «ذحج» والأصل «دَحَج»، واذا كان هذا فلِمَ لم يؤثر عنهم «ذحرج» والأصل دحرج؟

وتفلسف آخر فقال: إن مسوّغ الابدال بين الصوتين هو انتقال مخرج الذال الى الوراء قليلاً فيصادف الدال، كما تتغير صفة الذال من الرخاوة الى الشدّة فتصير دالاً[2].

اقول: وهذا التحوّل أو الإبدال يشيع في العامية، ألا ترى ان الفصحاء قد قالوا في بعض المعرّب: أُستاذ، والعامة تقول أستاد، ونقول: فولاذ، والعامة تقول بحسب الأصل الأعجمي «بولاد» والباء أعجمية نظير الحرف (P) اللاتيني، وغير هذا كثير، ولا نعدم أن نجد في عامية أهل مصر قولهم في الأعلام: مندور ومدكور، وفصيحهما منذور ومذكور.

على أن شيئاً من هذا قد أثر في فصيح العربية فجاء في قوله تعالى: «وادَّكَرَ بعد أُمّة»[3]، ونقول «ادَّخر»، وهو أكثر من «اذدَخَرَ» أو «اذّخر».

وزعم اللغويون القدامى، ان أهل اليمن يبدلون الحرف الاول من الحرف المشدّد نوناً فيقولون في «إجّاص» «انجاص»، وفي «إجّانة» «إنجانة»، وفي «حظّ» «حنظ»، وفي «اجّار» «انجار» وغيرها.

وزعم أحدهم في هذا التفسير في ضوء قانون المغايرة «dissimilation» فقال «حدوث اختلاف بين الصوتين المتماثلين في الكلمة الواحدة، ويحدث هذا الاختلاف في الكلمة المشتملة على التضعيف بأن يتغير أخذ الصوتين المضعفين إلى صوت ليّن طويل... أو الى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين، وهي المسماة بالاصوات المائعة وهي اللام والميم والنون والراء»[4]. أقول: اذا عرف هذا الإبدال في لغة أهل اليمن كما زعم المتقدمون، فلِمَ لم يشيروا أيضاً الى غير أهل اليمن الذين عرفوا هذا الإبدال وفشا في لغتهم؟[5] ولِمَ لم يطّرد هذا الإبدال في

(١) الأصوات اللغوية لابراهيم أنيس ص ٤٧-٤٨

(٢) اللهجات العربية في التراث لأحمد الجندي ص ٣٣٨

(٣) ٤٥ سورة يوسف، وعكس هذا قراءة ابن عباس «فشرّد بهم من خلفهم» ٥٧ سورة الانفال.

(٤) لحن العامة لعبد العزيز مطر ص ٢٢٨

(٥) أقول: لقد غلبت الواو في هذه الكلمات فأعارتها الى الألسن الدارجة، فالعامة يقولون: واسيته وواكلته وواخذته وغيرها.

الكلمات الكثيرة المضعفة ما دام قائماً على علة صوتية؟

ونستطيع أن نذهب في سائر المواد التي حصل فيها الإبدال فنقول: انها أفراد سجلتها العربية في كلمات بعينها لا يمكن أن تكون ظاهرةً لغوية يسبّبها عامل صوتي. غير أن الذين هرعوا الى هذا اللون من الدرس أرادوا أن يقيموا من هذه «الاشتات» هياكل فأتى العلم بنيانهم من القواعد.

كيف نعتمد على أن «آسيته» تتحول الى «واسيته» وعلى نماذج أخرى معدودة فنتخذ منها ظاهرةً لغوية تنسب الى أهل اليمن، وتنسب الى غيرهم، وربما غلبت الواو فكانت اللغة الوحيدة كما في عربيتنا المعاصرة[1].

وكيف نعتمد على «أصغَى» التي تحولت الى «أصعَى» بالعين المهملة كما زعم اللغويون القدامى، وعلى نظائرها فنقول انها ظاهرة يمنية، وهل الذي قرأ «عشاوة» في قوله تعالى: «وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة»[2] . كان على لغة أهل اليمن؟

ومن العجب أن ما استبعده الأقدمون وأنكروه وحسبوه «مذموماً» منكراً عاد إليه المعاصرون فأعلموا فيه علمهم فزعم أحدهم: «إن شنشنة اليمن ليست إلا كشكشة ربيعة ويجب أن تنسب هذه الظاهرة الى القبائل البدوية اليمنية كما نسبت الكشكشة الى تلك القبائل من ربيعة التي توغلت في البداوة»[3] .

أقول: لو لم يحتفل هؤلاء المعاصرون بما نبذه القدماء واستنكروه لوجدوا ان هذه الاشتات اللغوية لم تصح نسبتها الى اليمن أو ربيعة، بل نسبت الى أقوام آخرين، وأنت تدرك هذا اذا استقريت المصادر القديمة لترى ما ورد في هذه «الاشتات» او اختلافها في نسبتها الى أصحابها.

ويحسن بنا ان نقف على الأشتات اللغوية في المصادر اليمنية ولا سيما «الإكليل» و«صفة جزيرة العرب» للهمداني، و«شمس العلوم» لنشوان الحميري، ومن هذا:

قال الهمداني في «الاكليل»: «وبالمتوكّل» سمّوا أكيلاً وهم «الأكيليّون»[4] كأنه اسم مصغّر لأن تصغير مُتَفَعِّل يصير الى فعيل[2] .

ومنه: النسبة الى «صنعاء» صنعاني، ومثل ما أشار إليه بالنسبة الى «بَهْراء» بَهْراني... وقال: خَولانَ لا تنسب إليها إلاّ على بنية الأصل «صنعاوي»، وإجماع

---

(١) ٢٣ سورة الجاثية.

(٢) اللهجات العربية ص ١٢٤

(٣) في الإكليل ١/٣١١ اثبت المحقق «الأكلون»، وقال في تعليقه: وصوابه الأكيليون

(٤) المصدر السابق.

أهل خَولان على أنهم يقولون في ساكن الكدراء «كدراوي» ولا يقولون «كدراني»[1].

وفي اللسان: ان النون من الهمزة في «صنعاء» حكاه سيبويه[2]. وذهب ابن خلكان الى أنها نسبة شاذة كما قالوا في بهراء «بَهراني»[3].

وقال:

وينسب الى حي بني خَوْلان «حِيوانيّ» وأشار الى أنها أصبحت هكذا فراراً من اجتماع ياءين أحدهما ثقيلة مع ياء النسبة[4].

وذكر أن النسبة الى «مَهْرة» عند الكلام على اضطري بن مهرة فقال مَهْريّ[5] ...

والنسبة الى مرّان الرعاء «رعاويّ» والى شمر «شمراني»...

والنسبة الى «الأخصوص» هي «خضّي» والقياس أخصوضي[6].

والنسبة الى «الأبقور» «باقري»، والى «البقراء» «بُقري».

ثم مضى في هذه الخصوصيات في باب النسب مما عُرف في عربية اليمن.

ومن هذه الاشتات الخاصة باليمن ما ذكره الهمداني فيما يعرض من الحذف لبعض الكلمات. فهو حين ذكر الملطاط بن عمرو أولد «الى شدد»[7] بن الملطاط أشار الى أن قسماً من العرب يخفّفونه فيقولون: اليشدّد مثل اليحمد، كما أنهم يحذفون فيقولون: يشدّد أي يحذفون الهمزة واللام من الكلمة تخفيفاً، ويبدلون الألف من آخر كلمة «الى» ياء.

ثم قال: انهم يبدلون الياء من «يشدد» فيقولون: شداد، أو يحذفون الألف الذي ابدلوه من الياء فيقولون: شدّد.

وأشار الى «المشتبه» بين «شدد» و«سدد» فقال: كلمة «سدد» هو سدد بن زرعة ابن زرعة بن سبأ الأصغر...

وعرض لضرب من البدل غريب، وهو إبدال التاء نوناً في أبيات أنشدها إيّاه بعض حمير، والمذحجي، وذلك للتكثير مستشهداً بقول العجاج، وقول الشاعر:

لأنت جلبتَ الخيل من ارض حِمْيَرٍ غرابين دهماً حالكاتٍ وكُمتاتا

(١) صفة جزيرة العرب ص ٨٢، وانظر اللسان ١٠/ ٨٠ـ٨١

(٢) اللسان.

(٣) وفيات الاعيان ٣/٢١٦ـ٢١٧، واللسان ١٠/ ٨٠

(٤) الإكليل ١/ ٢٩٧

(٥) المصدر السابق ١/ ٢٦٧

(٦) المصدر السابق ١/ ٤٢١

(٧) الإكليل ٢/ ٦٤

قال الهمداني: كأنه أراد التكثير في «كُمتان» فأبدل التاء منها[1]. وقد وردت النون في الكلمة ولم تبدل في قول العجاج:

والكُمْتُ تبري كُمتُها لكُمتانْ والوُرْق تبري للرِّعال الوُرقانْ

أقول: وهذا من الغريب، ولا أدري كيف يكون «الكُمتات» أكثر من «الكُمْت»، ذلك أن شيئاً مما جمع بألف وتاء في العربية ينصرف الى أدنى العدد. ان «سنبُلات» و«بقَرات» في قوله تعالى: «إني أرى سبع بقرات سِمانٍ يأكلُهُنَّ سَبْعٌ عِجاف وسبْعَ سنبُلات خُضرٍ...»[2]، ينصرف الى أدنى العدد، ولذلك وردا مع العدد «سبع».

وذكر الهمداني ان «برىء آل» لما اجتمعت فيه ثلاث همزات خُفِّفت فقيل «بريل» وقد جاء هذا حين ذكر «بريل ذو بتَع»[3].

ومن هذه الاشتات اللغوية الخاصة بعربية اليمن قوله: «وكثير من قبائل حمير يأتي على الأفعول». ومن أمثلته لهذا الوزن الأينوع والأوسون، والأحرون، ومثله الأهبوب. وأشار الى ورود ما هو على «فَعالات» في لغة هَمْدان نحو الخضارات، كما أشار الى ما ورد على «فُعَيلات» نحو «الحُدَيعات» و«العُيَينات» و«الأصَيلات». وما ورد على وزن «الفَعَلات» مثل «اليَجَدات» و«العَبَلات»، وما ورد على «فُعول» نحو «الصُقور» و«النُسور» و«الغفور»[4].

ومنها قوله:

وأولد ذو يقدَم «ذا أبين» وبه سُمِّيت «أبين عَدَن، بقول أبي نصر». وأتى بقول شيخه ابي نصر وهو «أنه لا يمكن إلاّ أن يضاف الى اسم قد سُمِّي قبله. وإلاّ كانت تضاف اليه «ذات» فيقال: «ذات أبين».

ثم قال: قال ابو محمد [يعني نفسه] وذهب الى أنها سميت «أبين» بأبين بن الهميسع لإنشادهم قول الرائش بهذه الرواية التي رواها مستدلاً بها على ما ذهب اليه، وهي:

واذكُر به سيِّدَ الأقوام ذا إنسٍ ابن القدام وعمراً والفتى الثاني

فقال: «فجعل «ذا يقدَم» كما جعل عبد المطلب قدم» مستظهراً بقول بعض من قُبل قولهم من أهل اليمن «إنه لا يضاف «ذو» الى الأعلام، فلا يقال: ذو زيد، ولا

---

(١) المشتبه من أسماء عرب الجنوب للهمداني ٣٢-٣٣

(٢) ٤٣ سورة يوسف.

(٣) الإكليل ٢٧١/٢

(٤) المشتبه من اسماء عرب الجنوب ص ٤٢

ذو عمرو، ولا ذو مالك»، وعلى هذا يجب ان يكون «ذو أَنِس» زنة «إثم» وهو جبل البقران باليمن.

ثم أشار الى ان أبا نصر قد أبى ذلك وأبطله، وهو يرى ان البيت:

واذكُر به سيّد الأقوام ذا بَيَنٍ

وقال: ان «حميرَ» تحذف مثل هذه الألف في كلامها فتقول: اذا أردت أن تقول للرجل: اسمَعْ واذهَبْ، سِمَعْ وذِهَبْ، وغِضَبْ، وشِرَبْ في اغضَبْ واشرَبْ[1].

وقد قال بما قال به شيخه ابو نصر.

ثم قال: «والوجه ما ذهب إليه قدماء الرواة أنهم سمعوا بـ«أناس بن الغوث» من الصوار، فظنوا انه لا يكون اسم انسان بجماعة أسماء الناس مثل أناس بن الغوث، ورجال بن حَجْلب بن ذي يزن... وأنه ذو أناس، وأنه يصلح ان ينقص في العشر فيقال «ذو أنس»، والأنس والأَنَس واحد. يقال: قربت من الأنْس والأَنَس» ثم قال: ولو أنشدوا:

«واذكُرْ به سيّد الأقوام ذا بَيَنٍ»

لكانت العربية تجيزه[2].

الحميرية وما بقي منها ومصادرها

كنا قد أشرنا الى قول أبي عمرو بن العلاء في الحميرية، وقد أشرنا الى أنه رحل الى اليمن وسمع من أهل اليمن وقد قال: ما لسان حمير واقاصي اليمن بلساننا. وكأنه وجد بقايا الحميرية معروفة متداولة، ولعل شيئاً منها قد دخل العربية. ومن أجل ذلك اشار علماء القرآن من أهل العربية الى وجود ألفاظ يمنية في لغة التنزيل.

قال ابو عبيد في قوله تعالى: «متّكئين على الأرائك»[3]، فالاريكة عند أهل اليمن الحَجَلة فيها سرير[4]. وفي قوله تعالى: «ولو ألقَى معاذيره»[5]، وأهل اليمن السِّتر: المِعذار، فمعاذيره معناها ستوره[6].

وروى الكسائي عن القاسم بن معن في قوله تعالى: «اسكُنْ أنت وزوجُك

---

(١) الإكليل ٢/٦٠-٦١

(٢) الإكليل ٢/٦١

(٣) ٣١ سورة الكهف.

(٤) الصاحبي ص ٤٢

(٥) ١٥ سورة القيامة.

(٦) الصاحبي ص ٤٢

الجنة»[1] أنها لغة لأزد شنوءة، وهم أهل اليمن[2] .

ونقل ابن السكيت عن الأصمعي أن حِميرياً يقول: أنا أعرف تزبرتي[3] قال ابن السكيت: وزبرت الكتاب اذا كتبتُه[4] .

وكما أثر كل هذا عن هذه اللغة القديمة، فقد أثر عنهم ما يفيد أن الحميرية تفتقر الى فصاحة العربية، وأن فيها عجمة فقد اشار ابن جني الى رواية عن الأصمعي من أنّ رجلاً من العرب دخل على ملك ظفار، فقال له الملك: ثِبْ، ومعناها في الحميرية اجلِسْ، فوثب الرجل فانْدَقّتْ رجلاه، فضحك الملك، وقال: ليست عندنا عربية، من دخل ظفار حَمَّر، أي تكلم بكلام حمير.

وقد اشار ابن جني الى ان الحميرية عربية قديمة لا ترقى الى فصاحة لغة التنزيل[5] .

ويبدو أن الحميرية عاصرت العربية، فقد ذكر الهمداني أن «مهرة» غُتْم يشاكلون العجم[6] . وأن أهل اليمن الذين تكلّموا بالعربية استعملوا ألفاظاً كثيرة حميرية.

وقد اشار محمد بن علي الأكوع الى جهد الهمداني في «الإكليل» وشرحه للألفاظ الحميرية التي بعد العهد بها عنا[7] .

كأن الهمداني قد رسم الخارطة اللغوية في اليمن، فقرأنا فيها مواطن اللغة الحميرية وانتشارها من قتاب الى ذمار. وفي أهل صنعاء وغيرهم بقية منها، فتوجد في «شِبام»، وفي «خَيوان»[8] وغيرها.

وقد جاء في أحد ابواب «الإكليل» بيان لحروف المسند، وذكر أنه كتاب حمير ومثلاته في حروف ا. ب ت ث وغيرها[9] .

وقال: «أكثر ما يقع بين الناس الخلف فيما يقولونه من «مساند» حمير من اختلاف صور الحروف. لأنه ربما كان للحرف أربع صور وخمس، ويكون الذي يقرأ لا يعرف إلا صورة واحدة.

---

(١) ٣٥ سورة البقرة.

(٢) لصاحبي ص ٤٢

(٣) (٤) الإبدال ص ١٤١

(٥) الخصائص ٢٨/٢، وقد أشار ابن جني الى لغة أهل اليمن فذكر قول الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء في ٢٤٩/١، وفي ٤١٦/٢

(٦) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧

(٧) الإكليل ٧/١

(٨) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧_٢٧٩

(٩) صفحات من التاريخ الحضرمي لسعيد عوض با وزير (م السلفية - القاهرة ١٣٧٨) ص ١٦

فلما وقع الخلل في هذا الموضع رأينا أن نثبت تحت كل حرف من حروف ألف، باء، تاء صورها جميعها. وانما كان اختلاف صور الحروف على سبيل اختلاف الكتاب العربي»[1].

وقد أشار الهمداني الى ما يحذف في الكتابة من الكلمة فقال: وكانوا يطرحون الالف اذا كانت بوسط الحرف مثل الف «همدان»، وألف «رِئام» فيكتبون «رِئم»، و«همدن»، وكذلك تبع كتّاب كتُب المصاحف في رسم الحروف في مثل «الرحمن»، وألف إنسان، ويثبتون ضمة الآخر واواً «عليهمو»[2].

ونبّه الهمداني على ان الحميريين يفرزون كل سطرين بخط، ويفصلون بين كل كلمة وكلمة في السطر بخط قائم مثل ذلك في أول مسند ناعط، ومثّل لصورة ما نبّه عليه. وبعد ان فسر ما صوّره قال: «فنحيت الألف المتوسطة، وثبتت الواو للضمة التي عليها ثم ذكر ا. ب. ت. ث وسائر الحروف»[3].

وكنا قد أشرنا الى قول الهمداني في الامر من الأفعال لدى الحميريين وأنهم كانوا يطرحون الالف من الأفعال في الامر فقال: إذا أردت أن تقول للرجل: اسمَعْ، واذهَبْ، تقول: «سِمَعْ، و«ذِهَبْ»، و«غِضَبْ» في اغضَبْ، و«شِرَبْ» في اشرَبْ، أي أنها [اي حمير] تحذف همزة الوصل من أمر الثلاثي فذَهَبَ أمره «ذِهَبْ» في لغة حمير[4].

ويشير الهمداني الى الاشتات الحميرية التي بقيت في العربية اليمنية فهو يورد قول فروة بن مُسيك المراديّ:

واللّهِ لولا معمَر وسَلمانْ ابنا عروان ووفيّا هَمْدانْ (كذا)
إذن تواردن حوالا نَوفانْ يحملننا وبَيْضنا والابدانْ

قال الهمداني: «حوالا» لغة لهمدان ومن جاورها، ثم قال: تقول: حلٌ بعيراك، وخذ ديناراك بمعنى حلٍّ بعيريك، وخذ دیناريك[5].

ويورد قول علقمة الذي جاء فيه «تُلُفُم»:

وتُلُفُماً فاندبي وابكي لمّا خلا أهله فساحوا[6]

وقوله أيضاً:

(١) الإكليل ١٢٢/٨

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر صورة الحروف في مسند ناعط وتفسيرها في «الإكليل» ١٢٢/٨-١٢٣

(٤) الإكليل ٦١/٢، وقد مرّت الاشارة الى هذا. وانظر صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧

(٥) الإكليل ٩٣/٨ وانظر صفة جزيرة العرب ص ٢٧٨

(٦) المصدر السابق.

ألــم ترَ ناعطــاً أمسَى خراباً   وتُلْفُـمَ بـادَ عـامرُه فجابـا

ويقول ان «تلفم» اسم من «تَلَف» زيدت فيه «ما» فقيل: «تلفُما». ثم حذفت الالف فقيل «تُلْفُم» بالحميرية، ولم يكتف برأيه في تركيب هذه الكملة وحذف الألف منها، بل أورد كلمات أخرى قالها الحميريون محذوفة الألف كقولهم: «مأذِنم» و«رئامَم» يريدون «مأذناً» و«رئاما».

ثم ذكر تخفيفها قولهم: «تُلْفُم» وأشار الى ان العرب رأته كالأعجمي فقيل: تُلْثُم بالثاء المثلثة، وشاهده قول الهمداني[١] :

وتُلْثُمـا لـو سـألنـاه يخبّركـم   قد عفاه من أبواس وأنواس (كذا)

ومما أورده الهمداني من الالفاظ الحميرية كلمة «الكرُدي» بمعنى العجين ذلك أن «كرد» بلغة حمير بمعنى «عَجَن».

وقال: «الفحمي» النار والجمر خاصة[٢] .

وقال: «الهَجَر» القرية بلغة حمير والعرب العاربة[٣] . ومنها هَجَر البحرين، وهَجَر نجران، وهَجَر جازان، وهَجَر حَصِية من مخلاف مأذن، وفيها جاء المثل:

الـهَجَـران   كفّــة   بكفّــةْ   النخـل والـذّبْـر بهـا مُحِفّــةْ

والذّبْر هو الزرع[٤] .

ومما أورده الهمداني «التّبَع»، قال: تسمّي حمير ما تبع الشمس من الفيء «التُّبَع»، قالت سعدى بنت الشمردل الجهنية ترثي أخاها وتنعته[٥] .

يـردُ الميـاهَ حضيـرةً ونفيضةً   ورد القطــاة اذا اسمألّ التُّبـعُ

ونصّ على ان «حمير» تبدل الهاء من الهمزة في «هشوع»، والاصل «أشوع»[٦] .

كما كانوا يبدلون الواو من الالف، وقد جاء هذا عندما ذكر أولاد شمائر بن

---

(١) الإكليل ١٠٣/٨

(٢) المصدر السابق ٦٥/٨

(٣) صفة جزيرة العرب ص ١٧٠، وعلق المحقق فقال: «ولا زالت «الهجر» بالتحريك تطلق على القرية الكبيرة الى هذا العهد كما تطلق على آثار وانقاض المدينة الجاهلية»

(٤) المصدر السابق ص ١٧١

(٥) الإكليل ٦٨/٢

(٦) المصدر السابق ٢٤/٢ وقد علّق محقق الكتاب فقال: هذا يدلّ على معرفة المؤلف للقلم الحميري ويؤيده ما جاء في النقوش التي عثر عليها المستشرقون.

ذي ماور «ملهو وتار يُهَنّعِم»(١) ، وذو سُنافة ابني شُمانِر».

فالأصل في «ملهو» «ملها» لكن بعض حمير يبدل الألف اذا كانت في ذوات الواو فيقول: ملهو في ملها، ومسنو في مسنا، وهي النضّاحة، ورَجُو ومَرْجُو في رَجَا البئر(٢) .

وجاء في «الجمهرة» لابن دريد ان اليمانيين يبدلون الألف واواً قال:

«وسمعت رجلاً يقول: أم شيخ أم كُبَار ضَرَبَ رأسه بالعَصُو، اي بالعصا(٣) .

ويمضي الهمداني في ذكر الخصائص اليمنية الحميرية في الاعلام للناس والمواضع.

أقول: ومن هذه «الأشتات» التي عرضنا لها يتّضح لنا ان «الحميرية» بقايا ألفاظ وصيغ وجدت مكانها في العربية الفصيحة اليمنية. ونستطيع أن نقول: إنها أوفر حظاً في الألسن السائرة الدارجة في الحواضر اليمنية والقرى.

الخاتمة:

ربما فات الهمداني كما فات من خلفه من المصنفين اليمانيين كنشوان بن سعيد الحميري في كتابه «شمس العلوم» أن يشيروا الى غلبة الصبغة الفعلية وهي «يفعُل» او «تفعِل» في أسماء الرجال وأسماء المواضع نحو: يشجُب ويعرب ويحصُب، ويحمَد ويثرِب وينبُع وتريم وتعِز، وتبوك(٤) ، وطائفة كبيرة أخرى من نحو هذا الذي قدمت.

وهذا من خصائص اللغة اليمنية القديمة، وأرى ان «يمن» تندرج في هذا، فهي من مادة «م ن ن»(٥) . وليست من «يمين» كما ذهب المؤلفون العرب الذين قالوا إنها يمين مكة، كما ان بلاد «الشام» سمّيت كذلك لأنها شمال الكعبة.

وبعد فهذا موجز إن لم يكن كافياً فهو مفيد لوقوفه على نماذج من اللغة اليمنية عربية وحميرية تقوم مقام المقدمة لعمل آخر مبسوط كل البسط.

---

(١) أقول: ووجود الهاء حشواً في الفعل، وهو حرف زائد يقابل الهمزة في العربية كما في «أكرَمَ» لكن هذه الهمزة تحذف بعد حرف المضارعة خلافاً للحميرية، ولعلّ من هذا ما بقي

في العربية الشمالية الفصيحة كما في قول امرئ القيس:

«وانّ شفائي عبرةٌ مُهراقةٌ»

(٢) الإكليل ٨٢/٢

(٣) الجمهرة ٢٧٤/١

(٤) وإن لأميل الى يمانية الحجاز سكاناً ولغة فالناس هم الأوس والخزرج وقبائل أخرى قحطانية، وأسماء الحواضر والمواضع هي كذلك تتضح في: يثرب وينبع وتبوك وغيرها.

(٥) المعجم السبئي، انظر (Mnn).

نظرة نقدية في اللغة اليمنية في المعجمات العربية

بين يدي البحث:

قد استوفى الدكتور هاشم الطعان ما ورد من الألفاظ اليمنية في «المعجمات» وكتب اللغة والمصادر التاريخية، وهيّأ هذا العمل فرصة للدارسين.

ولا بدّ لي قبل البدء بهذا الدرس أن أمهّد له بشيء يتصل بالوضع والإنتحال في اللغة. لقد عرف أهل الدرس الإنتحال والكذب والتزيّد في الشعر القديم، وكتب فيه مؤرخو الأدب، وأنت تقف على هذا في «طبقات فحول الشعراء» وفي كتاب «الأغاني» وغيرهما. وقد كان شيء مثل هذا في الاخبار التاريخية التي تتصل بالفرق والطوائف. وأما الموضوع في الحديث الشريف فأمره معروف.

ولم يعرض أهل الدرس للموضوع المرتجل من المواد اللغوية. وكأني ألمح طائفة من هذا في الأبنية الرباعية والخماسية، ذلك أن طائفة كبيرة من هذه المواد لا تشير الى معنى واضح، فأنت تجد فيها ما يدلّ على الصفات غير المحدودة، ولا تعرف من حال الموصوف بها شيئاً. لعلك تقف على ما هو «صلب شديد» فتجد طائفة من الرباعيّ، وما هو فوق الرباعي ينصرف الى هذا، والى «الضخم» وما يشبه هذا من الصفات. ثم إنك لا تجد حضوراً لهذه المواد في نص قديم، بل هي مواد يتيمة ليس لك أن تصف بها موصوفاً معيناً. وهي أيضاً أسماء وأفعال ومصادر لا تخلص منها الى فائدة معينة.

وإني لأميل الى صرف هذه المواد الى الموضوع المصنوع، ولنقف على طائفة من هذه[1] ، ثم نغادرها الى الكلام على الألفاظ اليمنية التي لا تحتمل الصدق، ودونك شيء مما وقفت عليه من هذا الذي احتمل فيه الكذب:

البِرْشاع: الذي لا فوائد لـه[2].

البَحْظلة: أن يقفز الرجل قفزات اليربوع، يقال: بَحْظَلَ يُبحظِلُ بَحْظَلةً.

---

(١) سأستقري كتاب «المجمل» لابن فارس من منشورات معهد المخطوطات العربية في الكويت ١٩٨٥م

(٢) أقول: لو كان ابن فارس قد وقف على نص جاء فيه «البرشاع» لأثبته شاهداً، وهو وغيره من أصحاب المعجمات وكتب اللغة يتعقبون النص ولو كان مما يشك فيه فيثبتونه شاهداً في كلمة ولو كانت ممّا لا يؤدي فائدة

أقول: لو أن ابن فارس قد وجد الفعل مستعملاً في نص من النصوص لكان له أن يثبته مستدلاً على هذه الهيئة الخاصة.

البُهْصُلة: هي القصيرة، والبُهْصُلُ: الجسيم، وحمار بُهْصُل: غليظ.

وهل لي أن أفيد شيئاً من «البهصلة»، أصفة هي لامرأة أم لحيوان أم غير هذا مما لا يعقل؟ ثم أيكون «البهصل» هو المذكر، ولِمَ خُصَّ به الحمار؟

بَلْعَث: ورجل بَلْعث: سيّء الخُلُق.

اقول: وقول ابن فارس: «رجل بَلْعَث» ليس من النصوص التي تُعتَمد، لأنه مصنوع.

البَهْكَثة: السرعة فيما يأخذ فيه (الانسان من عمل).

وابلَنْدَجَ(١): المكان: اتّسَعَ، وابلَنْدَجَ الحوض: اذا انهَدَم.

أقول: ولِمَ لم تكن «ابلندَج» مع كلمة «الحوض» بمعنى «اتّسَعَ» كما هي مع «المكان»؟

بَخْذَعَ: يقال: ضَرَبَهُ فبَخْذَعه اذا قطعه بالسيف.

بَلْطَحَ: الرجلُ: اذا ضَرَبَ بنفسه الأرض، ويقال: بَلْدَحَ.

بَزْمَخ: الرجل، تكبّر.

تَبَحْضَل: لحمه: غَلُظَ. أقول: وكأن ابن فارس قد نسي «البَحْظَلة» التي بدأ بها هذا الباب وجعلها بمعنى أن يقفز الرجل قفزات اليربوع. وكأن أهل اللغة فرّقوا بينهما في الضاد والظاء.

البِرْدِس: الرجل المُنكر.

وبَلْذَمَ: الرجل: فَرِقَ فسَكَتَ (بالدال والذال).

وبَرْذَنَ: الرجل بَرْذَنةً، اذا ثَقُل، واشتقاق «البِرْذَون» منه.

أقول: والعكس هو الصحيح أي ان الحيوان «البِرْذَون» هو الأصل، ومنه وُلّد الفعل.

وتَبَزْعَر: الرجل: اذا ساء خُلُقه. وشابٌ «بُزْزُع» و«بُزْزوع»: ممتلئ تامّ.

أقول: كأن القلب الذي عرض للكلمة ذهب بها الى معنى بعيد آخر يختلف كل منهما عن الآخر حسناً وقبحاً.

بُزْزُل: ورجل بُزْزُل وبُزْزول: ضخم.

والمُبَرْطِس: الذي يكتري للناس الإبل والحمير، والفعل: البَرْطَسة.

بِرْعِس: وناقة بِرْعِس وبِرْعيس: غزيرة.

---

(١) لم أجد «ابلندج» في «لسان العرب»، بل وجدت الفعل الرباعي وآخره الحاء «بلدح» بمعنى أعيا مثل «بَلَحَ» و«بَلَّح» و«بَلَّد». ورجل بَلَنْدَح: لا ينجز وعداً، والبلندَح: النوم الثقيل...

بَرْشَطَ: الرجل اللحمَ: اذا شَرْشَرَه.
البَرْكَلَة: المشي في طين، أو الخَوض في ماء.
بَلْعَس: وناقة بَلْعَس: مسترخية اللحم.
بَلْخَس: الرجل وبَلْسَمَ: اذا كرَّ وجهَه.
وبَلْهَسَ: أسرع في مشيته.
وبَلأَص وبَلْهَصَ: عَدا.
البُعثوط: سُرّة الوادي.
بَلْعَك: وناقة بَلْعَك: مسترخية مُسنّة.
بعْكَنة: ورملة بَعْكَنة: غليظة.
تَبَغْثَرت نفسي: غَثَت.
وابْرَنْتَيْتُ ابْرِنْتاءً: اذا تقدّمتُ.
وتَبَرْبَسَ الرجل: اذا مشى مشياً خفيفاً.
وبَرْبَسْتُ الشيءَ: طَلَبتُه.
عَبَلْهَسَ الرجلُ: خَرَجَ من ثيابه.
البَجارِمُ والبَجاريُ: الدواهي.
والمُبْرَنْشِق: الفرِح المسرور، قال الأصمعي: حدَّثْتُ الرشيد بحديثٍ فابْرَنْشَقَ.
اقول: اذا كان حديث الأصمعي صحيحاً...
ابْرَنْتَيْتُ للأمر: اذا استَعْدَدْتُ له.
اقول: كأن ابن فارس وأصحاب المعجمات اذا قالوا: «ابرَنْتَيْتُ» ثم جعلوا بعد الفعل «للأمر» ذهبوا به الى غير المعنى الاول الذي أثبتوه قبل بضع كلمات!!
ومما جاء من كلامهم على أكثر من ثلاثة أحرف أوله تاء:
التُرتُب: الأمر الثابت.
التُرْخُم: في قولهم: ما أدري أيَّ تُرْخُم هو، أي لا ادري أيَّ الناس هو.
والتُرْبوت من الإبل: الذلول.
ومما جاء من هذا مما أوله الجيم:
اجلَوَّذَ: اذا أسرَعَ. والجُلْذيّ: الشديد من الأمر.
أقول: ورد الفعل «اجلَوّذ» والفعل «احرنجم» في كتب الصرف، ولم أر نصاً جاء فيه هذا.
والجَحَنْفَل: الغليظ الشفة.
والجَرَنْفَش: العظيم الجنبين.
والمُجْرَنْمِز: المجتمع كأنّه من الجراميز وهو الثقل.
و«المُجْلَنظي»: الذي يستلقي على ظهره، ويرفع رجليه.

و«المُجْلَعِبّ»: المضطجع والذاهب. أقول: ما العلاقة بين المضطجع والذاهب؟

وسَيْل مُجْلَعِبّ: كثير القمش.

و«المُجْرَهِدُّ»: الذاهب!!

و«المُجْلَخِدُّ»: المستلقي.

والجَيْدَرُ والجَأْنَبُ: القصير.

والجَسْرَب: الطويل.

وجمل جُراهِم: عظيم.

أقول: ويرد على «فُعالِل» الكثير مما هو شديد وصلب وضخم ونحو هذا مثل: «الجُخادِب» و«الصُمادِح» و«الصُلاخِب» و«العُلابِط».

وكأنّ وزن «فُعالِل» يفيد المبالغة!

و«الجَلَنْقَع»: الغليظ من الابل.

و«الجُرْضُم والجُراضِم»: الأكول.

و«الجِرفاس»: الضخم.

ومما ورد من هذا مما أوله الحاء:

«الحِسْكِل»: الصغار من ولد كل شيء.

«الحَعَلّد»: البخيل والآثم.

«الحُرْجُل»: الطويل

«الحَلْبَس»: الشجاع، وكذلك الحُلابِس.

«الحَوْشَب»: العظيم البطن.

«المُحَمْلَج»: الحبل الشديد الفَتل.

«المُحْزَئِلّ»: المرتفع.

ومما أوله الخاء:

«الخُلْجُم»: الطويل.

«الخِنْذِيان»: الكثير الشرّ.

الخِرْمِل والخَذْعل: المرأة الحمقاء.

الخُزَخِز: القويّ.

الخَجَوْجَى: الطويل.

ورجل خَنْشَليل: ماضٍ.

ومما أوّله الدال:

دَنْقَشَ الرجل دَنقشةً اذا نظر وكسر عينه.

والدُمَلِص والدُلَمِص: البراق.

والدمَكْمَك: القويّ.
والدِّفْناس: الأحمق.
والدِّرْدِس: الكبير المُسِنّ.
والدَغاوِل: الغوائل.
والإدْرنفاق: السير السريع.
وادرَمَّجَ: اذا دَخَل في الشيء.
ومما أوّله الزاي:
الزَّغْرَب: الماء الكثير.
الزَّنْتَرة: الضّيق.
الزَرْنَقة: السرعة.
المُزْمَهِلّ: الماء الصافي.
ويقال «ازمَهرّت» الكواكب اذا لمعت.
و«ازلأمّ» القوم اذا ركبوا ونصّت بهم إبلهم، ويقال: ازلأمّ القوم اذا تجمعوا. وازلأمّ النهار اذا ارتفع ضحاه.
و«الزَّعْبَج»: سحاب رقيق. قاله الفرّاء. وأنكر أبو عبيد أن يكون «الزعْبَج» من كلام العرب.
قال ابن فارس: والفرّاء عندي ثقة.
أقول: وهذا شيء يقوّي عندي ما أحسبه موضوعاً من هذا الكلم الغريب.
و«الزُّمْلول»: الأملس.
و«الزُخروط»: الرجل الخسيس، و«الزُخْروط»: الجمل المُسِنّ.
و«الزُعموم»: العَيّ.
و«زَهْرَق» الرجل: اذا اشتدّ ضحكه.
أقول: ولم أجدها في «المقاييس» لابن فارس نفسه.
و«الزِّبنْتَر»: القصير.
و«ازرَأمّ» الرجل: اذا غضب.
ومما أوّله سين من هذا:
«السَّلْقَع»: المكان الحَزْن.
و«السَّلْفَع»: المرأة الصخّابة، والشجاع.
و«اسْحَنْطَرَ»: طال وعرض!!
و«اسْمَهَدَّ» السنامُ: طال. و«اسْرَحَدَّ» السنام: قُطِعَ قطعاً.
و«السَّرَوْمط»: الطويل.
و«اسْرَنْدَى»: غَلَبَ.

و«السَّرَنْدَى»: الشديد.
و«المُسْمَعِدّ»: الوارم.
ومما أوّله شين من هذا:
«اشفَتَرّ» الشي: تفرّق.
و«الشَنظرة»: التعرّض لأعراض القوم بالشتم.
و«الشَنظير»: الفاحش.
ومما أوّله صاد من هذا:
«صِلّخْد»: صُلب.
و«صِلَقْم»: شديد العضّ.
و«اصمَعَدّ» الرجل: ذهب في الأرض.
و«الصَّمْرِد»: الناقة القليلة اللبن.
و«الصُّمُلك»: الشديد القوّة.
ومما أوّله ضاد من هذا:
«الضُبارِك» و«الضَّبْراك»: الرجل الضخم.
و«الضَّفَنْدَد»: الضخم.
و«الضَّبَطْر»: الشديد.
و«الضَّبَنْطى»: القويّ.
و«المُضرَغِطّ»: الضخم والغضبان.
و«الضَّنفِس»: الرخو اللحيم.
ومما أوّله طاء من هذا:
«الطُرْموس»: الرغيف. وقال ثانية: خبز المَلّة، وقالوا: الكذّاب.
و«الطَلْحَف»: الشديد.
و«الطُلْخوم»: الماء الآجن.
وقال ابن دريد: «الطُفَنّش»: الواسع صدور القدمين!
ومما أوّله عين من هذا:
«العيْهم»: الشديد.
و«المُعزَهَد»: المترَف.
و«العَلْكَدّ»: الشديد، وقال: العجوز الصخّابة.
و«العَكَلّد»: الشديد.
و«لبن عُكلُد»: خاثر.
و«العُجَلِد» و«العُجَلِط»: اللبن الخاثر.
و«العَشَنَّط»: الطويل والسيّء الخُلُق.

ومما أوّله غين من هذا:

و«الغُذامِر» و«الغُذارِم»: الكثير من الماء. و«غَذْمَرْتُ» الشيءَ و«غَذْرَمتُه اذا بعته جُزافاً.

ومما أوّله فاء من هذا:

«الفِرْشِط» و«الفِرْشاط»: الواسع. و«فَرْشَطَ» البعير: بَرَك!

و«الفَلْقَم»: الواسع.

و«الفَلْحَس»: الحريص، والمرأة الرَّسْحاء.

و«الفَدْغم»: الرجل العظيم الخَلْق.

ومما أوّله قاف من هذا:

«القَفَنْدَر»: الشيخ، واللئيم الفاحش!

و«القَلَهْذَم»: الخفيف، ونهر «قَلَهْذَم»: كثير الماء.

و«القَصَنْصَع»: القصير.

و«القُناعِس»: المجتمع الخَلْق.

و«اقرَنْبَعَ» في جلسته: تقبّض.

و«اقفَعَلّت» يده: تقبَّضَتْ.

و«اقبَأنّ»: تَقَبَّضَ.

و«امسَأنّ»: صَلُبَ.

و«اقمَعَدّ»: عَسُرَ.

و«اقذَعَلّ»: عَسُرَ.

ومما أوّله كاف من هذا:

«الكُنابِثُ»: الرجل الجهم الوجه. و«تَكَنْبَثَ» الشيءُ: تقبّض!!

و«المُكْأنِدر»: الشديد.

و«الكِرْزِم»: الرجل القصير الأنف.

ومما أوله لام من هذا:

«اللّعموط»: الحريص، و«لَعْمَطَ» الرجل اللحم: إذا انتَهَسَه عن العظم.

ومما أوّله هاء من هذا:

«الهِجْرِع»: الكلب الخفيف، والرجل الطويل الاحمق!!

و«اهرَمَّعَ» الماء: سال، و«اهرَمَّعَ» الرجل: اسرَعَ.

و«الهِلَكِس»: الرجل الدنيء، حكاه «الدريدي» [ابن دريد]!!

خلاصة: هذا قليل من الكلم الذي زاد على ثلاثة أحرف، وهو كثير، وقد وقفت منه على الغريب الذي لم يرد في نص، والذي لم تُقيَّد دلالته بشيء يفيد

التعيين والتحديد.

وأخلص بعد هذا القدر من الكلم الذي لا يبتعد عن الشك، وقد يحوم حوله تردّد في قبوله فأعرض لما هو خاص بالعربية «اليمنية» في كتب اللغة، وقبل أن أباشر هذه المادة وهي موضوع الدرس أقول:

لا بدّ لي ان أبدأ ان الوضع تناول هذه المادة، وهذا ليس غريباً، ومن هذا ما ورد في كتب الأدب. «وقال أبو عبدالله المفجّع: كان المبرّد (ابو العباس) لعِظَم حفظه اللغة واتساعه يُتّهم، فتواضعنا على مسألة لا اصل لها، نسأله عنها لننظر كيف يجيب، وكنا قبل ذلك تمادينا في عروض بيت الشعر.

أبا منذر أفنيتَ فاستبقِ بعضَنا حنانيكَ بعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ

فقال قوم: هو من البحر الفلاني، وقال آخرون: هو من البحر الفلاني، فقطّعناه وتردّد على أفواهنا تقطع ومنه «قِبَعْضنا»، فقلت له ـ أيّدك الله تعالى ـ، ما «القِبَعْض» عند العرب؟ فقال: القطن. يصدق ذلك قول الشاعر:

«كأنّ سَنامَها حُشيَ القِبَعْضا»

قال: فقلت لأصحابي: تَرَون الجواب والشاهد إن كان صحيحاً فهو عجب، وإن كان اختلق الجواب في الحال فهو أعجب»[1].

ولنتحول الى العربية «اليمنية» لنرى ما كان في كتب اللغة، وما صحّ من ذلك، وما عرض لها من الوضع والكذب. ولنبدأ بابن دريد فأقول:

ورد في حاشية ص ٣٧٨ من «سمط اللآلئ» من الجزء الأول:

«رأيت في تذكرة ابن العديم بخطّه بالدار (أي دار الكتب المصرية) (أدب ٢٤٢ ورقمه ٥٣) أنبأني الحسن بن حمدون البغداديّ، ونقلته من خطه، أنشد ابن دريد لبعض حمير:

ما زلتُ أبكي عند بظر أم واهبٍ ودمعي على زُبّي وزُبّيَ شائب
عَجِبتُ لحسن الفتحتين على الخُصَى وأندبُ أيْريها وتلك الحقائبُ
أتيح لها القلَوب من بطن قَرْقَرى وقد يجلب الشيءَ البعيدَ الجوالبُ
فيا جَحْمتا بكيّ على أمّ واهبٍ أكيلة قلّوب ببعض المذانبِ؟
فلم يبقَ منها غير نصف عِجانها وشنترة منها وإحدى النوائب

قال ابن دريد: حمير تسمّي القبر بظراً وما نتأ من شيء. والزُبّ اللحية، يقول أبكي الخدود، والأيرين: الذؤابتين، وتلك الحقائب: يعني السنين، يقال: حقبة وحقَب وأحقاب، وحقب وحقائب. والشنترة: الاصبع».

---

(١) الأنباري، نزهة الأدباء ص ١٦٦

وقد ورد هذا الخبر، والأبيات فيه غير مجتمعة في كتاب «الأمالي» لأبي عليّ القالي ١٣٦/١، كما ورد في «لسان العرب» في المواد (حجم وشنتر وقلب) مع اختلاف في بعض الألفاظ، وفي ضبطها وتفسيرها.

وقد عرف عن ابن دريد وضعه للأخبار، ونستدل على ذلك مما نقله عنه القالي من أحاديث. و«مناكير» ابن دريد في «لسان العرب» معروفة، ومن هذا ما ورد في «طحس»(١): قال ابن دريد: «الطحس» يكنى به عن الجماع من «مناكير» ابن دريد، ومثل هذا مسائل عدّة.

وعندي ان المصادر اليمنية من كتب اللغة والأدب والتاريخ هي المظانّ الجديرة بالثقة في الوقوف على مواد هذه العربية.

على أني أفرد من بين هذه المظان كتابي الهمداني وهما «الإكليل» و«صفة جزيرة العرب» اللذين يشتملان على خصوصية يمنية. وهما من خير المظان العربية التي نجد فيها بقية اللغة اليمنية التي أسماها أهل اللغة «الحميرية».

قلت: وقد يتبادر الى ذهن القارئ ان «شمس العلوم» وهو من المظان التي هرع إليها المستشرقون فنشروا أشتاتاً يسيرة من هذه المعلمة الضخمة.

أقول: ان «شمس العلوم» من كتب المعارف العامة الواسعة التي تشتمل على فنون عدة، وان كان المؤلف قد صرف جلّ همه الى اللغة كما قال ياقوت(٢).

وقد وصفه عمارة اليمني في «المفيد» بقوله: «هو شاعر فحل قوي الحبك، حسن السبك، وهو من شعراء أهل الجبل»(٣).

وقد توفي نشوان سنة ٥٧٣ هـ، وهذا يعني أنه من رجال القرن السادس الهجري، ومن الطبيعي ان يكون الكثير من البقايا الحميرية قد امّحى من العربية اليمنية. ومن أجل هذا، فليس لنا أن نفيد كثيراً في هذا الخصوص مما نجده في «شمس العلوم». وأكبر الظن أنه اعتمد كتب اللغويين المتقدمين غير اليمنيين في إثبات ما دعاه «يمنياً» كابن دريد وغيره. وهو في هذا بخلاف الهمداني المتوفى

---

(١) من المفيد أن أشير هنا الى ان المعجم القديم، ولا سيما «القاموس المحيط» قد اشتمل على كلمات كثيرة تفيد هذا المعنى وأستطيع أن أقول: إن كل لفظ يعني الدفع بقوة مع شيء من معنى الدخول، قد انصرف في «القاموس» من بين ما انصرف إليه، الى معنى «الجماع». ولا أدري لم اتضح هذا الانصراف فيه، في حين لم نجد من هذا الا القليل في المعجمات التي سبقت «القاموس المحيط». ولعلّ من المفيد ايضاً أن نشير الى ان طائفة من الكلم صرفت من بين ما صرفت إليه، الى «الذكر» و«الفرج». ويبدو أن الكثير من هذا هو كنايات أكثر منها المتماجنون في العصور المتأخرة.

(٢) ياقوت، معجم البلدان (صبر).

(٣) المفيد في أخبار صنعاء وزبيد (تاريخ اليمن) لعمارة اليمني بتحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ص ١٣

سنة ٣٣٤ هـ والذي عاش في القرن الرابع وكان لما سجله من الآثار اليمنية قيمة علمية تؤكدها النقوش التي اكتشفت في عصرنا[١].

وقد كان لي أن استقريت «ضياء الحلوم» لمحمد بن نشوان[٢]. ثم رأيت أن أنظر في «شمس العلوم» فيما طبع منه[٣]، وفي أصله المخطوط، فانتهيت الى ان هذا المصدر على فائدته وغناه في اللغة والأدب لا يمكن أن يقدّم فوائد في بقايا الحميرية القديمة، والذي فيه لم يختلف كثيراً عمّا ورد في كتب اللغويين غير اليمنيين التي سنتكلم عليها.

على أننا قد نعثر في مصادرنا اللغوية لغير المنسوبين الى اليمن مادة صحيحة، ذلك أن ما نقله ابن سيده فيما حكاه ابن جني مرفوعاً الى الأصمعي صحيح يؤيده ما ورد في الاصول السبئية وهو ما رواه ابن السكيت أيضاً في خبر عن أحد ملوك حمير أنه قال لعربي: ثِب، و«ثِب» بالحميرية: اجلس، فوثب الرجل فاندقت رجلاه، فضحك الملك وقال: ليست عندنا عربية، من دخل ظفار حمّر، أي تعلّم الحميرية[٤].

ولا بدّ من الوقوف على الخصوصيات اللغوية اليمنية كما افاد اللغويون قبل أن نعرض للمادة المعجمية، ومن هذا:

١ـ ما أورده صاحب «لسان العرب»[٥] لشاعر حميري:

يـا ابن الزبير طالما عُصيكـا ولطـالمـا عنّيتَنـا اليكـا

---

(١) انظر «الإكليل» في أجزائه المختلفة مما طبع في بغداد وبيروت وغيرهما، وما نشر منها القاضي محمد بن علي الأكوع وكأن اليمنية القديمة كانت قد عفا أثرها في القرن السادس الميلادي، وأن آخر نقش قد وصل الينا قد كتب في أواخر هذا القرن (انظر كنوز الملكة بلقيس ص ٢٧٣، فيليبس ترجمة عمر الديراوي، بيروت ١٩٦١) على أن من العلم ان نقول: لا بدّ أن تكون قد بقيت من الحميرية (السبئية) مخلّفات في عربية اليمن، وهي التي سجّلها الهمداني، وأفاد منها الدرس الحديث.

(٢) «ضياء الحلوم» لمحمد بن نشوان الحميري (مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء)

(٣) ما نشر من «شمس العلوم» في ليدن، وهي أشتات يسيرة، وما نشره الجرافي منه في مجلدين، (القاهرة ١٩٢٤).

(٤) لسان العرب (حمر، ظفر)، المستقصي ٣٥٥/٢. على اننا نجد شيئاً يسترعي النظر هو ان الشاعر العباسي ابن الدمنية قال:

مللتُ بصنعاء الاحاديث والمنى وأبغضت قصراً فوق قصر مشيّدا
وابغضتُ أصواتاً بها أعجميّةً وزُرْقاً لرايات الأمارة ذوّدا

(٥) لسان العرب (تا).

أقول: وليس لنا أن نفيد من هذا البيت الذي لم ينسب الى قائل معروف كثيراً لان قوله في «عصيكا» ترد الكاف في موضع «تا» للخطاب، فاذا كانت هذه كما ذهب اللغويون في اللغة اليمنية فيجب القول: «عنَّيكنا» التي وردت فيها التاء كما في العربية!

ألنا أن نقول: ان هذه الحقبة التي قال فيها هذا الشاعر الحميري، هي الحقبة التي عفت فيها آثار الحميرية، ولم يبق إلاّ مخلّفات يسيرة؟

وكأنّ المستشرق الالماني «نولدكه» قد اعتمد على هذا البيت اليتيم، وقاس وجود هذه الظاهرة اللغوية وهي ابدال الكاف من تاء المتكلم والمخاطبة، على ما هو معروف منها في الحبشية[1] . ثم ألنا أن نعتمد وجود هذه الظاهرة اللغوية مما ورد في «الإكليل»[2] أيضاً؟

٢ـ وكأني أذهب الى غير ما يذهب الآخرون في استبعادي الخصوصيات اللغوية لدى القبائل القحطانية التي غادرت اليمن منذ قرون طويلة لا نعرفها مثل قبيلة طيء وتغلب وغيرهما. ومن هذا ان الطائيين يقولون في «بقي» و«فني»: بَقَى وفَنَى مثل قَضى[3] . وكأنّ اللغويين حين رأوا هذه الخصوصية لدى الطائيين نسبوها الى أصل يمني هو لغة بلحارث بن كعب[4] .

أقول: ان مسألة النسبة في كثير من المسائل اللغوية في مصادرنا القديمة ليست أمراً يوحي بالثقة في مصادرنا القديمة، ذلك ان المسألة الواحدة تنسب الى مصادر عدة، أو أن المصادر تختلف في هذه النسبة.

ومن هذا ما يجيء من هذه الخصوصيات في حشو خبر مفرد في حكاية تشعر بأخبار السمر ونحو ذلك، فقد ورد من هذا ان حمير أو بلحارث بن كعب يقلبون القاف كافاً، وبهذا خرج رجل من مأزق وقع فيه حين خاطب المأمون قائلاً «يا ركيك»[5] .

أقول: وليس للدكتور هاشم الطعان ان يعتمد على هذا الخبر فيجعله خصوصية لغوية تاريخية معتمداً على كلمات عرض لها الإبدال في العربية نحو ضحق وضحك، وقشط وكشط، ونكت ونقط. ان الإبدال لا يمكن ان يطرد في كل كلمة فيها قاف فتتحول الى الكاف، إن ظاهرة الإبدال تتناول ألفاظاً بعينها. وقد يكون دليلاً على هذا ما هو معروف متداول في الألسن الدارجة في عصرنا.

---

(١) اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون ص ٩٥

(٢) الإكليل (بتحقيق الاكوع) ٣١٥/٢ هامش.

(٣) انظر شرح الحماسة للمرزوقي ص ٣٨٩ وخزانة الأدب ١٤٩/٤

(٤) لسان العرب (بقي، فني).

(٥) طيفور، بغداد ص ١٤٩ـ١٥٠، و«جمع الجواهر» للحصري ص ٢٠

٣ – ومن هذه الخصوصيات ان المثنى والأسماء الخمسة تلزم الألف[1] كما في كتب اللغة والنحو. وقد نسبت هذه الخصوصية الى بلحارث بن كعب، وقد جاء من هذا قول الراجز:

أي قلوصٍ راكبٍ تراها
طاروا علاهُنَّ فطِرْ «علاها»
فاشد بمثنى حَقَبٍ «حقواها»
ناديةً وناديـاً «أباها»[2]

ويندرج في هذه الخصوصية ان ما كان آخره ألف مقصورة من الحروف والأسماء نحو: «على» و«لدى» يلزم الألف عند اتصاله بضمير المخاطب والغائب نحو علاك وعلاه ولداك ولداه.

ومن هذا أيضاً قول هوبر الحارثي:

تزوّد منّا بين أذناه ضربةً دعته الى هابي التراب عقيم[3]

وكأن لغة بلحارث بن كعب هذه هي قلب الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها ألفاً فيقولون: أخذت الدرهمان واشتريت ثوبان[4].

أقول: وليس لنا أن نطمئن الى نسبة هذه الخصوصية فبينا نجد مصادرنا تنسبها الى بلحارث بن كعب نجد السيوطي لا يخص بلحارث وحدهم في هذه النسبة، فقد عزاها الى بني العنبر وبني الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان ومزدادة وعذرة[5].

على أننا قد نطمئن في نسبة السيوطي الى أن هذه الخصوصية يمنية في الاغلب الأعم.

جعل صاحب «اللسان»[6]: لزوم المثنى للألف في قوله تعالى: «إن هذان لساحران» لغة بني الحارث بن كعب وكنانة.

وقال أبو عبيد: كان الكسائي يحكي هذه اللغة في بني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية[7]. وهي لدى ابي حيان لغة بني الحارث وسليم[8].

٣ـ وقد نسب أهل اللغة الى اليمن شيئاً مما أدخلوه في «اللغات المذمومة»،

---

(١) تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة ص ٢٢

(٢) لسان العرب (علا)، وانظر «النوادر» لأبي زيد ص ٥٨، والصاحبي ص ٢٠

(٣) لسان العرب (ط صادر) ١٠/٦٤، ١٩/١٦٣، ٢٠/٢٢٦

(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، والصاحبي ص ٢٠

(٥) همع الهوامع ١/٤٠

(٦) لسان العرب (ابن).

(٧) عن القراءات واللهجات لحمودة ص ٢٣

(٨) البحر المحيط ٦/٢٧٢ في كلامه على قراءة من قرأ «فكان أبواه مؤمنان».

فقد جاء في «الكامل»[1] للمبرّد «وحدثني من لا أحصي من أصحابنا عن الأصمعي عن شعبة عن قتادة، قال: قال معاوية يوماً: من أفصح الناس؟ فقام رجل من السماط فقال: قوم تباعدوا عن فراتية العراق، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير. فقال له معاوية: من أولئك؟ فقال قومي يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية: من أنت؟ قال: أنا رجلٌ من جرم. قال الأصمعي: وجَرْم من فصحاء الناس».

وجَرم من قضاعة، وقضاعة مشهورة في أصلها القحطاني، وإن جاء خلاف فيها بين العدنانية والحميرية[2].

وقد وصفت قضاعة بالغمغمة في نص «الكامل»، ونص «البيان والتبيين»[3]، وهي «العجعجة» في «المزهر» للسيوطي[4]. وهذه العجعجة قد وردت منسوبة الى بني فقيم في مصادر أخرى[5].

ومن هذه اللغات المذمومة:

١ـ شنشنة اليمن وهم يجعلون الكاف شيناً مطلقاً نحو: لبّيْش أي لبّيك[6].

٢ـ طمطمانية حمير كما هي في «أم» أداة للتعريف في لغة حمير[7]، وقيل: لغة طيّء[8].

٣ـ لخلخانية الشِحْر وعمان كقولهم: مشاالله أي ما شاء الله كان[9].

٤ـ تلتلة بهراء (وبهراء من قضاعة) كما في «عجالة المبتدي ص ٢٨»، والتلتلة تعني كسر حرف المضارعة نحو: تِعلمون وتِفعلون وتِصنعون[10].

أقول: وهذه الخصوصية ليست في بهراء وحدها فكثير من لغات العرب قد عرفت هذا، فهي فاشية في قيس وتميم وأسد وهذيل. وقد عرف ان عبدالله بن مسعود، وهو هذليّ، قد قرأ: ولا تِقربا هذه الشجرة». وقرأ يحيى بن وثاب «ألم إعهَد اليكم»[11].

---

(١) الكامل ص ٥٨١ وانظر مثل هذا في البيان والتبيين ٣/٢١٢ـ٢١٣

(٢) عجالة المبتدي للحازمي الهمداني ص ١٠٥

(٣) انظر «لسان العرب» (غمغم)

(٤) المزهر ١/٢٢٢

(٥) انظر «عجالة المبتدي» ص ١٠١، وأمالي أبي علي ٢/٧٥، و«الصاحبي» ص ٢٥

(٦) المزهر ١/٢٢٢

(٧) غريب الحديث لأبي عبيد (ط حيدراباد) ٤/١٣

(٨) العربية ليوهان فك ص ١٥٦، وسألحق بهذا البحث ما ورد في «العربية» مع المصادر التي في الهامش.

(٩) المزهر ١/٢٢٣

(١٠) الخصائص ١/٣٩٨

(١١) مختصر البديع لابن خالويه ص ١٢٥

٤ـ ومن الإبدال الخاص بحمير انهم يجعلون الجيم كافاً كما ورد في «البيان والتبيين»[١] . وذكر هذا ابن فارس في «الصاحبي»[٢] هذه الكاف فوضعها بين القاف والكاف والجيم، وقال: هي في سائر اليمن.

أقول: يشير الى الجيم الانفجارية السامية الثقيلة على نحو ما ينطق المصريون في عصرنا.

٥ـ ومن خصوصيات الحميرية ان هاء التأنيث تكون تاءً عند الوقف فيقال: تمرت وطلحت أي تمره وطلحه[٣] .

ونقل ابن جني عن الأصمعي عن أبي عمرو قال: سمعت رجلاً من اليمن يقول: فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت له: أتقول: جاءته كتابي؟ قال: نعم، أليس بصحيفة[٤] ...

٦ـ وقالوا: ان نون الموصول تحذف في لغة بني الحارث بن كعب في «اللذان» و«اللتان»[٥] .

٧ـ ومن هذه الخصوصيات ما نسب الى همدان وهو تشديد واو «هو» وياء «هي»[٦] . على ان السيوطي قد ذهب الى ان تشديد الواو ضرورة بعد إشارته الى أنه من لغة همدان. وأشار ابن جني الى ان تسكين الهاء الضمير المتصل لغة أزد السراة[٧] .

٨ـ ولا أدري كيف نسب الدكتور جواد علي[٨] ابدال الميم في «مكة» بالباء «بكة» الى العربية الجنوبية. إنه ابدال يعرض في لغات العرب عامة، وهو منسوب الى مازن بن ربيعة من قبائل الشمال[٩] .

٩ـ ان هذه الخصوصيات في نسبتها الى أصحابها لم تكن شيئاً من العلم الأكيد، ذلك أنّ اللغويين أصحاب المصادر لم يثبتوا مما أسندوه. وهم في الأغلب الأعم لم يشيروا الى مصدرهم الذي أفادوا منه هذه الفوائد. ومن هنا ليس

---

(١) البيان والتبيين ٣٩٨/١

(٢) الصاحبي ص ٢٥، وانظر العربية ليوهان فك ص ١٩٣

(٣) المصباح المنير (الهاء)، ولسان العرب (ظفر، حمر).

(٤) الخصائص ٢٥٨/١

(٥) الدرر اللوامع للشنقيطي ٢٣/١

(٦) همع الهوامع ٦١/١، ١٧١/٢ وانظر الدرر اللوامع ٣٧/١، ٣٨، ٢١٦/٢ وانظر اللسان (هو).

(٧) الخصائص ١٣٤/١، ٣٧٥

(٨) تاريخ العرب قبل الاسلام (ط. بغداد) ٣٨/٧

(٩) أخبار النحويين البصريين (ط. الحلبي) ص ٥٩، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٩٨

لي أن أعلّق فائدة كبيرة مما جاء في «تاج العروس»[1] من أن الهمزة تقلب هاء في لغة اليمن نحو أراق وهراق.

أقول: ان الهمزة والهاء من مواد الإبدال، وهي فاشية في العربية، وليس في طوقنا ان نعزو كل كلمة عرض فيها هذا الإبدال الى اصحابها. واذا كان امرؤ القيس قد قال:

وان شفائي عبرة «مهراقة» فهل عند رسم دارسٍ من معوّلِ

فلا يعني ذلك ان قوله «مهراقة» من لغة اليمن، بل إنه صار الى هذه الكلمة لحاجته إليها في شعره.

ولنعد الى المادة اليمنية المبتورة في المصادر اللغوية وغيرها مهتدين بما جمعه الدكتور هاشم الطعان ـ رحمه الله ـ.

أقول: كأن الدكتور هاشم الطعان أراد ان يجمع هذا التراث المزعوم الذي ادّعى فيه اللغويون وغيرهم ونسبوه الى اليمن، وكأنه أراد أن يقتصر عمله على الجمع والإستقراء. ان ما صنعه مفيد جداً فقد كفى الدارسين هذه المهمة.

واذكر ان الدكتور الطعان، وقد كان من طلابي في كلية الآداب ببغداد قد وعى ما قلته له، وهو يعمل في رسالته التي هي كتاب «البارع»[2] للحصول على الدكتوراه، أن يقف على المواد اليمنية التي أثبتها ابن دريد في «الجمهرة».

أقول: كانت كلمتي هذه حافزاً له أن يستوعب المادة اليمنية فيما خلا «الجمهرة» من مصادر اللغة والأدب والتاريخ. ثم أراد أن يخرج هذه المادة في «كتابه»[3].

لمح الدكتور هاشم الطعان أن ابن دريد قد تزيّد فرُمي بـ«المناكير» وأشار الى ما وضع في كتابه، ولو أنه أفرد لهذا الامر قدراً لنقد هذا الذي تجمّع لديه أكبر مما فعل لانتهى الى أن جلّ الذي استقراه من اليمنية مما لا يطمأنّ إليه.

قلت في هذا الدرس ان الكثير من علومنا الاسلامية قد عرض لها الوضع والعبث، وأضيف الآن فأقول: اذا كان حديث رسول الله قد عرض له ما عرض من الوضع والانتحال والدسّ مع ان النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قد قال:

«من كذب علي متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار». ومع هذا التحذير الشديد فقد سمع الكذابون الوضّاعون هذا ولم يمتنعوا عمّا اضطربوا فيه فكانت «مطوّلات» ضخمة في الأحاديث الموضوعة.

---

(١) تاج العروس (ريق).

(٢) البارع لأبي علي القالي، معجم لغوي حققه الدكتور هاشم الطعان رسالة للدكتوراه، طبعته مكتبة النهضة ببغداد.

(٣) تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة، بغداد ١٩٦٨

وأعود الى ابن دريد، وهو أول لغوي غير يماني قد استهواه التراث اليمني فتزيّد وصنع وكان من بعضه «مناكيره». وعندي ان «المناكير» ليست بالعدد القليل، بل انها شيء أكثر من ذلك.

قلت: ليس لي أن أقبل هذا القدر الكبير مما ادُّعي يمنيّة في المصادر القديمة مما لا نجد له أصلاً فيما وصل الينا من السبئية التي دعيت «الحميرية» لدى العرب.

ولكني استدرك فأقول: ان خلو المعجم السبئي من كثير من هذا الذي أثبته اللغويون ليس دليلاً علمياً على أنه كذب محض، ذلك أننا لا نملك كل النصوص السبئية، والذي فاتنا منها وما زال غير مكتشف يشتمل على تراث لغوي غير الذي وصل الينا.

أقول: ومع استدراكي هذا فإني أميل الى ما ذهب إليه القدماء من تكثّر ابن دريد ووضعه: وقد أشرت في بحثي هذا الى غير ابن دريد من اللغويين القدماء[1] الذين عرف عنهم شيء من هذا. ولا بدّ لي الآن من وقفات على «المعجم» اليمني الذي صنعه هاشم الطعان وضمّه الى «كتابه».

١ـ مآرب هي الحاجات. والمصدر كتاب «الاتقان في علوم القرآن ٣٥/١ للسيوطي.

أقول: ولم تشر المعجمات المطوّلة الى ان الكلمة «حميرية».

٢ـ الاريكة: الحجلة فيها السرير، أبو عبيدة عن الحسن: يمانية، كتاب «الاتقان ١٣٥/١» والصاحبي ص ٣٨.

أقول: اعتمد السيوطي على ما ذكره أبو عبيدة، وأظنه في كتابه «مجاز القرآن»، على أني رجعت الى هذا الكتاب فلم أجده، فلعله في كتاب آخر من كتب أبي عبيدة.

وأقول ايضاً: ان أبا عبيدة كابن دريد من اللغويين المشارقة الذين لم يعرفوا اليمن ولا شافهوا أهل اليمن، ولم يشيروا الى كتب أهل اليمن، ومن هنا فإني أميل الى أنهم تزيّدوا مدفوعين بحماستهم في تصيّد الغريب والنوادر ليعرفوا بها دون غيرهم. وكذلك أقول في ابن فارس صاحب كتاب «الصاحبي» وهو الذي قضى

---

(١) جاء في مصادر أبي عمر الزاهد من النحاة أنه كان معروفاً بالوضع، وذكر في هذه المصادر ان تلامذته اتفقوا على سؤال يسألونه وقد وضعوا سؤالاً ليس له جواب، وهو انهم عكسوا لفظ «القنطرة» وهي درب يسلكونه للذهاب الى حلقته فكانت «هرطنق»، حتى اذا وصل الحلقة، بادره أحدهم: ما الهرطنق فقال من فوره: هو الياقوت الأحمر، وذكرته في كتابي «اليوافيث».

انظر الخبر في «إنباه الرواة»، و«نزهة الالباء».

شطراً من عمره في مواطن غير عربية قريباً من الصاحب بن عباد وزير آل بويه.

٣ـ أمضى: شكّ. جاء في «السيرة ١٣/١» لابن هشام، وقال أبو عمرو، أمضى أي باطل.

أقول: ولم يشر صاحب «لسان العرب» الى ان الكلمة حميرية، وكأنه وجد أن قول أبي عمرو ليس بشيء.

٤ـ إمام: كتاب، وهي حميرية في «الاتقان ١٣٥/١» وفي تفسير «الجلالين ٢٦٠/١» ولم يشر السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ) الى مصدره.

٥ـ أمة: سنين في لغة أزد شنوءة «تفسير الجلالين ٢٠١/١» و«الاتقان ١٣٥/١» و«لغات القرآن على هامش الجلالين ص ٣٠» لحسنون.

أقول: كأنّ الدكتور الطعان قد توسّع في اليمنية الحميرية فعدّ لغة أزد شنوءة منها، وهذه وإن كانت في الأصل قبيلة قحطانية إلاّ أنها تركت موطنها الاصلي.

٦ـ الأنثيان: الأذنان، وهي يمانية في حاشية «سمط اللآلئ ٣٧٨/١» وهي من «مناكير» ابن دريد كما في «اللسان» (أنث).

٧ـ الثيران: الذؤابتان، يمانية، وهو مذكور في «السمط ٣٧٨/١».

أقول: وهو في «اللسان» من «مناكير» ابن دريد.

٨ـ تبتئس: تحزن، كندة «الاتقان ١٣٦/١» و«تفسير الجلالين ١، ٢٠٤»، وهي في لغة سدوس (اللغات في القرآن ص ٣٢).

أقول: وهذا من توسع الدكتور الطعان الذي أراد أن يدخل في موضوع لغات القبائل التي هي من أصل قحطاني.

٩ـ البداء: بالكسر لغة في الفداء، هكذا ينطق به عامة عرب اليمن «تاج العروس» (بدي).

أقول: وكيف لي أن آخذ بكلمة من مصدر متأخر، فصاحب «التاج» من رجال القرن الثالث عشر، وهو ينفرد بهذا.

ثم ان المسألة تتصل بالإبدال، وهذا الإبدال فاش في كثير من لغات العرب وهو مما توسّع به الطعّان غير ناظر للمسألة نظرة نقد.

١٠ـ ببان (في كلام عمر بن الخطاب): سواء. قال الأزهري... وكأنها لغة يمانية ولم تفش (اللسان: بب).

أقول: لو ان الدكتور الطعان من أهل النقد لتوقف قليلاً في قبول الكلمة لقول الأزهري: وكأنها لغة يمانية.

١١ـ البظر: الخاتم، حميرية «اللسان / بظر»، وهو القبر أيضاً، وما نتأ من شيء، وهي حميرية «السمط ٣٧٨/١) من «مناكير» ابن دريد.

١٢ـ البغير: يدل على الماشية عموماً في السبئية (مختصر علم اللغة العربية

الجنوبية لاغناطيوس گويدي).

أقول: وليس هذا خاصاً بالعربية الجنوبية، ذلك ان «بعيرا» في اللغات الآرامية تدلّ على الدوابّ عامة.

١٣ـ البغس: السواد، لغة يمانية. ذكر ذلك أبو مالك «الجمهرة، بغس».

أقول: ولا نعرف أبو مالك بين رواة الأعراب، وأنا أميل الى أنها من «مناكير» ابن دريد.

١٤ـ البوار: الهلاك من لغة عمان (تفسير الجلالين ٢٣٣/١ و٦٨/٢) و«لغات القرآن» وهل لنا ان نجعل أزد عمان من اليمن، وإن كانت القبيلة قحطانية؟

١٥ـ التِقردة: الكسبرة. عن ابن دريد قال: والتقردة الأبزار كلها عند أهل اليمن...

وعن ابن الأعرابي هي «التقدة» الكزبرة والكرويا، قال الأزهري: وهذا هو الصحيح وأما «التقرد» فلا أعرفه في كلام العرب.

أقول: وبحسب ما ذكر الأزهري يكون كلام ابن دريد من المصحَّف!

١٦ـ القَلَم في كتاب «العين»: مشق الكراب بلغة أهل اليمن (نقله عنه ابن فارس في «المقاييس ٣٥٣/١».

١٧ـ تارة: مرة، في لغة أشعر «تفسير الجلالين ٢٥/٢» و«اللغات في القرآن ص ٣٧» و«الاتقان ١٣٦/١».

وكيف للباحث الجاد ان يثق بهذه النسبة، وهي في مصادر متأخرة.

أقول: والكلمات من «اليمنية» المزعومة كثيرة في هذه المصادر المتأخرة. وقد أثبتها الدكتور هاشم الطعان في «معجمه». وما أظنه اطمأن الى ما أثبته، وقد كان همّه أن يجمع هذا المتفرّق في المصادر مما يعزي الى العربية اليمنية.

ومن أجل ذلك اجتزئ بما ذكرت مما ورد في المصادر المتأخرة دعي يمنياً أو حميرياً مثل «تاج العروس»، وكتب السيوطي ومصادر متأخرة أخرى.

١٨ـ الجحمة: العين، حميرية أو يمانية «لسان العرب /جحم وشنتر» و«الأمالي للقالي ٣٦/١» و«السمط ٣٧٨/١».

وهي من «مناكير» ابن دريد. وقد وردت في «معجم المقاييس ٤٢٩/١» و«شمس العلوم (ط ليدن) ٣٠٠/٢» و«جنى الجنتين ص ٣٣».

أقول: وفي الأبيات التي ذكرت في حاشية في «السمط» وقد تقدمت، ما يشعر انها موضوعة، وهي غير منسوبة، وقد تكلمت عليها، واشتملت على شيء من «مناكير» ابن دريد.

١٩ـ الجربة: المزرعة. وفي نقوش اليمن من الامثال العدنية (نقوش ٦).

والجربة: القطعة من الأرض محدودة المعالم «الإكليل ٣١٤/٢ هامش».
وفي «لسان العرب»: الجربة: المزرعة.
٢٠ـ الجُزْع: المحور الذي يدور فيه المحالة، لغة يمانية (الجمهرة / جزع).
٢١ـ الجَنُور: مدراس الحنطة والشعير، لغة يمانية (الجمهرة / جرن).
أقول: وهذا والذي قبله مما انفرد به ابن دريد.
٢٢ـ الرجل: في كلام أهل اليمن الكثير الجماع، نقله الأزهري والصاغاني («اللسان» / رجل و«التاج» / رجل).
أقول: وهل لنا أن نفيد من هذا الذي لا سبيل لنا فيه إلا حمله على المجاز
٢٣ـ رضفت الوسادة بمعنى ثنيتها «الجمهرة ٣٦٤/٢» وعن «الجمهرة» وردت في «مقاييس اللغة ٤٠١/٢» و«اللسان / رضف».
٢٤ـ الزُبّ: الذكر بلغة أهل اليمن، وخصّ به ابن دريد ذكر الإنسان. والزبّ: اللحية... وقيل: الأنف... يمانية «اللسان / زبب»، و«الجمهرة / بزر... وقيل: الزُبّ مقدّم اللحية عند بعض أهل اليمن، وقال الشاعر:

ففاضَت دموع الجَحْمتين بعبرةٍ ... على الزُبّ حتى الزُبُّ في الماء غامس

وهذا شاهد لا نعرفه ولسنا في ثقة من أمر نسبته. و«الجمهرة» الأصل الاول الذي أثبت هذه الفوائد. ولا بدّ لنا أن نتذكّر الأبيات المتقدمة التي وردت في «السمط ٣٧٨/١» عن «تذكرة ابن العديم».
٢٥ـ الطحس: يكنى به عن الجماع، وهو من «مناكير» ابن دريد «اللسان / طحس».
خاتمة: أكتفي بهذا القدر الذي اجتزئ به عن سائر «المعجم» الذي ذيل الدكتور هاشم الطعان ـ رحمه الله ـ «كتابه» الذي أشرنا إليه. وكأنه كان معنياً بجمع المادة من المصادر المختلفة والتي أفادها من استقرائه الوافي. وكأنه أيضاً أرجأ النظر في نقد ما جمعه الى عمل آخر، ولو مدّ الله له في الاجل لأتى بشيء مفيد. إن هذا ما عرفته منه معرفة أكيدة.
وقد رأيت أن أختم هذا الموجز بما بسطه يوهان فك المستشرق الألماني المجتهد في لغات اليمن في ضوء ما افاده مما ورد في «الإكليل» و«صفة جزيرة العرب» كتابي المؤرخ الهمداني وذلك في كتابه «العربية»[1]. وكنت أشرت الى ان الفوائد في هذين المصدرين تعد من العلم الذي أحرز الثقة لدى الدارسين.

(١) العربية ليوهان فك (ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار) القاهرة سنة ١٩٥١ م.

من كتاب العربية

لقد كانت لغة البدو [في القرن الرابع الهجري] في مستوى من الخلوص والفصاحة لا تدانيه لغة الزرّاع والحضريين، لا سيما اذا كانت ألسنتهم لا تزال محتفظة بمظاهر الإعراب والتصريف القديمة. بيد أنه في كل مكان كثر فيه اختلاط البدو بغيرهم من طبقات السكان، وكذلك عند تحولهم بوجه خاص الى الإقامة والاستقرار، وبهذا الى الاتصال الذي لا غنى عنه بالسكان الزرّاع الذين كانوا يجدونهم أيةً سلكوا؛ فقدت لغتهم من صفائها وخلوصها فقداناً كبيراً.

وإلى أي حد كانت الاحوال متشابكة معقّدة؟ هذا ما يكشف عنه بيان الهمداني (المتوفى ٣٣٤ هـ) عن العلاقات اللغوية في جنوبي الجزيرة العربية حوالي نهاية القرن الثالث[1] . فهنا كانت اللغة الحميرية الأصلية لا تزال تمعن في الاختفاء أمام عربية الشمال. ويقول الهمداني[2] إن اللغة الحميرية القُحّة المتعقدة كانت سائدة بعد في المنطقة الممتدة من حَقل قَتاب (عند يَرِيم الحالية) إلى ذَمَار. وقد كانت هذه هي المنطقة المحيطة بظفار عاصمة دولة الحميريين القديمة. أما في العاصمة الجديدة للإقليم وهي: صنعاء، ففي أهلها بقايا من العربية المحضة، ونبذ من كلام حمير (ص ١٣٥ س ٢٥). ومدينة صنعاء مختلفة اللغات واللهجات، لكل بقعة منها لغة؛ لأنها كانت مدينة هامة إذ ذاك ايضاً. وعلى النقيض من ذلك يقع غربي صنعاء مركز ثان للغة الحميرية الخالصة (الحميرية المحضة ص ١٣٦ س ١) يمتد بين شِبام أقيان عبر سلسلة جبال المصانع حتى جبل: تُخلى.

وكذلك كانت الحميرية كثيرة في منطقة: خَيْوان، الواقعة بعيداً نحو الشمال من صنعاء إلى ناحية صَعْدة (ص ١٣٥ س ١٥) التي كانت تسود فيها عربية الشمال.

وفيما عدا هذا اختلطت الألسنة الأصلية بعربية الشمال شتى وجوه الاختلاط،

(*) من كتاب «العربيـة» مـن ص ١٥٤ – ١٩٥ ليوهـان فك

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٣٤-١٣٦ .

(٢) ص ١٣٥ س ٤ وفي كلمة: المتعقدة انظر الفهرس اللغوي الذي عمله: دي غويه للكتاب

إذ لم تكن قد قُضِيَ عليها تماماً من قبل الداخلين.

وقد ضاعف من عناء الهمداني وتعبه في تصوير هذه الأخلاط من اللهجات أنه لم يكن يرى فقط أن لغة الكتابة هي القدوة والمثال، بل كان يرى فوق ذلك أنها تصور اللغة الأصيلة الخالصة البعيدة عن التغيير والتبديل، والتي تفرعت منها تدريجاً الألسنة واللهجات التي كانت سائدة في عصره بالفساد والتحريف.

وعلى هذا النحو وحده يتّضح كيف استطاع أن يفترض (ص ١٣٥ س ٢٥) أن صنعاء كانت فيها بقايا من العربية المحضة، أو أن يلاحظ أن أهل عدن لغتهم رديئة (ص ١٣٤ س ٢٤)، وأن في بعضهم نُوكا وحماقة إلا من تأدب منهم.

ولا نستطيع أن نستنتج من مثل هذا الأسلوب في ملاحظة علاقات اللهجات إلاّ أن الهمداني يقيس كل لهجة بمقاييس النحو، ويحكم عليها من حيث الفصاحة والغتمة من وجهة نظر واحدة، هي مطابقتها أو مخالفتها للقواعد.

وهو ينظر بعد هذا، هل هي معقدة صعبة الفهم على من خرج عن محيطها؟

وهكذا نراه لا يفترض أن للَهجتين: المهرية والشحرية، أساساً من لغة أخرى، تبتعد من عربية الشمال إلى حدّ يتعذّر معه التفاهم؛ بل يصور سكان الشحر والأسعاء على أنهم قوم لا ينطقون نطقاً فصيحاً، والمهريين على أنهم غُتْم يشاكلون العجم.

ولا يذكر أكثر من ذلك عن لهجات حضرموت، فهو يكتفي بأنهم ليسوا بفصحاء، وربما كان فيهم الفصيح، وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف (ص ١٣٤ س ١٨).

وهو يعدّ فصيحة أيضاً لتلك اللهجات التي يتكلم بها في سَرْو مذحج، ومأرب وبَيْحان، وحَريب؛ ففي هذه المناطق الواقعة على طريق العطور والتجارة، التي كانت تمتد من مأرب عاصمة الدولة السبئية القديمة نحو الشمال الشرقي، كانت اللغة الرديئة أمراً نادراً (ص ١٣٤ س ١٩).

وكانت فصيحة أيضاً لهجة المنطقة بين مأرب وذَمار، التي يحددها الهمداني على الصورة التالية: جبل إسبيل الواقع في الشمال الشرقي من ذمار، وإقليم كَوْمان المتاخم له من الشمال الشرقي أيضاً، وإقليم الحَدَاء المجاور له، وجبل دِقْرَار الواقع في منطقة مأرب، وأخيراً منطقة «قائفة» التي تعد من مناطقة «مراد» (١٣٥ س ٥). وسكان كومان حميريون في الأصل، ولكنهم صاروا على عهد الهمداني من قبيلة مذحج[١]؛ مما يدل على أن خلوص اللغة لا يرجع إلى الدم والنسب.

ويعد الهمداني أيضاً فيمن يتكلمون بفصاحة أقساماً من منطقة

(١) انظر الهمداني ص ٩٢ س ٢٢ (وأصلهم حميري وهم يذحجون اليوم)

همدان[1] الممتدة الى الشمال الشرقي من صنعاء ومأرب حتى نجران، وما جاور هذه الأقسام أيضاً، حيث تسكن قبائل بَلْحارث في الرحبة؛ على حين أن صَنَاف بالجوف الاعلى دون ذلك في الفصاحة (ص ١٣٥ س ٢٠).

كذلك يعد من الفصحاء سفيان بن أرحب، وهو شعب من همدان، على الرغم من أنهم يتخذون: أم، بدلاً من: أل، أداة للتعريف[2]. ويستعملون المثنى بالألف في جميع الحالات[3].

وبنو حرب، فخذ من همدان في بلد: وادعة، وهم أهل إمالة في جميع كلامهم، على حين أن بني عمهم[4] بني سعد أفصح.

على أن المنطقة العظمى التي تغلب فيها الفصاحة تبدأ في الشمال من حدود اليمن الحقيقية عند وادعة، وتمتد عبر سلسلة السروات على الساحل إلى غربي شبه الجزيرة.

وقد ذكر الهمداني في ص ١٣٦ س ٣ من القبائل التي تسكن هذه المنطقة التي يخترقها طريق القوافل، بعض أفخاذ من مذحج (جَنْب وزُبيد)، وقضاعة (سِنحان ونهد) وأزد شَنُوءة (بني أسماة[3] وعنز)، ثم من خثعم[5]، وهلال وعامر بن ربيعة؛ ثم بعد هذا مرة أخرى فصائل من الأزد (الحِجْر[6] ودَوْس وغامد ويشكر)، ثم من فهم فثقيف فبجيلة، وأخيراً طائفة يسميها بنى عليّ. ولكنه ينبه بوجه خاص إلى أن المجموعات التي تسكن سفوح الجبال الغربية من هذه القبائل (تجاه تهامة) اقل فصاحة ممن يعيشون في أعالي الجبال. وكما أثّر جوار تِهامة تأثيراً سيئاً في فصاحة اللغة في هذه المناطق، أثر أيضاً نفس التأثير في إقليم الجوف، كما يرى الهمداني (ص ١٣٥ س ٢١) إذ يقول إن سكان الجوف فصحاء إلا من خالطهم من جيرة لهم تهاميين.

أما أن أهل تهامة ينطقون عربية رديئة فهذا ما يستفاد بوضوح من ملاحظته

---

(١) يؤخذ من ص ١٣٥ س ١٩ أن هؤلاء هم: عذر، مطرة، نهم، مرهبة، ذيبان، وهو مخالف لما ذكره في س ١٢ من نفس الصفحة. وانظر في هذه القبائل: J. Schleifer, EI. II 302 B

(٢) يعد هذا من خصائص لغة اليمن: انظر ابن يعيش على المفصل ص ١٢٢٠؛ العيني ج ١ ص ٤٦٥؛ ووردت أيضاً في مسند أحمد ج ٥ ص ٣٤٣ في الحديث: ليس من امبر امصيام في امسفر» (وفي البخاري: بأداة التعريف المعتادة أي الألف واللام)؛ ويسميها آخرون لغة حمير، وهي التسمية المشهورة.

(٣) ذكر ابن جني أن هذه لغة بلحارث؛ انظر: O. Rescher, ZA 23 S. 23

(٤) انظر الهمداني ص ٩٠ س ١.

(٥) انظر الهمداني ص ١٣٤ س ٢١ (ويجرون في كلامهم ويحذفون).

(٦) انظر ص ١١٩ س ٧.

(ص ١٣٥ س ١٠)، حيث يقول إن بلد الأشعر وعك وحكم (من بني سعد العشيرة) من بطن تهامة لا بأس بلغتهم إلا من سكن منهم القرى[1]، وكما يقول في ص ١٣٤ س ٢٥، يوجد قبيلتان أخريان في جوار الأشعريين، هم بنو واقد، الذين يعدون من ثقيف[2]، وبنو مجيد الحميريون في الأصل[3]، وهما فصيحتان أيضاً.

كذلك في ناحية صعدة توجد العربية الفصيحة فقط عند بني خولان الذين يخيمون في السهل على حين أن بني قبيلتهم الساكنين بالمنخفض (الغَوْر) غُتم غير فصحاء (ص ١٣٦ س ٢).

ويصف الهمداني لهجات أخرى بأنها غير فصيحة، كاللهجات الجارية بين ذمار وصنعاء (ص ١٣٥ س ٢٤) ولهجة السكاسك التابعين لكندة.

ويعد وسطاً في الفصاحة، والى اللُكنة أقرب، لهجات بعض بقاع تقع في المنطقة الجبلية ألْهان وأنيس، (غربيّ ذَمار)؛ والى اللُكنة أقرب أيضاً ما جاور ذلك في جبال حَراز، وإن كان بينها ما هو متوسط بين الفصاحة واللكنة؛ على أن بينها أيضاً ما هو أدخل في الحميرية المتعقدة، لا سيما في القبائل الساكنة بمنطقة جبال الحَضُور.

وعن الجحادب الذين يدخلون ضمن القبائل الأخيرة يقول الهمداني في ص ١٠٦ س ١٨ إن أصلهم حميري: والجحادب من حمير وقد يتهمدنون.

وأبعد من ذلك نحو الشمال، في همدان، كما يقول الهمداني في ص ١٣٥ س ١٢ هناك إلى جانب عُذَر، وهِنوْم، وحَجور الفصحاء، يوجد غُتم أيضاً مثل بعض قُدَم، وبعض الجَبَر. كذلك في النجد من همدان، تسود عربية مخلوطة بحميرية في سهلي البَوْن والخَشَب[4].

أما ظاهر همدان، النجدي، أي النواحي الواقعة على الأطراف من الهضبة، فلغتها فصيحة.

ولهجة جُبلان، في المنطقة الجبلية الواقعة جنوبي جبال ألْهان، عسيرة الفهم، فيها تعقد، على حين أن لهجة يَحْصِب[5] ورُعَين المتصلتين بجُبلان من جهة المشرق أفصح من جُبلان (ص ١٣٥ س ٢)، على الرغم من أن الأخيرين، وهم

(١) كرر الهمداني في ص ١٣٥ س ١٨ أن «الأشعر وعك وبعض حكم... فصحاء».

(٢) ص ٥٣ س ٢٥.

(٣) ص ٥٣ س ٢٠.

(٤) انظر في اختلاط سكانه: الهمداني ص ١١١ س ٩.

(٥) كتبها Muller: يخضب بالضاد المعجمة، انظر: ملاحظاته ص ١٠١ س ١ من كتاب الهمداني.

رُعَين، حميريون في الأصل[1].

وكذلك شأن العلاقات اللغوية في منطقة الكَلاَع في الجنوب (ص ١٣٤ س ٢٦): ففي نجديها فصاحة عالية، مع عُسْرةٍ من اللسان الحميري (أي من أثر البقايا اللغوية الحميرية فيما يظهر). وفي سراتها أي أعاليها (المناطق الجبلية) تعقّد. وتسود اللهجة الحميرية تماماً في المناطق الواقعة بالداخل من النواحي الجبلية الوعرة من سَرْوِ حمير، لا سيما بين من ينتمون ـ دون حق ـ[2] إلى جعدة بن كعب من هوازن التي هي من عرب الشمال، ومساكنهم في منطقة الجبال الجنوبية المرتفعة على الطريق من عدن إلى صنعاء. ويقول الهمداني في وصف لهجتهم: ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير ويجرّون في كلامهم ويحذفون فيقولون: يابن مْعَمّ في: يابن العم، و: سِمَعْ في: اسْمَع (ص ١٣٤ س ٢١).

وأبعد من ذلك إلى الجنوب، توجد لهجة أفصح، في لحْج، وأبْيَنْ، ودثينة؛ والعامريون من كندة والأوديون أفصحهم.

ويصف الهمداني لهجة السكاسك الساكنين بجوار مدينة جَنَد، بأنها متوسطة (ص ١٣٤ س ٢٦).

ولهجات جيشان الواقعة جنوبي اليمن، وما جاورها من بقاع، حميرية، مثل لهجة السّرو (ص ١٣٥ س ١).

وأخيراً في المعَافِر ـ في منطقة: تعز الحالية ـ ينطقون في سافلتها لهجة فيها غُتْمَة، وفي علياها أفصح من ذلك (ص ١٣٤ س ٢٥، وانظر ص ٩٩ س ١٧).

أما عن اللهجات التي يتكلم بها خارج اليمن، فيكتفي الهمداني (ص ١٣٦ س ٨) بملاحظة عامة: وأما العروض ففيها الفصاحة ما خلا قراها، وكذلك الحجاز فنجد السفلى فإلى الشام وإلى ديار مضر وإلى ديار ربيعة، فيها الفصاحة إلاّ في قراها.

ثم ختم ذلك بقوله: فهذه لغات الجزيرة على الجملة دون التبعيض والتقنين (أي دون التفصيل بذكر الخصائص الخاصة).

أقول: إن هذه الصفحات التي أضمّها الى ما قمت به مأخوذة من كتاب «العربية» ليوهان فك المستشرق الألماني، تؤلف في الحقيقة ألواحاً في «الأطلس اللغوي اليمني». لقد استوفى الأستاذ المستشرق خواص العربية اليمنية في حواضر اليمن التاريخية في عصر الهمداني المؤرخ المشهور.

---

(١) الهمداني ص ١٠١ س ٢٣ (حيث يقول: وجميع مخلاف رعين لا يسكنه إلاّ آل ذي رعين الخ).

(٢) انظر الهمداني ص ٩٠ س ١.

اليمن في الحديث الشريف

رأيت ان لليمن حضوراً في الحديث الشريف فوجدت أن من المفيد أن أُلَمّ شتات هذه الفوائد الحسان. واعتمدت في هذا معجماً من معجمات غريب الحديث وهو «النهاية في غريب الحديث والأثر»(١) للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بـ«ابن الأثير»(٢).

ما ورد من المواد اللغوية اليمنية

١ـ الأبناء:

وفي الحديث: «وكان من الأبناء»، والأبناء جمع ابن، ويقال لأولاد فارس «الأبناء»، الذين ارسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجده على الحبشة فنصروه وملكوا اليمن وتَدَيَّروها وتزوّجوا في العرب، فقيل لأولادهم الأبناء، وغلب عليهم هذا الاسم لأنَ أمّهاتهم من غير جنس آبائهم(٣).

٢ـ البِتْع:

وفي حديث علي ـ رضي الله عنه ـ «أنه سئل عن «البِتْع» فقال: كلُّ منكر

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر بتحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي (والناشر: المكتبة الإسلامية).

(٢) مصادر الترجمة (منقولة من مقدمة المحققين):
معجم الأدباء لياقوت ١٧/٧١ـ٧٧ (ط. دار المأمون).
إنباه الرواة للقفطي ٣/٢٥٧ـ٢٦٠
وفيات الاعيان، لابن خلكان ٣/٢٨٩ـ٢٩١ ط. النهضة المصرية.
طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٥/١٥٣ـ١٥٤.
النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٦/١٩٨ـ١٩٩.
بغية الوعاة للسيوطي ٣٨٥ـ٣٨٦.
شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٥/٢٢ـ٢٣.

(٣) النهاية ١/١٧.

حرام» البِتع بسكون التاء، وهو خمر أهل اليمن، وقد تحرَّك التاء كقِمْع وقِمَع، وقد تكرر في الحديث(١).

٣ـ باقورة:

وفي كتاب الصدقة لأهل اليمن «في ثلاثين باقورة بقرة» الباقورة بلغة اليمن البقر، هكذا قال الجوهري ـ رحمه الله ـ فيكون قد جعل المميَّز جمعاً(٢).

٤ـ البَلَس:

وفي الحديث: «من أحبَّ أن يرقَّ قلبُه فليُدِم أكل البَلَس» هو بفتح الباء واللام: التين، وقيل هو شيء باليمن يشبه التين. وقيل هو العَدَس، وهو عن ابن الاعرابيّ مضموم الباء واللام(٣).

٥ـ تقد:

في حديث عطاء، وذكر الحبوب التي تجب فيها الصدقة، وعدّ فيها «التِّقْدة»، هي بكسر التاء: الكُزْبُرة. وقيل الكرويا. وقد تُفتح التاء وتكسر القاف. وقال ابن دريد: هي التَّقِردة، وأهل اليمن يسمّون الأبزار: التَّقْرِدة(٤).

٦ـ الجدف:

وفي حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ «أنه سأل رجلاً استهوته الجنّ، فقال: ما كان طعامهم؟ قال: الفول وما لم يذكر اسم الله عليه. قال: فما كان شرابهم؟ قال: «الجَدَف» الجَدَف بالتحريك: نبات يكون باليمن لا يحتاج آكله الى شرب ماء. وقيل: هو كل ما لا يُغطَّى من الشراب وغيره. وقال القُتَيبي: أصله من «الجَدْف» أي القطع، أراد ما يُرمَى به عن الشراب من زَبَد أو رَغوة أو قَذًى، كأنه قُطع من الشراب فرمي به، هكذا حكاه الهرويّ عنه. والذي جاء في «صحاح» الجوهري: أن القَطع هو الجَذف بالذال المعجمة، ولم يذكره في الدال المهملة، وأثبته الأزهري فيهما(٥).

٧ـ استخمر:

وفي حديث مُعاذ «من استخمر قوماً أوّلهم أحرار وجيران مستضعَفون فإنّ له ما قَصَر في بيته»، استَخْمَر قوماً، أي استعبَدَهم، بلغة اليمن. يقول الرجل للرجل أخمِرْني كذا: أي أعطنيه وملِّكني إيّاه: المعنى من أخذ قوماً قهراً وتملُّكاً، فإنّ

---

(١) المصدر نفسه ١/٩٤.

(٢) المصدر نفسه ١/١٤٥.

(٣) المصدر السابق ١/١٥٢.

(٤) المصدر السابق ١/١٩٢.

(٥) المصدر السابق ١/٢٤٦.

مَن قصَره: أي احتَبَسه واحتازَه في بيته واستجراه في خدمته الى أن جاء الإسلام فهو عبد له.

قال الأزهري: المخامرة أن يبيع الرجل غلاماً حرّاً على أنه عبد، وقول معاذ من هذا، أراد من استعبد قوماً في الجاهلية، ثم جاء الإسلام فله ما حازه في بيته لا يخرج من يده. وقوله: «وجيران مستضعَفون»، أراد ربّما استجار به قوم أو جاوره فاستضعَفَهم واستعبَدَهم، فكذلك لا يُخرَجون من يده، وهذا مبنيّ على إقرار الناس على ما في أيديهم(١).

٨ـ دفأ:

وفي الحديث «أنه أُتي بأسير بُرعَد، فقال لقوم: اذهبوا به فأدْفوه، فذهبوا به فقتلوه. فوَداه ـ صلى الله عليه وسلم ـ».

أراد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الإدْفاء من الدفء، فحسبوه الإدفاء بمعنى القتل في لغة أهل اليمن. وأراد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أدفئوه بالهمز فخفّفه بحذف الهمزة، وهو تخفيف شاذ كقولهم: لا هَناكَ المرتَع، وتخفيفه القياسيّ أن تجعل الهمزة بَيْنَ بَيْنَ، لا أن تُحذَف، فارتكَبَ الشذوذ لأنّ الهمز ليس من لغة قريش. فأما القتل فيقال فيه: أدْفَأتُ الجريح، ودافأتُه، ودفَوتُه ودافَقْتُه إذا أجهَزْت عليه(٢).

٩ـ ذهب:

وفي حديث عكرمة «سُئِل عن «أذاهِبَ» من بُرٍّ و«أذاهِبَ» من شعير، فقال: يُضمّ بعضها الى بعض ثم تُزَكّى». الذهَب بفتح الهاء: مكيال معروف باليمن، وجمعه أذهابٌ، وجمع الجمع أذاهب(٣).

١٠ـ سلب:

وفي حديث ابن عمر «دخل عليه ابن جبير، وهو متوسد مِرفقةً حشوها ليف أو سَلَب»، «السَلَب» بالتحريك: قشر شجر معروف باليمن يُعمَل منه الحبال، وهو ليف المُقْل. وقيل: خوص الثُمام. وقد جاء في حديث «ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان له وسادة حشوها سَلَب»(٤).

١١ـ صفق:

وفي كتاب معاوية الى ملك الروم «لأنزعنّك الملك نَزْعَ الاصفقانيّة»،

---

(١) المصدر السابق ٧٨/٢.

(٢) المصدر السابق ١٢٣/٢ـ١٢٤.

(٣) المصدر السابق ١٧٤/٢.

(٤) المصدر السابق ٣٨٧/٢.

و«الاصفقانية» هم الخَوَل بلغة اليمن. يقال: صفقهم من بلد الى بلد: أخرجهم منه قهراً وذلاً، وصفقهم عن كذا: أي صرفهم[1].

١٢ـ عجز:

وفي الحديث: «أنه قدم على النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب كسرى فوهب له مِعجَزَة، فسُمّي ذا المِعجزة» وهي بكسر الميم: المِنْطقة بلغة اليمن، سُمّيت بذلك لأنها تلي عَجُز المنتطق[2].

١٣ـ عرض:

ومنه حديث عاشوراء: «فأمر أن يؤذنوا أهل العَروض» أراد مَن بأكناف مكة والمدينة. يقال لمكة والمدينة واليمن: العَروض، ويقال للرساتيق بأرض الحجاز: الاعراض، واحدها عِرْض، بالكسر[3].

١٤ـ عصب:

وفي الحديث: «المُعتَدّة لا تلبس المصبّغة إلاّ ثوبَ عَصْب» العَصْب: برود يمنيّة يُعصَب غزلها: أي يُجمَع ويُشَدّ ثم يُصبَغ ويُنسَج فيأتي مَوشياً لبقاء ما عُصِبَ منه أبيضَ لم يأخذه صِبْغ. يقال: بُرْدُ عَصْبٍ، وبرودُ عَصْبٍ بالتنوين والإضافة. وقيل: هي برود مخطّطة. والعصب: الفتل، والعَصّاب: الغَزّال، فيكون النهيُ للمعتَدّةِ عمّا صُبِغَ بعد النسج[4].

١٥ـ كاف الخطاب:

وفي حديث عائشة «استأذَنَتِ النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ في دخول أبي القُمَيس عليها، فقال: أئذني له فإنّه عَمّج» يريد «عمُّكِ» من الرضاعة، فأبدَل كاف الخطاب جيماً[5]، وهي لغة قوم من اليمن[6].

١٦ـ قيل:

وفي الحديث: «أنه كَتَبَ الى الأقيال العباهلة» جمع قَيْل، وهو أحد ملوك حمير، دون الملك الأعظم. ويُروَى بالواو[7] وقد تقدم.

---

(١) المصدر السابق ٣٩/٣.

(٢) المصدر السابق ١٨٦/٣.

(٣) المصدر السابق ٢١٤/٣.

(٤) المصدر السابق ٢٤٥/٣.

(٥) أقول: لعل «الجيم» هنا غير الجيم الشجرية الفصيحة، بل هي الجيم الأعجمية، وهي التي بقيت في لغة أهل العراق والخليج في وقتنا في كاف الخطاب للمؤنث، كما ههنا.

(٦) المصدر السابق ٣٠٣/٣.

(٧) انظر المصدر السابق ١٢٢/٤ (قول).

ومنه الحديث: «الى قَيل ذي رُعَيْن» أي ملكها، وهي قبيلة من اليمن تنسب الى ذي رُعَين، وهو من أذواء اليمن وملوكها[1] .

١٧ـ عرم:

ومنه حديث أبي ميسرة في قوله تعالى: «فأرسلنا عليهم سيلَ العَرِم»، قال: العَرِم: المُسَنّاة بلحن اليمن أي بلغتهم[2] .

أسماء الحواضر والمدن اليمنية

١ـ أبْيَن:

وفي الحديث «... من كذا وكذا الى عدنِ أبْيَن» أبْيَن ـ بوزن أحمر ـ قرية على جانب البحر ناحية اليمن. وقيل: هو اسم مدينة عدن[3] .

وفيه ذكر «عَدَنِ أبْيَن» هي مدينة معروفة باليمن، أضيفت الى أبْيَن بوزن أبيض، وهو رجل من حمير، عَدَنَ بها، أي أقام[4] . ومنه سميت جنّة عَدْن، أي جنّة إقامة، يقال: عَدَن بالمكان يَعْدِن عَدْناً اذا لزمه ولم يبرح منه[5] .

٢ـ بَرْك الغِماد:

وفي حديث الهجرة: «لو أمرتَنا أن نبلُغ معك بها بَرْك الغِماد» تفتح الباء وتُكسَر، وتُضمّ الغين وتُكسَر، وهو اسم موضع باليمن. وقيل: هو موضع وراء مكّة بخمس ليال[6] .

٣ـ تَبالة:

وفيه «ذكر تبالة» هو بفتح التاء وتخفيف الباء: بلد باليمن معروف[7] .

٤ـ جرش:

وفيه ذكر «جُرَش» هو بضم الجيم وفتح الراء: مخلاف من مخاليف اليمن[8] .

---

(١) المصدر السابق ١٣٣/٤ .

(٢) المصدر السابق ٢٤٢/٤ .

(٣) المصدر السابق ٢٠/١ .

(٤) أقول: هذا هو قول اللغويين والمفسرين المسلمين، والذي نجده في اللغة العبرانية أن «عدن» اسم موضع.

(٥) المصدر السابق ١٩٢/٣ .

(٦) المصدر السابق ١٢١/١ .

(٧) المصدر السابق ١٨٠/١ . وفي المثل: «أهون من تبالة على الحجّاج» وكان عبد الملك ولاّه اياها فلما أتاها استحقرها فلم يدخلها.

(٨) المصدر السابق ٢٦١/١ .

٥ـ الجند:

وفيه ذكر «الجَنَد» هو بفتح الجيم والنون: أحد مخاليف اليمن، وقيل: هي مدينة معروفة بها(١).

٦ـ ذِمار:

وفيه ذكر «ذِمار» وهو بكسر الذال، وبعضهم يفتحها: اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء. وقيل: هو اسم صنعاء(٢).

٧ـ رِمع:

وفيه ذكر «رِمَع» هي بكسر الراء وفتح الميم: موضع من بلاد عكٍّ باليمن(٣).

٨ـ سبأ:

وفيه ذكر «سَبَأ» وهو اسم مدينة بلقيس باليمن. وقيل: هو اسم رجل وَلَدَ عامة قبائل اليمن. وكذا جاء مفسراً في الحديث. وسُمِّيت المدينة به(٤).

٩ـ شَبْوَة:

وفي حديث وائل بن حُجْر «أنّه كتب لأقوال(٥) شَبْوَةَ بما كان لهم فيها من ملك». شَبْوَة: اسم الناحية التي كانوا بها من اليمن وحضرموت(٦).

١٠ـ صَبير:

وفيه «من فَعَل كذا وكذا كان له خيراً من صبير ذهبا» وهو اسم جبلٍ باليمن. وقيل: إنما هو مثل جَبَلِ صِير، بإسقاط الباء الموحّدة، وهو جبل لطيِّء. وهذه الكلمة جاءت في حديثين لعليٍّ ومُعاذ، أمّا حديث علي فهو صير، وأما رواية مُعاذ فصبير، كذا فرّق بينهما بعضهم(٧).

١١ـ غمدان:

وفيه ذكر «غمدان» بضم الغين وسكون الميم: البناء العظيم بناحية صنعاء

---

(١) المصدر السابق ٣٠٦/١.

(٢) المصدر السابق ١٦٨/٢، أقول: وهي بفتح الذال في عصرنا ليس غير. وانظر «غريب الحديث» للهروي.

(٣) المصدر السابق ٢٦٤/٢، وانظر «غريب الحديث» للهروي.

(٤) المصدر السابق ٣٢٩/٢.

(٥) «الاقوال» بمعنى الأقيال، وقد مرَّ بنا «الاقيال» في «قيل» ومعناها اللغوي، فالكلمة من بنات الياء والواو، وهي بالياء أكثر.

(٦) المصدر السابق ٤٤٢/٢.

(٧) المصدر السابق ٩/٣ وانظر: «غريب الحديث» للهروي.

اليمن. وقيل: هو من بناء سليمان ـ عليه السلام ـ، له ذكر في حديث سيف بن ذي يزن[١].

١٢ـ مأرب:

قد تكرر في الحديث ذكر «مأرِب» بكسر الراء، وهي مدينة باليمن كانت بها بلقيس[٢].

١٣ـ يبعث:

في كتاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأقوال شبوة ذكر «يَبْعُث» هي بفتح الياء وضم العين المهملة: صقع من بلاد اليمن، جعله الله لهم. والله أعلم[٣].

١٤ـ يمن:

وقد تكرر ذكر «اليُمْن» في الحديث وهو البركة...

أقول: و«اليَمَن» من أسماء البلاد الخاصة بهذه الديار التي وسمت بالبدء بالياء، وهي كثيرة. او بالتاء نحو «تريم» و«تعز» وغيرهما كثير.

وهي أسماء بنيت من الأفعال، ومن هنا كان لي أن أقول ان «الفعلية» في لغات اليمن أشهر، ومنها غلبت على الأسماء في أسماء البلاد والمواضع وأعلام الناس، والشواهد كثيرة. وأعود الى «يمن» فأقول: هي من «مَنَن» وتعني الخير والبركة، فهي من الفعلية والياء ياء المضارعة كالتاء. وكان من العلم أن تدرج في «المعجم السبئي» في باب الميم، فاذا وصل المعجم الى باب الياء أحيل على باب الميم «منن»[٤].

أصنام اليمن

وفيه: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة» وهو بيت كان فيه صنم لدَوس وخثعم وبجيلة وغيرهم. وقيل: «ذو الخلصة» هو الكعبة اليمانية التي كانت باليمن، فأنفذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جرير بن عبدالله فخربها. وقيل: ذو الخلصة: اسم الصنم نفسه، وفيه نظر لأنّ «ذو» لا يضاف إلاّ الى أسماء الأجناس، والمعنى أنهم يرتدّون ويعودون الى جاهليتهم في عبادة الأوثان، فيسعى نساء بني دَوْس طائفات حول ذي الخلصة فترتجّ أعجازهن. وقد تكرر ذكرها في الحديث[٥].

---

(١) المصدر السابق ٣٨٣/٣ وانظر: «غريب الحديث» للهروي.

(٢) المصدر السابق ٢٨٨/٤.

(٣) المصدر السابق ٣٠٤/٥.

(٤) انظر المعجم السبئي (Mnn) وانظر (Yaman).

(٥) المصدر السابق ٦٢/٢.

ومن مجازات الحديث

وفيه عن عمرو بن عَبَسة «ومأكول حمير خير من آكلها»، المأكول الرعية، والآكلون الملوك جعلوا أموال الرعيّة لهم مأكلة، أراد عوامّ أهل اليمن خير من ملوكهم.

وقيل: أراد بمأكولهم من مات منهم فأكلتهم الأرض، أي هم خير من الأحياء الآكلين، وهم الباقون[1] .

ومن غريب الحديث

وفي حديث أنس: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي حتى «حَكَم وحاء» وهما حيّان من اليمن من وراء رمل يَبرين.

قال أبو موسى: يجوز أن يكون «حا» من الحوّة، وقد خُفّفت لامه. ويجوز أن يكون من «حَوَى يحوي». ويجوز أن يكون مقصوراً غير ممدود[2] .

الثياب اليمنية وأدوات الزينة

١ـ حَضور:

وفي حديث عائشة «كُفّنَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ثوبين حَضُورِيين»، هما منسوبان على «حَضُور» وهي قرية باليمن[3] .

٢ـ حضرم:

في حديث مصعب بن عُمَير: «أنه كان يمشي في «الحضرمي»، وهو الفعل المنسوب الى حضرموت المتّخذة بها[4] .

٣ـ خمس:

وفي حديث مُعاذ «كان يقول في اليمن: ائتوني بخميس أو لبيس آخذُه منكم في الصدقة».

«الخميس» الثوب الذي طوله خمس أذرع. ويقال له «المخموس» أيضاً. وقيل: سُمّي خميساً لأنّ أول من عمله ملك باليمن يقال له «الخِمْس» بالكسر.

المصدر السابق ٥٩/١ . وانظر «غريب الحديث» للهروي.

(٢) المصدر السابق ٤٦٦/١ . وانظر «غريب الحديث» للهروي.

(٣) المصدر السابق ٤٠٠/١ .

(٤) المصدر السابق ٤٠٠/١ .

وقال الجوهري: «الخِمس: ضرب من برود اليمن».

وجاء في «البخاري» خميص، بالصاد، قيل: إن صحّت الرواية فيكون مذكّر الخميصة، وهي كساء صغير، فاستعارها للثوب[1].

٤ـ اليُمنة:

وفي حديث مصعب بن عمير: «كان مترفاً في الجاهلية يَدّهِن بالعبير، ويُذيل يُمْنة اليَمَن»، اي يُطيل ذيلها. واليُمْنة: ضرب من برود اليمن[2].

٥ـ ثوب صُحاري:

وفيه «كُفّن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ في ثوبَيْن صحاريّين»، و«صُحار» قرية باليمن نُسِب الثوب اليها. وقيل: هو من الصُحرة، وهي حُمرة خفيّة كالغُبْرة. يقال: ثوب أصحَر وصُحاريّ[3].

٦ـ جَزْع ظَفار:

وفي حديث الإفْك: «عِقْد من جَزْع ظَفار» وهكذا رُوِي، وأريد به العِطر المذكور أوّلاً، كأنّه يؤخَذ ويُثقّب ويُجعل في العقد والقلادة. والصحيح في الروايات أنه «من جَزْع ظَفار» بوزن قَطام، وهي اسم مدينة لحميرَ باليمن.

وفي المثل: «من دَخَلَ ظَفار حَمَّرَ». وقيل: كلُ أرض ذات مَغْرة[4] ظَفار[5].

٧ـ البُرد «المَعافريّ»:

وفيه «أنّه بعث معاذاً الى اليمن وأمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً أو عِدْلاً من المعَافريّ»، وهي برود باليمن منسوبة الى مَعافر، وهي قبيلة باليمن، والميم زائدة[6].

٨ـ حلّة أفواف:

وفي حديث عثمان: «خَرَج وعليه حُلّة أفواف»، الأفواف جمع فُوف، وهو القطن، وواحدة الفُوف: فُوفة، وهي في الأصل: القشرة التي على النواة. يقال: بُرْدُ أفوافٍ، وحُلّة أفواف بالإضافة، وهي ضرب من بُرود اليمن، وبُرْدٌ مُفَوّف: فيه خطوط بيض[7].

---

(١) المصدر السابق ٧٩/٢.

(٢) المصدر السابق ١٧٥/٢.

(٣) المصدر السابق ١٢/٣.

(٤) المَغْرة، ويحرك: طين أحمر، كذا في المعجم.

(٥) المصدر السابق ١٥٨/٣.

(٦) المصدر السابق ٢٦٢/٣.

(٧) المصدر السابق ٤٧٩/٣ وانظر: صحيح مسلم.

٩ـ ثياب مَراجل:

وفيه «وعليهما ثيابٌ مَراجل»، يُروَى بالجيم والحاء، فالجيم معناه أن عليهما نقوشاً تمثال الرجال. والحاء معناه عليهما صُوَر الرحال، وهي الإبل بأكوارها. ومنه ثوب مُرَحَّل، والروايتان معاً من باب الراء، والميم فيهما زائدة، وقد تقدَّم[١].

ما قيل في مدح أهل اليمن

بخع:

وفيه: «أتاكم أهل اليمن أرقُّ قلوباً وأبخَعُ طاعة» أي أبلغ وأنصح في الطاعة من غيرهم، كأنهم بالغوا في بَخْع أنفسهم: أي قهرها واذلالها بالطاعة.

قال الزمخشريّ: هو من بَخَع الذبيحة اذا بالغ في ذبحها، وهو أن يقطع عظم رقبتها ويبلغ بالذبح «البخاع» بالباء ـ وهو العرق الذي في الصُّلب. والنَّخْع بالنون دون ذلك، وهو أن يبلغ بالذبح النخاع، وهو الخيط الأبيض الذي يجري في الرقبة، هذا أصله، ثم كثـر حتى استعمل في كل مبالغة، هكذا ذكره في «كتاب الفائق» في غريب الحديث، وكتاب «الكشاف» في تفسير القرآن[٢]، ولم أجده لغيره. وطالما بحثت في كتب اللغة والطب والتشريح فلم أجد البخاع ـ بالباء ـ مذكوراً في شيءٍ منها[٣].

يمن:

وفيه «الايمان يمان، والحكمة يمانيّة» انما قال ذلك لأنّ الايمان بدأ من مكّة، وهي من تهامة، وتهامة من ارض اليمن، ولهذا يقال: الكعبة اليمانية.

وقيل: انه قال هذا القول وهو بتبوك، ومكة والمدينة يومئذٍ بينه وبين اليمن، فأشار الى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة[٤].

خاتمة: وبعد فهذا عرض موجز لما ورد في الحديث الشريف ممّا يتّصل باليمن.

---

(١) المصدر السابق ٣١٥/٤.

(٢) انظر كتاب الفائق (بخع)، والكشاف «ولعلك باخع نفسك».

(٣) المصدر السابق ١٠٢/١.

(٤) المصدر السابق ٣٠٠/٥ وانظر «غريب الحديث» للهرويّ.

لغة هذيل

عرف الدارسون في الأدب القديم شعر هذيل وشعراء هذيل، وكأن أهل الأدب واللغة قد اطمأنوا الى أن الهذليين طبعوا على الشعر، فراحوا يشغلون أنفسهم بشعر هذه القبيلة التي عرف فيها الشعر الحسن. ومن هنا شغل غير واحد بجمع شعرهم وشرحه ونقده وبيان ما فيه من خصائص فنية. غير أن شعر هذيل يشتمل على شذرات لغوية «هذلية».

قلت: «هذلية» وهذه النسبة اشتهرت في طائفة من الألفاظ، وسنقف على هذه الألفاظ التي دلّ عليها الاستقراء في «معجمات» العربية. ومن هنا فلغة هذيل تتميّز بجملة من فوائد لغوية صرفية، وقد تندرج من هنا في الحيّز النحوي، وأخرى هي مادة معجمية.

ولا بدّ أن نعرف مواطن هذيل، إن معجمات القبائل ومعجمات البلدان لا تمدّنا بالعلم الحسن، وجلّ ما نتلقّفه منها نبذ من أخبار لغوية نخلص منها الى شيء يتصل بموطن هذه القبيلة.

ومن هذا ما جاء في «المزهر»[1] وهو قول السيوطي:

«روى أبو عمرو أن أفصح الشعراء أعربهم أهل السروات وهنّ ثلاث، وهي الجبال المطلّة على تهامة مما يلي تهامة اليمن، فأوّلها هذيل... ثم سراة الأزد، أزد شنوءة...». ولست في هذا بحاصل على فائدة كبيرة ذلك أنك تجعل موطن هذيل متّصلاً بالحجاز، وأنت غير مخطئ إن وصلته بنجد، وهو على كل حال يدخل في الأقسام الغربية من بلاد العرب. ثم إنك غير ممتحن اذا حكمت على بداوة هذيل، فلا يمكن أن تمس المواطن الحضرية التي اشتهرت في «الحجاز».

و«لغة» هذيل سلمت من أيٍّ من خصائص اللغات المذمومة وهي كشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتلتلة بهراء وشنشنة اليمن وغيرها.

غير أنك لا تحظى في سعيك الحثيث إلاّ بالشذرات التي حظيت بها في لغات تميم والحجاز وغيرهما. وأود أن تكون مطمئناً الى ان الهذلي يستعمل في

---

(١) المزهر ٢/٤٨٣.

اعرابه شيئاً اشتهر بخصوصيته في قبائل أخرى. وقد رأينا من هذا شيئاً مألوفاً في شعراء القبائل الأخرى.

قال الجوهري في «الصحاح»: «أفلط» لغة تميمية قبيحة[١] . غير اننا نجد هذا الفعل في شعر ساعدة بن جؤية الهذلي، ولا يستشهد لهذا الفعل إلا بقوله:

بأصدق بأسٍ من خليل ثمينةٍ وأمضَى اذا ما أفلت القائمَ اليدُ[٢]

و«أفلط» هي «أفلت».

واستعمال الشاعر الهذلي للفعل «أفلط» يُعدّ دليلاً على أن مواد «اللغات» الخاصة شيء غير ذي دلالة، وأن الشاعر والمعرب يعرض لهذه المسائل ولم يكترث أن تكون مما درج عليها قومه وطائفته. وقد يأخذك عجب أن يكون ساعدة بن جؤية الهذلية يميل الى كلمة «تميميّة قبيحة» ويترك المشهور الفصيح وهو «أفلت».

ومثل هذا ما كان من عيسى بن عمر، من أهل القراءات، وهو حجازي كان يقول:

«ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر، وأهل الحجاز اذا اضطرّوا نبروا»[٣] . وهذا يعني ان المعربين غير الشعراء كالفرّاء وسواهم لا يتقيّدون بلغة قومهم.

أريد أن أقول: ان أصحابنا الباحثين من الشبّان أصحاب رسائل الماجستير والدكترة مدفوعون لما يرمون إليه، فهم يجتهدون ان يقيموا بناءهم بمواد لا تفي بالحاجة. ان أحدهم يريد أن يكتب في لغة هذيل، وهو ينطلق في التفكير في إقامة بنائه قبل أن ينظر نظرة مدركة الى ما بيديه، فيبدأ في عمله متخذاً من الأشتات اللغوية غير الكافية مواد لما يرمي إليه.

ونعود الى «أفلط» في قول ساعدة بن جؤية التي ارتضاها الشاعر، ولم يكن ممتحناً بالوزن، وليست من لغة قومه، إن هذه مسألة ذات فائدة لو وعاها الدارسون الجُدد.

١ـ حركة حرف المضارعة:

عرفنا ان كسر حرف المضارعة من خصائص لغة تميم، وان فتحه من خصائص لغة أهل الحجاز[٤] . ومن هذا الفعل «أخال»، والمشهور فيه الكسر

---

(١) الصحاح (فلط).

(٢) اللسان (فلط).

(٣) لسان العرب ١٤/١، وقال ابو عمر الهذلي: قد توضيت ٢٢/١ .

(٤) انظر البحر المحيط ١/٢٣ـ٢٤، وانظر الكتاب ٢٥٦/٢ .

«إخال»، وجاء في «شرح الحماسة» للمرزوقي أن الكسر في الهمزة لغة طيّء[1]. وكذلك الكسر في لغة هذيل خلافاً لكثير من القبائل في غربي بلاد العرب، وجاء في «اللسان» ان الفتح لغة بعض هَذيل[2].

وهذه ليست غريبة فقبيلة «أسد» تفتح همزة «أخال»[3] خلافاً لكثير من القبائل في شرقي بلاد العرب.

٢ ـ فتح العين في الجمع المؤنث اذا كان واواً أو ياء:

قال الفرّاء: «العرب كلهم على تخفيف ذلك إلاّ هذيلاً، فقد قرئ بلغة هذيل قوله تعالى: «...أو الطفل الذين لم يُظهروا على «عَوَرات» النساء»[4] وثُقِّل ما كان هذا النوع من ذوات الياء والواو، وأنشد بعضهم:

أخو «بَيَضاتٍ» رائح متأوِّب رقيق بمسح المنكبين سبوحُ[5]

وقد يفسد علينا ابن خالويه هذه اللغة الخاصة بهذيل حين قال: ان بني تميم يقولون: رَوَضات وجَوَزات وعَوَرات، وسائر العرب بالاسكان[6].

أقول: مصادرنا اللغوية القديمة تفسد الطريق على الدارسين الجدد في اختلافها وتناقضها[7].

---

(١) شرح المرزوقي ٢٤٨/١، شرح التبريزي ٢٤٢/١.

(٢) لسان العرب ٢٨٣/٢. وقال عمر بن أبي ربيعة:

ما لقلبي كأنّه ليس منّي وعظامي أخالُها فيهنّ فَتْرا

(شرح المرزوقي ٤، ١٨٤٥).

(٣) خزانة الأدب ١١/٤.

(٤) ٣١ سورة النور.

(٥) البحر المحيط ٤٤٩/٦، وقرأ الاعمش: «ثلاث عَوَرات لكم» ٥٨ سورة النور. ويقول ابن عباس في «تفسيره»: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات في رَوَضات الجنات» ١ سورة الشورى.

وفي «البحر المحيط» ٥١٥/٧: ولغة هذيل بن مدركة فتح الواو، ولم يقرأ أحد ممن علمناه بلغتهم. وانظر: الخزانة ٤٢٧/٣ـ٤٢٩.

(٦) مختصر البديع ص ١٠٣، والخصائص ١٨٤/٣. وقال سيبويه: «العَيَرات» بالتحريك لغة هذيل (اللسان عير).

(٧) لقد مرّ بنا ان في قوله تعالى: «وإياك نستعين» أن أهل الحجاز قرأوا بفتح النون، وبلغتهم جاءت لغة التنزيل، ووافقهم بعض هذيل، وبكسرها لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وهذيل، وانظر: البحر المحيط ٢٣/١ـ٢٤.

١٤٦

٣ـ الخلاف بين الواو والياء في البناء للمجهول:

وقرئ في قوله تعالى: «واذا «قيل» لهم لا تفسدوا في الأرض»[١] ، واذا «قُولَ»... على لغة هذيل وبني دبير[٢] .

٤ـ في النسب الى المقصور:

وفي لغة هذيل ان النسب الى «هُدى» يتم بقلب الألف ياءً وادغامها في ياء النسبة، وبها قرئ «فمن تبع هُدَيَّ»[٣] .

وبها جاء في قول ابي ذؤيب:

سَبَقوا «هَوَيَّ» وأعنَقوا لهواهُمو فتُخرِّموا ولكلِّ جَنْبٍ مَصرَعُ[٤]

٥ـ ومن التثقيل قول هذيل «نُجُد»، والأصل «نُجْد» باسكان الجيم[٥] قال أبو ذؤيب:

في عانة بجنوبِ السِّيِّ مشربُها غَورٌ، ومصدرها عن مائها نُجُدُ[٦]

وعزا الأصمعي هذه الصيغة الى أهل الحجاز وهذيل[٧] ، وجاء في «معجم البلدان»[٨] : انها لغة هذيل خاصة.

أقول: وكأني أميل الى أن أبا ذؤيب قد ثقّل الجيم بسبب من الوزن. والشاعر قد يصنع هذا ويذهب بعيداً في صنعته فيخالف لغة قومه، ومن هذا قول كثيّر في رثاء عبد العزيز بن مروان:

وللأرض أمّا سُودُها فتجلّلت بياضاً، وأمّا بيضُها فاسوأدّتِ[٩]

---

(١) ١١ سورة البقرة.

(٢) البحر المحيط ٦٠/١ـ٦١ وفي «المذكر والمؤنث» للفرّاء ص ٣٠: أجويت القدر، وهذيل تقول: أجييتها.

(٣) ٣٨ سورة البقرة وانظر: الكشاف ٩٧/١، والبحر المحيط ١٦٩/١ ومختصر البديع ص ٥.

(٤) أوضح المسالك ٣٦/٢، وانظر شرح المرزوقي ٥١/١ـ٥٢.

(٥) المخصص ٨٤/١٢.

(٦) ديوان الهذليين ١٢٤/١.

(٧) لسان العرب «نجد».

(٨) معجم البلدان ٣٥٢/٨.

(٩) الموشح ص ١٤٦، ومثل هذا قول الشاعر:

فأقسم لو لاقى هلالاً وتحته مِصَكٌ كذيب الردهة المتأوِّبِ

«لأدْأَها» كرهاً وأصبح بيتُه لديه من الإعوال نوحُ مُسَلّبِ

قال السيرافي «شرحه» ٢٧٢/١: فهمز الف «أدّاها» لانه لو تركها ساكنة لم يستقم البيت.

والأصل: اسودّت، وصنعة الشعر تقتضي هذا الهمز، وكثيّر حجازي، وأهل الحجاز لا يهمزون.

وروى الأزهري بإسناده عن الفرّاء قال: سمعت رجلاً من بني سليم ينشد:

«فإنّها حِيَلُ الشيطان يحتَئِل»

وأصله من الحيلة[1].

والهمز في الشطر للضرورة وليست لغة سليم الهمز في هذا[2].

ومن الاضطراب في «المصادر» ما نقرأ في «لسان العرب» (نبأ) من قول سيبويه: ان الهمز في «النبيء» لغة رديئة، مع انه قال: ان أصل «النبي» الهمز، وهو الصحيح الذي لا يجوز غيره. وقال: وليس أحد من العرب إلا وهو يقول: تَنَبّأ مسيلمة[3].

وقد تضطر علة صوتية الى مسألة فيضطر القائلون الى مخالفة طريقتهم، ومن هذا ان هذيلاً تبدل الواو المكسورة في «وِشاح» همزة فيقولون «إشاح» كما قالوا «إلدة» والأصل «وِلدة»[4]، قال الهذلي:

له إلدةٌ سُفعُ الوجوهِ كأنّما يُصفّقُهم وَغْكٌ من المُومِ ماهنُ[5]

ومثل هذا قالوا: إعاء، والأصل: وِعاء[6] ومنه قول الاعلم:

هواء مثل بعلك مستميت على ما في إعائك كالخيال[7]

وبهذه اللغة قرأ ابن جبير: «ثم استخرجها من إعاء أخيه»[8].

---

(١) المصباح المنير ١/٢٤٤.

(٢) وقد يخالف أهل اللغة طريقتهم في ألفاظ بعينها، ومن ذلك أهل مكة، وهم من الحجاز، يهمزون: النبي، والبريّة، والذرّية. انظر اصلاح المنطق ص ١٥٩، وكذلك «الخابية» تهمز عندهم، المخصص ٨/١٤، ١٥٣/١٧ وان «نافع» المدني من أصحاب القراءات كان يحقق الهمزة في النبيين (٦١ سورة البقرة، والنبيون ١٣٦ سورة البقرة، والأنبياء ١١٢ سورة آل عمران، والنبي ٦٤، ٦٥ سورة الأنفال، والنبوة ٢٦ سورة الحديد).

انظر: اتحاف فضلاء البشر ص ١٣٨. وقرأ نافع وابن ذكوان: «اولئك خير البريئة» ٧ سورة البينة. المصدر السابق ص ٤٤٢.

(٣) انظر: المخصص ١٥٢/١٧، وكذلك ٧/١٤ـ٨.

(٤) الجمهرة ١٦١/٢، والابدال لابن السكيت ص ٥٧.

(٥) ديوان الهذليين ٤٩/٣.

(٦) عبث الوليد ص ١٨٣.

(٧) ديوان الهذليين ٨٣/٢.

(٨) ٧٦ سورة يوسف.

٦ـ بين الميم والنون:

«الأيَم» في لغة أهل الحجاز هو الجانّ من الحيّات، وهو «الأَين» في لغة تميم، وهذيل تشدّد الياء مع الميم، وكأنها الأصل، ثم خُفِّفت(١).

٧ـ الخلاف في الحركات:

وذلك في حركة عين الفعل في قوله تعالى: «ولو فتحنا عليهم باباً من السماء لظلّوا فيه «يعرجون»(٢)، وقرأ الأعمش «يعرجون» بكسر الراء، وكذلك أبو حيوة، وهي لغة هذيل(٣).

وقرئ قوله تعالى: «فصُرْهنّ اليك»(٤) بضم الصاد، كما قرئت بكسر الصاد، وهي لغة هذيل وسليم(٥).

٨ـ التخفيف والتشديد:

وذلك تخفيف نون «ذانك» في قوله تعالى: «فذانِك برهانان من ربك»(٦)، وفي قوله تعالى: «هذانِ خصمان اختصموا»(٧)، وتخفيف نون «هاتين» في قوله تعالى: «إحدى ابنتيَّ هاتين»(٨)، وتخفيف نون «اللذين» في قوله تعالى: «ربّنا أرِنا اللذين أضلّانا»(٩). كلها بالتخفيف، وهذيل تشدّد النون فيها وقرئ بها أيضاً(١٠).

٩ـ الإجتزاء بالكسر عن الياء:

وذلك في غير الجزم، وأنشد الطبري:

---

(١) المخصص ١٠٩/٨. وجاء في مقدمة كتاب «الإبدال» لابن السكيت ٤٨/١: ولهذا أخطأ من فسّر «الأين» بالتعب والإعياء في قول ابن زيدون:

«سَرَى الأين من آثاره فيه مزحف».

وإنما «الأين» مثل «الأيم» كما قال ابن السكيت الذكر من الحيات، وتفهم العلاقة بين «مزحف» وبين «الأين». انظر اللسان ١٨٧/١٦.

(٢) ١٤ سورة الحجر.

(٣) البحر المحيط ٤٤٨/٥.

(٤) ٢٦٠ سورة البقرة.

(٥) لسان العرب ١٤٨/٦ـ١٤٩.

(٦) ٣٢ سورة القصص.

(٧) ١٩ سورة الحج.

(٨) ٢٧ سورة القصص.

(٩) ٢٩ سورة فصلت.

(١٠) البحر المحيط ١١٨/٧.

كفَـاكَ كفٌ مـا تليق درهمـاً جوداً وأخرى «تعطِ» بالسيف الدما[1]

وقرأ ابن كثيّر «يومَ «ياتي» لا تُكلّم نفس»[2] بإثبات الياء في «يأتي» وصلاً ووقفاً، وهي كذلك في مصحف أبي، وقرأ باقي السبعة بحذف الياء وصلاً ووقفاً[3].

وقد عدّ هذا الآلوسي في البيت المتقدم ضرورة[4].

ومثل هذا قراءة بعضهم: «يوم ينادِ المنادِ»[5] بحذف الياء من الفعل والاسم، وقراءة الجمهور: «قال أتُمدّونَنِ»[6] بحذف الياء من الفعل، وهذا الحذف في لغة هذيل[7]. ومثل هذا ما جاء عن العرب قولهم: «أقبل يضربه لا يألُ» بحذف الواو اكتفاءً بالضمة[8]. وقولهم: «لا أدرِ»[9]. ومثل هذا قولهم: «ما أدرِ ما تقول»[10].

ومن هذا حذف الياء من «الداعي» و«الجواري» و«يَسري» و«دعائي» و«أخّرتني» في الآيات الكريمة، والحذف موافق للغة هذيل، وأثبتها آخرون مراعاة للرسم كيعقوب موافقة لأهل الحجاز[11].

مع لغة هذيل[12]

لقد كان لي عناية خاصة بلغات العرب، أعني ما اصطلح عليه المعاصرون بـ«اللهجات». وقد خيّلَ للمعاصرين أنهم أدركوا منها أكثر مما سجله الاوائل، فأنت تجد المجلدات الحافلة التي تقدم بها الدارسون لنيل إجازات الماجستير والدكتوراه.

---

(١) تفسير الطبري ٤٧٩/١٥، والبحر المحيط ٢٦١/٥ـ٢٦٢.

(٢) ١٠٥ سورة هود.

(٣) البحر المحيط ٢٦١/٥ـ٢٦٢.

(٤) الضرائر ص ١٧٥.

(٥) ١٩٣ سورة آل عمران.

(٦) ٣٦ سورة النمل.

(٧) البحر المحيط ٢٦١/٥ـ٢٦٢.

(٨) مقدمتان في علوم القرآن (المباني) ص ١٣٨.

(٩) لسان العرب (أتى).

(١٠) تفسير الطبري ٤٧٩/١٥، والجاسوس على القاموس ص ٣٤٢.

(١١) اتحاف فضلاء البشر ص ١١٣.

(١٢) دراسة في كتاب «من لغات العرب لغة هذيل» للدكتور عبد الجواد الطيب (لم يذكر مكان النشر ولا تاريخه).

ولنا أن نسأل: أكان المتقدمون أقل علماً وفطنة من أصحابنا المعاصرين، فلم يهتدوا الى ما اهتدى إليه هؤلاء المعاصرون؟ أو ان المتقدمين قد ذهبوا الى أن ما يتصل باللهجات ليس أمراً مهماً، فلم يعيروه شيئاً من اهتمامهم؟

ولي أن أقول أيضاً: كأن المعاصرين قد اعتزموا ان تكون لهم هذه الأسفار الضخمة قبل أن ينظروا في المواد التي تعينهم على إقامة هياكلهم. وقد كان القدماء أوفر حظاً من أصحابنا المعاصرين، فقد رأوا أشتاتاً من ألفاظ خاصة تتصل بهذه القبيلة أو تلك، كما لمحوا طرائق ذات خصوصية في إخراج بعض الأصوات.

قد تقول: وهل يؤلف جملة ذلك ما أوعبه المعاصرون من علم من هنا وهناك في «أضابيرهم» فكانت لغة هذيل، وكانت لغة كندة، ولغة بلحارث بن كعب؟ ومن يدري فلعلنا نجد عما قريب بين أيدينا لغة قيس ولغة بكر، ولغة طيّء وهلم جرا.

ومثل هذا صنعة نفر آخر من المعاصرين الذين أغروا بالألسن الدارجة فراحوا يتكثرون فيما يدّعون أنه «أدب شعبي»، ولو أصابوا لقالوا: إنه عاميّ. وانطلقوا يسوّدون الصفحات في عامية كل قطر من الأقطار العربية، بل تجاوزوا هذا الحدّ فكتبوا في «لهجة القاهرة» و«لهجة بغداد» و«لهجة دمشق». وربما قلّدوا في هذا نفراً من المستشرقين، ولكنهم لم يبلغوا شأو هؤلاء الذين أحسنوا الطريقة فأدركوا العلم.

ان أصحابنا هؤلاء واولئك الذاهبين الى العامية والمتنقلين في الرحاب القديمة قد ضلّوا الطريق، فلم يهتدوا الى شيء. ولعلّي أفلح فأضرب مثلاً فأقول: مثل الذين قمشوا أسفارهم الكبيرة في لهجات القبائل القديمة كمثل أهل العلم الباحثين عن البترول في شيّ من الأرض مستعينين بوسائلهم العلمية وأجهزتهم الدقيقة. وقد ينتهي دأبهم المضني دون أن يفلحوا فيحكموا على خلو الموقع من أثر للبترول، وهكذا ينتهي العمل. غير أن أصحابنا اللغويين يجنحون بخيبتهم الى مسار آخر فينطلقون يجمعون ما يتصل بمادتهم وما قد يوافقها بوجه من الوجوه ليكون من ذلك كتاب في لغة قبيلة من القبائل. ولقد رأيت بأخرة كتاباً في «لغة هذيل»، قد التزم صاحبه بما التزم به القدماء وهو كلمة «لغة»، ولكنه ابتعد عن دلالتها القديمة، وجعل «لغة هذيل» درساً وافياً يشتمل على الأصوات والأبنية الصرفية والنحوية ثم ما يتصل بالدلالات. وكأنه في هذا يتبع الطريق التي يلتزم بها في دراسة «العربية».

والذي يجانب العلم في هذه الطريقة ان «اللغة الهذلية» هي عربية لا تختلف عن لغة تميم أو كندة أو غيرهما إلاّ بخصوصيات تتصل بالأصوات وفي طريقة

إخراجها، وفي التزام ضرب أو ضروب من الإبدال اختصّت به هذه ولم تعرف في لغة أخرى من لغات العرب.

لقد أشار أهل اللغة الى وصف جملة من الألفاظ بكونها «هذلية»[1]، ومعنى هذا أنها شاعت في عربية هذيل، أو كان لها معنىً خاص.

وقد ذهب الدارسون في «اللهجات» العربية القديمة[2] الى أن لغة الحجاز حضرية، وهي تقابل لغة تميم البدوية. وكان من نتيجة ذلك أن انتهوا الى مقولات ثابتة كأن يكون الفتح صفة من صفات أهل الحضارة نحو «الوَتْر»، وان الكسر في أول هذه الكلمة ونظائرها من صفات البداوة كما هي في لغة تميم. ان اتخاذ هذه الصيغة في نسبتها الى هؤلاء وهؤلاء لا تكون مطّردة، ذلك أن قبيلة هذيل قبيلة حجازية، وان الحجاز إقليم واسع يشتمل على مواطن حضرية وأخرى بدوية. ومن هنا لن يكون في طوق الباحث أن يصنّف كما يشاء ليقيم من تصنيفه عملاً يتقدم به لنيل درجة الماجستير أو الدكتوراه.

جاء في «لغة هذيل» لعبد الجواد الطيب:

«وإن كان التعميم الذي نراه في قولهم: «أهل الحجاز» لا ينتظم دائماً جميع لهجات القبائل التي تقطن في بلاد الحجاز باديها وحاضرها، فإننا ـ مع هذا ـ نجد الهذليين من أولى الناس بالدخول أحياناً في هذا العموم، فباديتهم هي من بلاد الحجاز أولاً، ثم هم ثانياً من أقرب القبائل الى قريش جواراً ونسباً، فليس بدعاً أن تشاركها، وتشارك غيرها من بعض القبائل التي تميّزت بشيء من خصائص النطق التي تتسّم بها»[2].

أقول: هذا الذي أثبته الدكتور عبد الجواد كلام من أدرك أن الذهاب في «مشروعه» محفوف بالمخاطر، وأنه لا سبيل الى الإفادة من خصوصيات لغوية، واتخاذها قاعدةً في إقامة هيكل في لغة أية قبيلة عربية، ذلك ان القبائل بمقدار ما تختلف عن غيرها من القبائل في خصوصيات تتصل بها لغوياً، تتشابه في الوقت نفسه في موادّ كثيرة.

غير ان صاحبنا هذا قد وطّن العزم على ان يخرج من هذه الأوشاب بعمل خاص يخصّ به هذه القبيلة، ولذلك أتبع قوله الأول بما يأتي:

«ولكنا ـ مع ذلك ـ لا ننسى أن هؤلاء الهذليين في باديتهم كانوا ينزلون في بعض محالّهم قريباً من قبائل قيس كفَهْم وعَدْوان وهوازن وسُليم وغيرها، وكثيراً ما

---

(١) انظر ما كنا استقرينا من لغة هذيل في «لسان العرب» في «كتابنا» هذا.

(٢) انظر لغة هذيل ص ٢١.

يصوِّر شعرهم هذا الجوار[1]، فليس غريباً أن نجد في لهجتهم أثارةً من هذه اللهجات التي تتميَّز بها هذه القبائل الموغلة في البداوة في وسط الجزيرة وفي شرقيّها، بل إنّا لَنجد لهجة هذيل أحياناً ـ كما سنرى ـ شيئاً وسطاً بين لهجات أخواتها القريبات من القبائل الحجازية، ولا سيما تلك التي أخذت بحظّ من الحضارة والاستقرار كقريش، ولهجات تلك القبائل من جاراتها الاخريات الموغلة في البداوة ممن ذكرنا، فليس بدعاً إذن أن نجد الضم يحتل مكان الفتح في بعض ألفاظها، فيروي ابو عمرو أن هذيلاً تقول «المنا» بالضم تريد «المنايا»[2] «وان كان قد ورد هذا اللفظ بالفتح في شعر صخر الغيّ[3] «فاذا صحَت هذه الرواية، وصحَت رواية أبي عمرو كان معنى هذا أن ضم الميم في هذا اللفظ ليس لهجة لكل هذيل، وذلك اذا لم تكن رواية البيت متأثرة باللغة العامة السائدة، وأعني بها اللغة الفصحى»[4]. أقول: لقد أدرك المؤلف اختلاط هذيل في مواطنها بغيرها من القبائل، وأدرك أن لهجتهم لا بدّ أن يكون فيها شيء من المشترك بين قبائل عدة، وانه أدرك ان هذيل تتصل بأهل الحجاز في استقرارهم، وأنها قبيلة حجازية، ثم انها قبيلة تتدرج في بادية الحجاز. ومن هنا فليس له أن يقول بما هو خاص بهذيل غير ما وجده من بقايا لغوية ذكرت في كتب النحو.

ثم ان الاعتماد في إثبات اللغات أو ما اصطلح عليه في عصرنا باللهجات، على الشعر ليس شيئاً من العلم، ذلك ان للشاعر لغة خاصة. والشاعر ممتحن بوزنه وقافيته، ألم يكن شيء من هذا ما دعا لبيداً الشاعر الجاهلي الى أن يقول:

دَرَسَ «المنا» بمُتَالِعٍ فأبانِ ... بالحِبْسِ بين البدو والسوبانِ[5]

و«المنا» هي «المنازل» وليس هذا الحذف لغة لقبيلة الشاعر على نحو رواية أبي عمرو المزعومة. وقول الدكتور عبد الجواد: «فإذا صحَت هذه الرواية وصحَت رواية أبي عمرو» يشعر أنه في حيرة مما أثبت، ذلك ان «المنا» هي «المنايا»، وهل من سبب تقتضيه اللغة او اللهجة في ضم الميم كما تشير الرواية المزعومة، واذا صحّ هذا فلِمَ وردت «المنا» مفتوحة الميم في قول صخر الغي، وهو من شعراء هذيل؟!

---

(1) ديوان الهذليين ٤٦/٣، الأمالي للقالي ٢٢٨/٢، البكري في «التنبيه» ص١٣٠، ابن بليهد النجدي، صحيح الاخبار ٩/٣.
(2) شرح اشعار الهذليين (مخطوط) ص ٨ عن شعراء هذيل لعبد الجواد الطيب.
(3) ديوان الهذليين ٥١/٢.
(4) ديوان الهذليين ١٢٤/١.
(5) من الشواهد النحوية المعروفة، وانظر ديوان لبيد.

ان اجتزاء «المنا» من «المنايا» في شعر آحد الهذليين نظير اجتزاء «المنا» من «المنازل» في شعر لبيد، وليس لبيد هذلياً. إن ذلك مما يعرض للشاعر وهو ممتحن بالوزن والقافية. ان هذا ليس بعيداً من قول العجاج:

أوالفاً مكّة من وُرْق الحمي[1]

وأصل «الحمي» هو «الحمام»، والعجّاج، وإن اضطُر الى هذا بسبب القافية، إلاّ أنه كان يستشعر في نفسه أنه يملك هذا الحق في الذهاب بالكلمة الى غير ما هي عليه، وتلك من سطوة الشاعر، ولم يقل أحد من النقاد الأقدمين أن العجاج التمس وجهاً للكلمة مما هو سائر في لغة قومه على نحو ما يفعل صاحبنا «السيّد» وغيره من المحتفلين بنماذج اللغات الخاصة التي أطلقوا عليها «اللهجات».

لقد فات هؤلاء الدارسين المعاصرين ان الشاعر القديم حُرّ في اختياره للكلم، فهو يأخذ منه مما عرف في هذه القبيلة وفي تلك، ولِمَ لا، فكله عربية فصيحة. ومن هنا يصحّ أن نفسر قول الأخطل:

أبني كليبٍ إن عَمّي اللذا قتلا الملوك وفكّكا الأغلالا[2]

فقد ورد اسم الموصول «اللذا» بحذف النون، وهو كما في كتب النحو من لغة بلحارث بن كعب، وهي من لغات اليمن، وهي لغة بعض ربيعة. ومثل هذا قول الأخطل نفسه:

هم اللّتا لو ولدت تميمُ لقيلَ فخر لهُمُ صميمُ[3]

وليس قول الأخطل هذا ومجيء الموصول فيه محذوف النون لغة تغلب قبيلة الشاعر، ولكنه قال بها لانها عربية صميمة[4]. وهذا يدفع الى القول: ان الشاعر الهذلي في «أشعار الهذليين» و«ديوان الهذليين» تحزبه لغة القبيلة، بل إنه كغيره من شعراء القبائل الأخرى ينظم في العربية التي تسعفه. ثم ان الذي جمع أشعار هذيل من مؤرخي الأدب القديم لم يكن اساساً في عمله أن أشعارهم اشتملت

(١) ديوان العجاج ص ٢٩٥.

(٢) كتاب «ليس في كلام العرب» ص ٣٣٦.

(٣) الخزانة ٥٠٣/٢.

(٤) وقد ذهب البصريون في هذه الأبيات ونظائرها الى الضرورة، معلّلين الحذف بقولهم: خفّف الموصول لاستطالته بالصلة (المصدر السابق ٢٩٩/٢).

وذهب الكوفيون الى ان الحذف لغة، طالت الصلة أم لم تطل، حكاه عنهم ابن الشجري في «أماليه». انظر المصدر السابق.

على ما عرف من «لغتهم»، بل إنه عمد الى صنعته بسبب ان هذيلاً من القبائل التي كثر فيهم الشعراء.

ولم يكن حذف نون الموصول في المثنى والجمع، ولا حذف الياء من «الذي» لغة بني الحارث بن كعب وبعض ربيعة كما ورد في كتاب الخزانة، فقد عرف ذلك لدى الهذليين كما ورد في شعر أحدهم:

فكنتَ والأمر الذي قد كيدا كاللّذْ تَزَبّى زبيةً فاصطيدا[1]

قال الكسائي: سمعت هذيلاً تقول: هم اللاؤو فعلوا كذا»[2] على أننا نجد الهذليّ يقول «هُمُ اللاؤون فكّوا الغِلّ عنّي»[3].

وهذا يدعم قولنا أن الشاعر يجد فسحةً في العربية فيما وافق لغته وفيما لم يوافقها، وأن لغته قد تكون لغة غيره من قبائل أخرى كما رأينا في حذف النون من الموصول الذي عرف في لغة أهل اليمن، وهم بنو الحارث بن كعب وبعض ربيعة، وهو شيء عرفه الهذليّون.

وقد رأينا الاخطل التغلبي قد استعمل هذه اللغة، وكأنه في استعماله ذهب الى أنها عربية فاشية لدى قبائل عدة، ويعضد هذا قول أمية بن الأسكر الكنانيّ:

قومي اللذو بعكاظٍ طيّروا شرراً من روس قومك ضرباً بالمصاقيل[4]

قلتُ: ان الشاعر يفيد من سعة العربية وسماحتها، فهذا الأعشى يقول:

«وما قصدت من أهلها لسوائكا»

قال سيبويه: معنى «سواء» معنى غير[5] وليس لي أن أذهب الى الضرورة التي قال بها سيبويه.

ولنعد الى الدكتور عبد الجواد الطيب فنقول: كان عليه أن يفيد مما أثبته هو، وذلك في ورود «المناء» مفتوحة الميم (وهي المنايا في الأصل) في شعر صخر الغي[6] لا مضمومتها منسوبة الى هذيل بحسب رواية أبي عمرو «المزعومة». ولو أن صاحبنا عبد الجواد قد نظر الى هذا بعين الباحث الجاد غير مدفوع بتصنيف

---

(١) الخزانة ٤٩٨/٣، ولسان العرب ٣٤٢/١٠، وأمالي ابن الشجري ٣٠٥/٢.
(٢) أمالي ابن الشجري ٣٠٨/٢.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الخزانة ٥٠٣/٢.
(٥) الكتاب ٣٢/١.
(٦) ديوان الهذليين ٥١/٢.

١٥٥

«كتابه» لأدرك أن هذه الخصوصيات عناصر لغوية لا تختص بها قبيلة هذيل وحدها، وأنها لا يمكن أن تؤلف عنصراً يعتمد عليه في درس جادّ.

ومن هذا ذهاب عبد الجواد الطيب الى ان «نجد» بضمتين بمعنى «نجد» بفتح فسكون، من لغة هذيل لورودها في شعر أبي ذؤيب[1] ،وفي شعر غاسل بن غزيّة الجربي الهذلي[2] .وهي ليست مما تختص به هذيل، خلافاً لما ورد في «معجم البلدان» ومصدر آخر[3] .

وقد ذهبوا الى ان «العصر» بضمتين لغة في «العصر»[4] ، وقد نسبوا الأولى الى أهل الحجاز[5] .ان هذا كله لا يعيننا على نسبة هذه المواد اللغوية الى هذيل وحدها[6] .

والكلام على «النجد» بضمتين، يدخلنا في مسألة الجمع والإفراد، ذلك ان «نجد» بضمتين قد تكون جمعاً لـ«نجد» بفتح وسكون.

وكأن الدكتور عبد الجواد الطيب قد انتبه لهذه المسألة فذهب يتعقّبها في القراءات فوجد ضالته في «الرعب» بضمتين في قراءة الكسائي ويعقوب في قوله تعالى: «سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب»[7] . ثم وجد هذه الكلمة بضمتين في شعر أبي العيال الهذلي[8] ، وكأنه اهتدى الى ضالته. ولكنه لم ينته الى هذا الاطمئنان في كلمة «نكر» بضمتين التي قرأ بها ابو بكر ويعقوب الكوفيان في قوله تعالى: «لقد جئت شيئاً نكراً»[9] . وقد قرئ قوله تعالى: «وقولوا للناس حسنا»[10] بضمتين، وقد قالوا: انها لغة أهل الحجاز[11].

واذا ورد في شعر كبير الهذلي «سُهُد» بضمتين[12]، و«حُبُك» للثياب

---

(١) المصدر السابق ١٢٤/١.

(٢) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٨٠٦/٢، تاج العروس (فرط).

(٣) معجم البلدان ٢٥٢/٨، ديوان الهذليين ١٢٤/١.

(٤) العكبري: التبيان ٩٧/٢.

(٥) الخزانة (السلفية) ٦٧/١، ابو شامة: ابراز المعاني ص ٢٣٧.

(٦) وردت «العُصُر» بضمتين في قول امرئ القيس:

«وهل يَعِمَن مَن كان في «العُصُر» الخالي»

(٧) ١٥١ سورة الانفال.

(٨) ديوان الهذليين ٢٥٠/٢.

(٩) ٧٤ سورة الكهف.

(١٠) ٨٣ سورة البقرة.

(١١) تفسير البيضاوي ١٦٧/١.

(١٢) ديوان الهذليين ٩٠/٢.

المحبوكة، و«ضُرُب» أي كثيرو الضرب في شعر ابي العيال الهذلي[1] ، فليس لنا أن نقول كما قال صاحبنا عبد الجواد بهذلية هذه الألفاظ وغيرها[2] .

وقد وجد صاحبنا في قراءة عبدالله بن مسعود مادة لغوية ينسبها الى هذيل، وكأن ابن مسعود أوعب لغة هذيل في قراءته، فاذا وجده يقرأ «فلارفث» [3] بضمتين أو وجده يقرأ ايضاً «انها ترمي بشرر كالقصر»[4] بضمتين، ذهب الى نسبة هذه الى هذيل. وتعقب حكاية الضمتين في ألفاظ أخرى، وقال انها قراءة أغلب الكوفيين وهي «في عمد ممدّدة» [5] و«يمسسكم قرح» [6] بضم القاف.

وذهب الى مسألة الكسر والفتح في الكلم الثلاثي وزعم ان هذيلاً تؤثر الكسر، وأهل الحجاز يؤثرون الفتح كما في «حقو» [7] . وكأن المسألة مسألة «إيثار» واستحسان. ووجد نفسه في حيرة وذلك لأن هذيلاً من قبائل الحجاز فكيف يكون هذا؟ وقد وجد ان بطوناً من هذيل توافق طريقة أهل الحجاز ففكّر وقدّر فاهتدى الى ان الهذليين الذين وافقوا أهل الحجاز هم أكثر بطون هذيل قرباً من قريش. وقال ايضاً: «وهذا مما يجعل هذيلاً حلقة وسطى بين أهل المدر من الحجازيين، وبين البدو الموغلين في البداوة من الأعراب الضاربين بجرانهم في وسط الجزيرة العربية»[8] .

على اننا نجد ألفاظاً ثلاثية وردت بكسر الفاء وهي لغة هذيل ومنها «المرء» كما في شعر ابي خراش الهذلي، وقد جاء في «اللسان»: أنها هذلية[9] .

أقول: وجملة هذه الألفاظ الثلاثية التي جاءت بكسر الفاء في لغة هذيل تؤلف خصوصية لغوية، وهي وغيرها لا تمكّن الدارس من تصنيف شيء على نحو ما صنع عبد الجواد السيد.

ومن هذه الخصوصيات كسر حرف المضارعة في نحو «تعلم». وهذيل على هذه اللغة وهي تشارك في هذا قيساً وتميماً وأسداً وربيعة. أما أكثر أهل الحجاز

---

(١) تاج العروس (ضرب).

(٢) عبد الجواد الطيب: لغة هذيل ص ٣٣.

(٣) ١٩٧ سورة البقرة.

(٤) ٢٠ سورة المرسلات.

(٥) ٩ سورة الهمزة.

(٦) ١٤٠ سورة آل عمران.

(٧) تاج العروس (حقو).

(٨) لغة هذيل ص ٣٥.

(٩) لسان العرب (مرء).

وقوم من أعجاز هوازن، وازد السراة وبعض هذيل فيقولون «تعلم» بالفتح، والقرآن عليها[1].

وكأن صاحبنا عبد الجواد وقع في حيرة حين رأى أن من يكسر حرف المضارعة جمهرة من القبائل ما خلا هذيلاً، وهذيل نفسها فيها مَن وافق لغة الحجاز وغيرهم في التزام الفتح. ولم ينجه من هذه الحيرة إلاّ تأويله وفزعه الى البداوة والحضارة، والى مثل هذا ذهب أخ له من قبل هو علم الدين في كتابه «التراث في اللهجات».

وكأن صاحب اللسان قد خصّ ما يكسر فيه حرف المضارعة هو المضارع الذي ثاني ماضيه مكسور كـ«عَلِم». على ان الاستقراء لا يؤيد هذا الحصر. ذلك ان من قرأ: «ولا تقربا هذه الشجرة»[2] كان بلغة هذيل. وكذلك جمهرة من أفعال أخرى وردت في آيات عدة قرأها ابن مسعود بكسر التاء.

ويبدو أن كسر حرف المضارعة خاص بالتاء أكثر من سائر أحرف المضارعة، وهي لغة فاشية في هذيل وغيرها كما أشرنا آنفاً.

وقد جعل مصنف «لغة هذيل» كسر حرف المضارعة لغة هذلية مع أنها فاشية في قيس وتميم وأسد وربيعة معتمداً على قراءة عبدالله بن مسعود، وهو هذلي، مع أن طائفة من هذيل كانت على خلاف ذلك تفتح حرف المضارعة كسائر الجماعات الحجازية.

وقد أغضى عن جملة قراءات كسر فيها حرف المضارعة وأصحابها ليسوا من هذيل، بل إن عامتهم من الموالي كقراءة الأعمش في قوله تعالى «ولا تعثوا في الارض مفسدين»[3] بكسر التاء[4] «وقراءة يحيى بن وثاب: «ألم إعهد اليكم»[5] بكسر الهمزة[6]. وقراءته «إياك نعبد»[7] بكسر النون[8] وغير هذا.

وهكذا استمر المصنف في الكلام على أصوات اللين في الفصل الاول من الباب الاول من «كتابه». ثم تكلّم على الهمز في الفصل الثاني وميل هذيل الى تخفيف الهمز، وليس هذا خاصاً بهذيل.

---

(١) المصدر السابق (علم).

(٢) ٣٥ سورة البقرة.

(٣) ٦٠ سورة البقرة.

(٤) البحر المحيط ٣٢٩/٤.

(٥) ٦٠ سورة يس.

(٦) مختصر البديع ص ١٢٥.

(٧) ٥ سورة الفاتحة.

(٨) البحر المحيط ٢٣ سورة الفاتحة.

أقول: وينتهي الباب الأول في فصوله الأربعة التي اختصّت بالظواهر الصوتية، ثم تأتي ثلاثة فصول هي الباب الثاني في الجنس والعدد ومواد تتصل بالاشتقاق، ثم ثلاثة فصول أخرى في النحو، ثم الباب الرابع في الدلالة.

ان مادة الكتاب في مجموعه اعتمدت على شعر الهذليين، والذي نجده في الشعر مما جعله المؤلف من خصوصيات لغة هذيل نجده لدى الشعراء الآخرين غير الهذليين. والشاعر يتصرّف في الأبنية مدفوعاً بلغة الشعر التي قوامها الوزن والقافية.

وقد جاء في آخر الكتاب طائفة من الألفاظ أشار المؤلف أنها هذلية، ولم يشر الى مصادره. وقد نصّ على شيءٍ منها في كتب اللغة ومعجماتها على أنه من لغة هذيل، في حين لم يرد في كثير منها أنه من هذه اللغة في «المعجمات». وكأن المؤلف اعتمد «أشعار الهذليين» مصدراً في هذا الباب.

لم أجد في «الأرجاء» في كتب اللغة أنها هذلية، ولا «الأبّ» بمعنى الكلأ، ولا «الأعراض» ولا «الأمد» ولا «التمام» ولا الكثير مما اشتملت عليه مجموعة المؤلف.

ومن الطريف ان الفعل «أفلط» نُسب الى تميم، وقال الجوهري: انها تميمية قبيحة[1]، فكيف تكون «هذلية» اذا استعملها شاعر هذلي هو ساعدة بن جؤيّة؟

ان هذا ليشير الى أن الشاعر يملك سعة في القول، وانه إن كان من قبيلة معينة فلا يعني بالضرورة أن لغته في شعره كلها لغة قبيلته. وقد رأينا هذا واضحاً في كثير من شعراء القبائل عامة.

(١) الصحاح (فلط).

لغة هذيــل في لسان العرب*

المسائل اللغوية:

ـ قال أبو عمر الهذلي: قد توضّيت، فلم يهمز وحولها ياء[1] . ولغة هذيل تجري مع الحجاز في عدم النبر.

٢ـ كسر حرف المضارعة ليُعلم ان ثاني الفعل الماضي مكسور كما ذهب إليه سيبويه، قال: وهي لغة هذيل، وفيه قول الراجز:

«كـان لنـا وهو فُلُوٌّ نِرْبَبُهْ»[2]

٣ـ عن نصر بن سيّار قال: أرحَبُكم الدخول في طاعة ابن الكرماني أي أوسعكم، فعدّى «فَعُلَ»، وليست هي متعدية عند النحويين، إلا أن أبا علي الفارسيّ حكى أن هذيلاً تعدّيها اذا كانت قابلة للتعديّ بمعناها، كقوله:

«ولم تبصر العين فيها كلابا»[3]

أقول: وقول أبي علي الفارسي يدخل في باب «التضمين».

٤ـ وهذيل تقول في «حتّى» «عتّى» بإبدال الحاء عيناً[4] وجاء انها هذلية وثقفية[5] .

وقرأ ابن مسعود: «ليُسْجَنُنَّه عتّى حين»[6] ، قال ابن مالك: فكتب إليه عمر: ان الله أنزَلَ هذا القرآن عربياً وأنزله بلغة قريش، فلا نقرؤهم بلغة هذيل[7] .

أقول: ان هذا الخبر يناقض ما جاء في الأثر من قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ

---

(١) لسان العرب ١/٢٢.

(٢) المصدر السابق (ربب).

(٣) المصدر السابق (رحب).

(٤) المصدر السابق (حتت).

(٥) المصدر السابق.

(٦) ٣٥ سورة يوسف.

(٧) البحر المحيط ٥/٣٠٧، وهمع الهوامع ٢/٢٣.

«انزل القرآن على سبعة أحرف...» وما ورد في قول اللغويين من اللغات في القرآن وقد كنا ذكرنا ذلك غير مرة.

والخبر يقلل من قيمة قراءة ابن مسعود، وقد نُعتت قراءته بالحسن في الأثر، قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: من سَرَّه ان يقرأ القرآن رطباً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم معبد»[1] .

ان قراءة ابن مسعود «عتّى» والأصل «حتّى» وإن كانت واردة في مصادر عدة من كتب اللغة والقراءات، إلا أنها لا تتجاوز هذه الكلمة، وليس لنا أن نعدّها ظاهرة بارزة في لغة هذيل. ولعلّي أذهب الى ان الإبدال بين الحاء والعين هو متبادل، فقد روي ان ابن مسعود قرأ:

«قالوا نَحَم»[2] والأصل «نَعَم» حرف جواب[3] .

وقرأ: «أفلا يَعلَمُ اذا «بُحثِر» من في القبور»[4] .

وعرض «أرثر جفري» لمسألة إبدال الحاء عيناً فقال: وقلب الحاء عيناً المنسوب الى هذيل لم يوجد فقط في مصحف ابن مسعود، بل وجد في مصاحف أخرى منها مصحف الربيع بن خيثم[5] .

٥ـ قال الأصمعي: أخبرني عيسى بن عمر أنه سمع هذيلاً تقول: أرابتي أمره[6] . وهو ثلاثي.

المواد اللغوية:

١ـ «التابُّ» هو الضعيف، والجمع أتباب، هذلية نادرة[7] .

٢ـ «الثَّلْب» هو الشيخ، هذلية[8] .

٣ـ «الأزْيَب»: الجَنوب، هذلية، أو هي النكباء التي تجري بين الصبا والجنوب[9] .

٤ـ «المعصوب»: الجائع الذي كادت أمعاؤه تيبس جوعاً. وخصَّ الجوهريّ هذيلاً بهذه اللغة[10].

---

(١) المصاحف للسجستاني ص ١٣٧، ومقدمتان في علوم القرآن (مقدمة المباني) ص ٣٥.

(٢) ٤٤ سورة الأعراف.

(٣) مغني اللبيب ٢٥/٢، وهمع الهوامع ٧٦/٢.

(٤) ٩ سورة العاديات وانظر: تاريخ المصاحف. P.11

(٥) المصدر السابق p. 291

(٦) اللسان (ريب)

(٧) المصدر السابق (ثبب)

(٨) المصدر السابق (ثلب)

(٩) المصدر السابق (زيب)

(١٠) المصدر السابق (عصب)

٥ـ و«أنبوبُ» الجبل: طريقة فيه، هذلية، قال مالك بن خالد الخناعيّ:

«في رأس شاهقةٍ أنبوبها خَصِرُ»(١)

٦ـ «اللّيث» في لغة هذيل اللّسِن الجَدِل (٢) .

٧ـ «السميج»: الذي لا ملاحة له، هذلية، قال:

فإنْ تَصرِمي حَبْلي وإنْ تَتبدّلي   خليلاً ومنهم صالح وسَميجُ (٣)

٨ـ «الشّبَج»: الباب العالي، هذلية، قال خِراش:

ولا والله لا يُنجيكَ درعٌ   مُظاهَرةٌ ولا شَبَجٌ وشِيدُ (٤)

٩ـ «العَنَج» بلغة هذيل الرجل، وقيل: بالغين، قال الأزهري: ولم أسمعه بالعين من أحد يُرجَع الى علمه. الغَنَج: الرجل بلغة هذيل.

وقال الليث وابن دريد: تقول هذيل «غَنَج على شَنَج» أي رجل على جَمَل(٥) .

١٠ـ قال بعضهم «اللجّ» السيف بلغة هذيل وطوائف من اليمن(٦) .

١١ـ «السِرحان»: الأسد بلغة هذيل(٧) .

١٢ـ «الصريح»: الخالص، قال الهذلي:

وكرّمَ ماءً «صريحا»، أي خالصاً(٨) .

١٣ـ قال خالد بن كلثوم: «ضَحضاح» في لغة هذيل كثير، لا يعرفها غيرهم، قال أبو ذؤيب:

يحُشّ رَغْداً كهَدْر الفحل يتبعه   أُدْمٌ تَعَطّفُ حولَ الفحل «ضَحضاحُ»(٩)

١٤ـ «المِلاح»: المِخلاة، بلغة هذيل(١٠)

---

(١) المصدر السابق (نبب)
(٢) المصدر السابق (ليث)
(٣) المصدر السابق (سمج)
(٤) المصدر السابق (شبج)
(٥) المصدر السابق (عنج)
(٦) المصدر السابق (لجج)
(٧) المصدر السابق (سرح)
(٨) المصدر السابق (صرح)
(٩) المصدر السابق (ضحضح)
(١٠) المصدر السابق (ملح)

١٥ـ ووصف بـه «الجديد» لغة هذلية، قال أبو ذؤيب:

فقلتُ لقلبي يا لكَ الخيرَ إنما يُدَلِّيكَ للموت «الجديد» حبابُها[(١)]

١٦ـ و«المُنجرِد» بلغة هذيل هو المنفرد، قال أبو ذؤيب:

«كأنه كوكبٌ في الجوّ «منحردُ»[(٢)]

١٧ـ وفي شعر هذيل: «رادُهم» أي رائدهم، ونحو هذا كثير في لغتها[(٣)].

١٨ـ «السَّبَنْدَى»: الجريء من كل شيء، هذلية، قال الزفَيان:

قَرْمٌ جَوادٌ من بني الجُلَنْدَى يمشي الى الأقران «كالسَّبَنْدَى»[(٤)]

١٩ـ و«السِّيد»: الاسد في لغة هذيل، قال الشاعر:

«كالسِّيد ذي اللِّبْدَة المستأسِد الضاري»[(٥)]

٢٠ـ و«لَدَّه» عن الامر لَدّاً: حَبَسَه، هذلية[(٦)].

٢١ـ و«نُجُد»، قال الأخفش: لغة هذيل خاصة يريد نَجْداً[(٧)].

٢٢ـ «إذاً»: لغة هذيل، وغيرهم يقول: إذ، قال أبو ذؤيب:

تَواعَدْنا الرُّبَيْقَ لَنَنْزِلَنْه ولم تشعر «اذاً» إنيّ خليفُ[(٨)]

٢٣ـ و«ذَبَرَ» بمعنى كَتَبَ، قال أبو ذؤيب:

عرفتُ الديارَ كرَقْم الدَّوا ةِ «يذبرُها» الكاتبُ الحميَريّ[(٩)]

٢٤ـ قال يونس: «السِّنِمّار» من الرجال: الذي لا ينام بالليل، وهو اللص في كلام هذيل[(١٠)].

---

(١) المصدر السابق (جدد)

(٢) المصدر السابق (حرد)

(٣) المصدر السابق (رود) وانظر: المخصص ١٥٠/١٣ ومثل هذا لاث ولاثٍ وانظر شرح الشافية ٣٦٩/٤

(٤) اللسان (سبند)

(٥) المصدر السابق (سيد)

(٦) المصدر السابق (لدد)

(٧) المصدر السابق (نجد)

(٨) المصدر السابق (أذا)

(٩) المصدر السابق (ذبر)

(١٠) المصدر السابق (سنمر) وانظر «مجمع الأمثال» ١٥٦/١ (جزاء سِنِمّار)

٢٥ـ وقالوا: «عبّرَ» بفلان هذا الأمر، أي اشتدّ، قال الهذلي:

ما أنا والسيرُ في متلَفٍ «يُعَبِّر» بالذَّكَرِ الضابطِ[١]

٢٦ـ وهَجَرَ الشيء و«أهجَرَه»: تركه، الأخيرة هذلية، قال أسامة:

كأني أصاديها على غير مانعٍ مُقَلَّصةً قد «أهجَرَتْها» فُحولُها[٢]

٢٧ـ ورجل «مُتَغَطْرِس»: بخيل في كلام هذيل[٣].

٢٨ – و«الجَحْش»: ولد الظبية، هذلية، قال ابو ذؤيب:

بأسفلِ ذات الدَّيْر أُفرِدَ «جَحْشها» فقد وَلِهَتْ يومَيْن فهي خَلوجُ[٤]

٢٩ـ و«المُشيح» في لغة هذيل المُجدُّ، وأنشد الهذليّ:

كما دَبَّتْ عذراءُ غير «مُشيحةٍ»[٥]

٣٠ـ «الحمَاطة» بلغة هذيل: شجر عظام تنبت في بلادهم، تألفها الحيّات، قال:

كأمثال العِصيِّ من «الحَماط»[٦]

٣١ـ «الفِلاط» لغة هذيل، لقيته «فَلْطا وفِلاطاً» أي فَجْأة، قال المتنخِّل الهذليّ:

به أحمي المُضافَ اذا دعاني ونفسي ساعةَ الفَزَع الفِلاطِ[٧]

٣٢ـ و«الواسط»: الباب، هذلية[٨].

٣٣ـ قال ابن جني: ورجعتُه أرجِعُه رَجْعاً ومَرْجِعاً ومَرْجَعاً، و«أرجَعْتُه» في لغة هذيل[٩].

٣٤ـ و«السنائع» في لغة هذيل: الطُرُق في الجبال، واحدتها: «سنيعة»[١٠].

---

(١) المصدر السابق (عبر)
(٢) المصدر السابق (هجر)
(٣) المصدر السابق (غطرس)
(٤) المصدر السابق (جحش)
(٥) المصدر السابق (شيح)
(٦) المصدر السابق (حمط)
(٧) المصدر السابق (فلط)
(٨) المصدر السابق (وسط)
(٩) المصدر السابق (رجع)
(١٠) المصدر السابق (سنع)

٣٥ـ و«القَعْفانيَ»: الجازر، هذلية، قال صخر الغَيِّ:

فنادَى أخاه ثم قامَ بشَفْرةٍ إليه فَعالَ «القَعْفَيّ» المُناهِبِ[(١)]

وفي «معجم مقاييس اللغة»[(٢)] : «الفَغْفغانيّ» بالمعجمة، لغة لهذيل بمعنى القصّاب.

٣٦ـ و«النُعامَى»: الريح الجَنوب بلغة هذيل، وهي «الأزْيَب»، وقد مرّت، وبعضهم يُسمّيها «مِسْماً»[(٣)] .

٣٧ـ وهذيل يقولون: هو أخوه «صَوغُه»، أي قدره، والكثير بالسين[(٤)] .

وروى الفرّاء: ان بني سليم وهوازن وأهل العالية وهذيل يقولون: هو أخوه «صَوغُه»[(٥)] .

أقول: وليس لي أن اقول: ان هذه القبائل حضرية كما زعم علم الدين الجندي[(٦)] . ولا أدّعي أني مع الدكتور ابراهيم أنيس الذي ذهب الى ان الصاد لا يمكن أن تكون لغة قريش في «الصراط» لأن بيئة قريش حضرية تخلصت من أصوات الإطباق[(٧)] .

وكأن أصحابنا هؤلاء يعيشون في «المعمل اللغوي» لا يبارحونه الى الواقع الذي يعيش فيه المعربون.

٣٨ـ و«المِنْسَفَة»: الغربال، وكلام «نسيف»: خفيّ، هذلية، قال ابو ذؤيب:

فـألقَى القومَ قد شربوا فضمّوا أمـام القـوم منطقُهم «نسيفُ»[(٨)]

٣٩ـ و«أطرِقا»: موضع، قال أبو ذؤيب:

على «أطرِقـا» بـاليات الخيـا م إلاّ الثُمـامُ وإلاّ العِصِـيّ

قال سيبويه: أصله «أطرقاء» جمع طريق بلغة هذيل، ثم قَصَرَ الممدود، واستدلّ بقول الآخر «تيمّمتُ «أطرقةً» أو خليفا»[(٩)]

---

(١) المصدر السابق (قعفع)

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤٤١/٤، وهي في كتاب العين (بالمهملة) وكذلك في «الجمهرة» ١٥٩/١

(٣) لسان العرب (نعم)

(٤) المصدر السابق (صوغ)

(٥) المصدر السابق

(٦) التراث في اللهجات ص ٣٤٦

(٧) في اللهجات العربية ص ٩٧

(٨) لسان العرب (نسف)

(٩) المصدر السابق (طرق)

٤٠ـ وفي لغات هذيل: «أعثقت الأرضُ» اذا أخصبتْ[١].
٤١ـ ورجل «عُوَقٌ» أي جبان، هذلية[٢].
٤٢ـ و«سَخَلْتُ» الرجل، اذا عبته وضعّفته، وهي لغة هذيل[٣].
٤٣ـ وقال:

كأنّ زمامَها أيمٌ شجاعٌ   ترأّدَ في غصونٍ «مُعْضَئِلّهْ»

همز على قولهم: دأبّة، وهي هذلية شاذة[٤].

٤٤ـ «القُمْعُل» و«القُلْعُم»: القَدَح الضخم بلغة هذيل، وقال راجزهم ينعت حافر الفرس:

يَلْتَهِمُ الأرضَ بوأْبٍ حَوْأَبِ   «كالقُمْعُل» المُنكَبِّ فوق الأثْأَبِ[٥]

٤٥ـ «المَنْكَلُ»: اسم الصخر، هذلية، قال:

فارْمِ على أقفائهم بمنْكلِ   بصَخْرةٍ أو عَرْضِ جيشٍ جَحْفَلِ[٦]

٤٦ـ وكتاب «مُنْمَل»: مكتوب، هذليّة، قال ابن سيده: وكتاب «مُنْمَل» متقارب الخط.

قال أبو العيال الهذليّ:

والمرء عَمْراً فَأتِهِ بنصيحةٍ   منّي يلوح بها كتاب مُنْمَلُ[٧]

٤٧ـ قال الهذليّ: «الوَذيلة»: المرأة في لغتنا[٨].
٤٨ـ و«الخَزومة»: البقرة بلغة هذيل، قال ابو درّة الهذليّ:

إنْ يَنْتَسِبْ يَنْسُب الى عِرقٍ وَرِبْ   أهلِ «خَزوماتٍ» وشَحّاجٍ صَخِبْ[٩]

٤٩ـ قال الجوهريّ: «الصَّوْم»: شجر في لغة هذيل، قال ابن برّي (قول ساعدة بن جؤيّة):

---

(١) المصدر السابق (عثق)
(٢) المصدر السابق (عوق)
(٣) المصدر السابق (سخل)
(٤) المصدر السابق (عضل)
(٥) المصدر السابق (قمعل)
(٦) المصدر السابق (نكل)
(٧) المصدر السابق (نمل)
(٨) المصدر السابق (وذل)
(٩) المصدر السابق (خزم)

١٦٦

مُوَكَّلٌ بشُدُوفِ «الصَّوْمِ» يُبصِرهـا — من المعَازبِ مخطوف الحَشَا زَرِمُ(١)

٥٠ـ «العَزْم»: الصبر بلغة هذيل، يقولون: مالي عنك عَزْمٌ، اي صبر(٢) .

٥١ـ و«المُفْرَم»: المملوء بالماء وغيره، هذلية، قال البُرَيق الهذليّ:

وحَيٍّ حِلالٍ لهمْ سامرٌ — شَهِدتُ وشِعْبُهُمُ «مُفْرَمُ»(٣)

٥٢ـ و«الجَرين»: الطَّحْن بلغة هذيل، وقال شاعرهم:

ولسَوْطِه زَجَلٌ اذا آنَسْتَه — جَرْ الرَّحَى بجرينها المطحونِ(٤)

٥٣ـ يقال: «شَتَنَ الشاتِنُ» ثوبَه، أي نسَجَه، وهي هذلية، وأنشد:

نَسَجَتْ بها الزُوَعُ «الشَتونُ» سبائباً — لم يطوِها كَفُّ البِيَنْطِ المُجْفَلِ(٥)

٥٤ـ وربّما قالوا للمتزيّن باللباس من الرجال «قينة»، قالوا: وهي كلمة هذلية(٦) .

٥٥ـ وقرئ: «يومَ يأتِ»(٧) بحذف الياء، كما قالوا: لا أدرِ، وهي لغة هذيل(٨) . وهذا غير قول قيس بن زهير العبسي:

ألم يأتيك والأنباء تَنمي — بما لاقت لَبونُ بني زيادِ(٩)

فأثبت الياء ولم يحذفها للجزم ضرورة.

٥٦ـ و«صَلَوتُ» الظهرَ: ضربت «صَلاه»، أو أصبته بشيء سَهم أغيره، عن الحياني: هي هذلية(١٠).

---

(١) المصدر السابق (صوم)
(٢) المصدر السابق (عزم)
(٣) المصدر السابق (فرم)
(٤) المصدر السابق (جرن)
(٥) المصدر السابق (شتن)
(٦) المصدر السابق (قين)
(٧) ١٠٥ سورة هود
(٨) لسان العرب (أتى)
(٩) من شواهد سيبويه، وفي سائر الكتب النحوية. وفي «الجمهرة» ١٧٠/١ عزا الفعل «أتا يأتو» في قول خالد بن زهير وهو:

يا قومِ مالي وأبا ذؤيبِ — كنت اذا أتوتهُ من عيبِ

لى هذيل. وانظر: ديوان الهذليين ١١٥/١
(١٠) لسان العرب (صلا)

٥٧ـ «الطَغْية»: المستصعَب العالي من الجبل، وقيل: أعلى الجبل، قال ساعدة:

صَبّ اللهيفُ لها السُبوبَ بطَغْيةٍ تُنبئ العِقابَ كما يَلَطُّ المجنَبُ(١) .

٥٨ـ و«العَديُ»: أوّل ما يدفَع من الغارة، وهو منه، قال مالك بن خالد الخناعي الهذليّ:

لمّا رأيتُ عَديَّ القوم يسلبُهُم طَلْحُ الشواجنِ والطرْفاءُ والسَّلَمُ(٢) .

٥٩ـ ذكر الأزهري ان «العَوّاء» هو النابُ من

الإِبل، ممدودة، وقيل: هي في لغة هذيل الناب الكبيرة التي لا سنامَ لها، وأنشد:

وكانوا السنامَ اجتُثَّ أمسِ فقومُهم «كعَوّاء» بعد النِّيّ غابَ ربيعُها(٣)

٦٠ـ جاء في «التهذيب»: و«الفَنْوَة»: المرأة الغربية، وفي ترجمة (قنو) قال قيس بن العيزار الهذليّ:

بما هو «مقناة» أنيق نَباتُها مِرَبٌّ فتَهْواها المخاض النوازعُ

أي موافقه لكل من نزلها.
قال الأصمعي: ولغة هذيل «مَفناة» بالفاء(٤) .
٦١ـ و«الهَويّ»: المَهْويّ، قال أبو ذؤيب:

فهُنّ عكوف كنَوح الكريـ ـم قد شفَّ أكبادَهُنّ الهَويّ(٥)

٦٢ـ وأنشد الباهليّ وغيره للمتنخّل الهذليّ:

لا تَقِهِ الموتَ «وَقيَاتُه» خُطَّ له ذلك في المَهبِلِ

«وَقيَاته» ما تَوَقّى منْ ماله(٦) .

---

(١) المصدر السابق (طغى)
(٢) المصدر السابق (عدا)
(٣) المصدر السابق (عوى)
(٤) المصدر السابق (فنا). وانظر: «اصلاح المنطق» ١١٦/١ والمقناة فيه: المكان لا تطلع عليه الشمس
(٥) المصدر السابق (هوى)
(٦) المصدر السابق (وقى)

٦٣ـ وقد جاء «أواتئذ» في كلام هذيل، قال:

دَلَفتُ لها «أوانَئِذٍ» بسَهْمٍ   نَحيضٍ لم تُخَوِّنه الشُروجُ[1]

٦٤ـ وقال أبو خراش:

جمعت أموراً يُنفِذُ «المِرْءَ» بعضُها   من الحلم والمعروف والحَسَب الضَّخْمِ

هكذا رواه السُكريّ بكسر الميم وزعم انها لغة هذلية[2]

فاتني أن أذكر أن بعضهم قرأ: «لتَخِذت عليه أجراً»[3]. قال أبو عبيد: هي لغة هذيل[4].

كما فاتني أن أشير ان «اللذ» لغة هذلية، وقال الهذلي:

فكنت والأمر الذي قد كيدا   كاللَّذ تَزَبّى زُبيةً فاصطيدا[5]

ومن خصوصيات «هوازن» قولهم: «أسدِفوا» أي أسرِجوا، من السراج، وقالوا: هي «هَوزنية»[6].

لغة هوازن

الذي نعرفه من موطن هوازن ما ورد في «المزهر» وهو: «أفصح الناس سافلة العالية، وعالية السافلة يعني عجز هوازن»[7].

وقد علمنا عن لغة هوازن ما جاء عن أبي عبيد: ان القرآن بعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم. ثم قال: وبعض

---

(١) المصدر السابق (أوان)

(٢) المصدر السابق (مرء)

(٣) ٧٧ سورة يوسف

(٤) ابراز المعاني ص ٣٨٥. ومن هذا قول أبي جندب:

تخِذتُ غرّار إثرَهُمُ دليلاً   وفرّوا في الحجاز ليعجزوني (ديوان الهذليين ٣/٩٠)

وفي شرح السكريّ: غرّان، وادٍ بالحجاز

وأما الآية «لتَخِذت عليه أجراً» فهي قراءة ابن مسعود وابن كثير والحسن (البحر المحيط ٦/١٥٢) وقرأ آخرون بالتشديد.

(٥) لسان العرب ١٠/٣٤٢، وانظر: خزانة الأدب ٣/٤٩٨

(٦) لسان العرب (سدف)

(٧) المزهر ٢/٤٨٣

اللغات أسعد من بعض وأكثر نصيباً(١) .

وكما وصفت لغة هوازن بالفصاحة وصفت بالذم فكانت كَسْكَسَة هوازن من الصفات المذمومة.

قالوا: ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكسكسة هوازن(٢) ...

أقول: لقد أشرت غير مرة ان مصادرنا اللغوية تترك الدارس الحديث في حيرة، ذلك انه لا يطمئن الى ما هو مثبت فيها، ففيها تعارض وتناقض واضطراب.

لقد مر بنا ما ورد في «المزهر» في نعت لغة هوازن بالفصاحة، ونحن نقرأ فيه ايضاً في الموضع نفسه: «أفصح الناس عُليا تميم وسفلى قيس»(٣) .

وكأنني ألمح أن اللغويين قد امتحنوا بلغة قريش وجهدهم في إعلاء شأنها فكان ذلك يدفعهم الى نقض أقوالهم في استحسان لغات القبائل، إذ انهم سرعان ما ينقلبون فيوزعون صفات «اللغات المذمومة» على القبائل ليقولوا ان قريشاً سلمت منها.

قالوا: «وكانت قريش مع فصاحتها... اذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم...

ثم قالوا: ألا ترى انك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم ولا عجرفيّة قيس ولا كشكشة أسد ولا كسكسة ربيعة ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس مثل «تِعلمون» و«نِعلم»(٤) ؟

انك تجد العيب اللغوي في قبيلة، ثم تجده منسوباً الى قبيلة أخرى، فقد رأينا الكسكسة منسوبة الى هوازن، وهي في هذا النص منسوبة الى ربيعة، وكذلك نجد «العجرفية» التي لا نقف على أثرها في النصوص منسوبة الى قيس، ثم نجدها في «المزهر» منسوبة الى ضبّة(٥) .

وكيف نطمئن الى فصاحة هوازن ونحن نجد الكسائي يقول: انه سمع شيخاً من هوازن يقول:

عليهُ مال، بضم الهاء، وكان يقول: عليهُمْ وفيهُم ومنهُم(٦) .

---

(١) لسان العرب ١٠/٣٨٥-٣٨٦، فتح الباري ٩/٢٢، الاتقان ١/٤٨-٤٩، الكلمات الحسان ص ٥٦

(٢) خزانة الأدب ٤/٥٩٥

(٣) المزهر ٢/٤٨٣

(٤) الصاحبي ص ٢٣

(٥) المزهر ١/٢١١

(٦) اللسان ٢/٣٦٨

مع الضاد

كنت أنوي الكتابة في صوت الضاد فأخصّ «مجلة الضاد» بما كنت أنوي إعداده، حين سألني الأخ الفاضل الدكتور أحمد مطلوب ان أشارك مع الذين شاركوا في العدد الأول من «المجلة». ولكني صُرفت عن هذا لحاجات كثيرة لم تتيسّر لدي في صنعاء، وهي بين ما احتفظ به من أوراقي وجزازاتي التي تركتها في بغداد.

أقول: لقد غبر علي زمان طويل أعالج فيه النّحو القديم إفادة وتدريساً وتصنيفاً. وقد بدا لي وأنا في هذا الدأب القديم أن النحو صنعة قديمة لا تخرج كثيراً فيشرق لها وجه تأخذه من سماحة العربية وسعتها، بل انه حبيس قوالب في الأعم الأغلب، وهو مصنوع موضوع. وكأن النحويّ لا يبالي بما هو موضوع، لأن هذا المفتعل المرمَّم البناء يفضي به الى القاعدة، والى ما يفتعله من صنعة[1].

والنحاة في هذا سواء المتقدم منهم واللاحق المتأخر، وان كان هؤلاء المتأخرون قد توسّعوا في الصنعة وأحدثوا فيها ما ينأى عن الفصيح المأنوس.

وكأني مع الإمام ابن حزم الاندلسي في «رسالة مراتب العلوم»[2] التي قال فيها: «واللغة: هي الفاظ يعبّر بها عن المعاني فيقتضي من علم النحو كل ما يتصرف في مخاطبات الناس وكتبهم المؤلفة، ويقتضي من اللغة المستعمل الكثير

---

(١) ولنضرب لذلك مثلاً وهو ما ذهبوا إليه من «التوهم» في بيت زهير، وهو:

بدا ليَ أنّي لستُ مدركَ ما مضى ولا «سابقٍ» شيئاً اذا كان جائيا

وايرادهم هذه الرواية بجر «سابق» على التوهم كما زعموا أي انه توهّم معطوفاً على «مدرك» الذي من حقه الجر بالباء الزائدة.

أقول: ورواية الديوان في صنعة ثعلب وصنعة الأعلم «ولا سابقاً» على الصحيح المأنوس البعيد عن هذا «التوهم» والتصوّر المفتعل، فأين علمهم هذا من السماحة والفصاحة؟ وأمثلة هذا كثيرة جداً.

(٢) رسالة مراتب العلوم في (رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق احسان عباس) ص ٦٦

التصرف. وأقل ما يجزئ من النحو «كتاب الواضح» للزبيدي[1] ، أو ما نحا نحوه «كالموجز» لابن السراج[2] ، وما أشبه هذه الأوضاع الحقيقية. وأما التعمق في علم النحو ففضول لا منفعة بها بل هي مشغلة عن الأوكد، ومقطعَة دون الأوجب والأهم. وإنما هي «تكاذيب» فما وجه الشغل بما هذه صفته؟ وأما الغرض من هذا العلم فهي المخاطبة، وما بالمرء حاجة اليه في قراءة الكتب المجموعة في العلوم فقط. فمن يزيد في هذا العلم الى إحكام كتاب سيبويه فحسن، إلاّ أن الاشتغال بغير هذا أولى وافضل، لأنه لا منفعة للتزيد على المقدار الذي ذكرنا إلاّ لمن أراد أن يجعله معاشاً، فهذا وجه فاضل لأنه باب من العلم على كل حال».

وكأن في عبارة أبي عثمان الجاحظ في هذا الشأن إصابة للغرض دون النيل من النحويين الذين يعاشرهم ويعايشهم، فقد قال في إحدى رسائله: «وعويص النحو لا يجري في المعاملات ولا يُضطر اليه شيء، فمن الرأي ان يعتمد به في حساب «العقد» دون حساب الهند...»[3]

أقول: لقد توسع النحاة في أبوابهم، وقد أهملوا ما كان عليهم أن يباشروا الكلام عليه، وهو درس «أصوات العربية» وعامة النحويين قد خلت مصنفاتهم من هذا الباب إلا ما كان من سيبويه في «الكتاب» اذ عقد باباً في «الادغام»[4] ، تكلم فيه على مخارج الحروف وأحيازها وصفاتها، وفيه تضمين لأقوال الخليل مع إضافات كثيرة خالف فيها سيبويه أستاذه. وما كان من مشاركة أبي الفتح عثمان بن جني في كتابه «سر صناعة الإعراب»[5] . ولا ننسى شرح المفصل لابن يعيش، وفوائد صوتية نقف عليها في تفسير الفخر الرازي.

وعامة النحويين قد استغنوا عن هذا العلم، وكأنه ليس من النحو الذي شغلوا به[6] . والضاد يقتضينا أن نلحق به الظاء لأن كليهما صارا من المواد المشكلة منذ عصور متقدمة، ذلك ان «الضاد» قد ضيّعه المعربون فصار كالظاء سواء

---

(١) هو محمد بن الحسن، نحوي الأندلس، صاحب «الطبقات». انظر: إنباه الرواة ص ٦٢٤، و«بغية الوعاة ٨٤/١»

(٢) هو محمد بن السري البغدادي، أخذ عن المبرد، وتوفى سنة ٣١٦، وهو صاحب «الأصول» وغيره. انظر تاريخ بغداد ٢٩٣/٥، ومعجم الأدباء ٩/٧، وسائر كتب طبقات النحويين.

(٣) رسائل الجاحظ (ط. الخانجي) ٣٨/٣

(٤) الكتاب ٤٣١/٤

سر صناعة الاعراب (ط. دار القلم بدمشق)

جاء في معجم الأدباء ١٩٥/٥: «حضر مجلس الكسائي أعرابي، وهم يتحاورون في النحو فأعجبه ذلك، ثم تناظروا في التصريف فلم يهتد الى ما يقولون ففارقهم وأنشأ يقول: =

بسواء. إن الضّاد من الحروف المجهورة، وهي تسعة عشر حرفاً، والجيم والشين والضاد في حيز واحدة. وهذه الحروف الثلاثة هي الحروف الشجرية[1].

وأما «الظاء» فقد روى الليث أن الخليل قال: الظاء حرف عربيّ خُصّ به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم، وهو من الحروف المجهورة. والظاء والذال والثاء في حيِّز واحد، وهي الحروف اللثوية لان مبدأها من اللِّثة. والظاء حرف هجاء يكون اصلاً لا بدلاً ولا زائداً[2].

وقد شغل الأقدمون بالضاد فوصفه سيبويه في «الكتاب» وصفاً كان مادة من خلفوه، كما شغل به المعاصرون ولا سيما المستشرقين الذين نظروا الى الضاد العربية التي لا نظير لها في اللغات السامية الأخرى عدا ما كان منها في النقوش في بلاد اليمن، وأثر قليل في بعض اللغات الأثيوبية وهي «الجعزية». وكأن هؤلاء الدارسين بنوا على وجود الضاد في العربية وبعض اللغات في جنوبي بلاد العرب وجودها في السامية القديمة الأم[3]، وهذا محض افتراض، ذلك أنهم افترضوا في

= ما زال أخذهُمُ في النحو يعجبني حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
بمَفعَلٍ فَعِلٍ لا طاب من كَلِمٍ كأنّه زَجَل الغربانِ والبومِ

وقال عمّار الكلبي، وقد عيب عليه بيت من شعره:

ماذا لقينا من «المُستعربين» ومن قياس نحوهمو هذا الذي ابتدعوا
ان قلت قافيةً بكراً يكون بها بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا: لحنتَ، وهذا ليس منتصباً وذاك خفض وهذا ليس يرتفعُ
وحرّضوا بين عبدالله من حَمَقٍ وبين زيدٍ، فطال الضربُ والوجع
كم بين قومٍ قد احتالوا لمنطقهم وبين قومٍ على إعرابهم طُبِعوا
ما كلُّ قوليَ مشروحاً لكم فخُذوا ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
لأن أرضيَ ارضٌ لا تُشَبُّ بها نار المجوس، ولا تُبْنَى بها البِيَعُ

(١) لسان العرب (الضاد)، وانظر سر صناعة الاعراب ٢١٣/١_٢١٥

(٢) المصدر السابق (الظاء)، وانظر سر صناعة الاعراب ٢٢٧/١_٢٢٨، وفيه أن الظاء لا توجد في كلام النبط، فاذا وقعت فيه قلبوها طاءً. ولهذا قالوا «البِرْطُلَه»، وإنما هو ابن الظل، وقالوا: ناطور، وإنما هو ناظور.
وانظر «ظوي» في «لسان العرب»

(٣) C. Brockelmann, Semitische Sprachwissenshaft, (Leipzig, 1906) p. 54; W. Leslau, "the Semitic Phonetic System", in L. Kaiser (ed.), Manual of phonetic (Amsterdam, 1959),

J. Cantineau, Le Consonantisme du Semitique", Etudes de Linguistique Arabe (Paris 1960) PP. 240 - 5:

S. Moscati, An introduction to the Comparative Grammar of semitic Languages (wiesbaden 1964 p. 27

تلك الضاد شيئاً من صفات الظاء اللثوية. وكأنهم أخذوا هذا من ضياع صوت الضاد في العربية المعاصرة.

أقول لعل ضياع صوت الضاد الشجرية كان قديماً، وأن نطق الضاد كما رسمه الخليل وسيبويه هو «أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس (الكتاب ط اوربا ص 543، وفي شرح المفصل ١٠/١٢٤ـ١٢٥) ويجوز نطقها من الجانب الأيمن أو من الجانب الأيسر، إلا أن نطقها من الجانب الأيمن أصح، وهذا يثبت إذن ان الضاد حرف انحرافي. ومن جهة أخرى فقد نعتوا الضاد بأنه حرف رخو مطبق، وبأنه ليس له مقابل منفتح (سيبويه ٢/٤٥٤ـ٤٥٥). وقد أضافوا الى هذا الحرف صفة «الاستطالة» بسبب استطالة مخرجه[1].

وزاد ج. كانتنو[2] فقال: ان هذا التحديد ليس كافياً تمام الكفاية إذ يجوز معه التردّد في نطق هذا الحرف بين دالٍ مفخمة ذات زائدة لامية وبين الظاء ذات الزائدة الانحرافية، وبين الزاي المفخمة ذات الزائدة الانحرافية. الا ان اتجاه تطور هذه الأحرف لا يترك لك اي شك في هذا الصدد، فالنطق القديم كان «ظْ لْ» أي ظاء ذات زائدة انحرافية. أي بتقريب طرف اللسان من الثنايا كما في النطق بالظاء، وبأن يجري النفس لا من طرف اللسان فقط بل من جانبيه أيضاً[2].

وكأن النطق العسير لصوت الضاد اعان على انحرافها وتغييرها، ومن هنا كانت «الضاد الضعيفة» عند سيبويه.

جاء في «الكتاب»[3]: وتكون (أي الحروف) اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن، ولا في الشعر، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي [كالكاف والجيم] التي كالشين، و«الضاد الضعيفة»، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء.

أقول: كأن مصطلح سيبويه: وهو «الضاد الضعيفة» هو بداية الانحراف نحو

---

(١) كتاب النحو العربي لـ«هوول» Howell ٤/١٧٠٧ـ١٧٠٩

(٢) دروس في علم اصوات العربية لجان كانتنو، ص ٨٥ـ٨٦ (ترجمة صالح القرمادي). وقد اشار المؤلف الى جملة من المستشرقين الذين عالجوا مسألة الضاد الانحرافية، ينظر هامش المؤلف.

(٣) الكتاب (ط. هارون) ٤/٤٣٢

١٧٤

الظاء، ويدلنا على هذا ما ورد في «شرح السيرافي»[1].

ولنعرض لقول الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد». وفي رواية أخرى: أنا أفصح العرب بيد...»[2]

والحديث يلمح الى أن نطق الضاد عسير، وأنه ليس في طوق عامة العرب، وإني لأستظهر على هذا الفهم بالرجوع الى معنى «بيد» وهو «غير»[3]. وعلى هذا يكون الوجه في الحديث أني أفصح الذين نطقوا بالضاد غير أني من قريش. وهذا يعني ان لغة قريش لم تدرك الفصاحة. وإني لأذهب الى هذا أخذاً بمعنى «بيد» التي لا يمكن أن تذهب الى شيء آخر، وهو الذي نص عليه الكسائي وغيره. أما قوله: وقيل: ان معناها في الحديث «على أنهم» فيشبه ما تأوّله علماء العربية الأقدمون والمعاصرون في الحديث الأول، وهو ان معناها «لأني».

أقول: ان الذي ذهب الى هذا المعنى ممتحن بإيمانه ان لغة قريش أفصح اللغات، فقد أثر عن الفرّاء قوله:

كانت العرب تحضر الموسم في كل عام، وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصارت أفصح العرب، وخلت من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ كالكشكشة والكسكسة..[4]

ان هذا النظر الى لغة قريش واستحسانهم لها مُتأتٍ من ان قريشاً قبيلة الرسول الكريم، ومن هنا فإعظامهم لقريش لهذا السبب يفضي الى استحسانهم للغتها. وقد يكون هذا واضحاً في قول ابن فارس: «واخبرني أبو الحسن احمد بن محمد مولى بني هاشم بقزوين، قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن عباس الحشكيّ، قال: حدثنا اسماعيل بن أبي عبيد الله قال: أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة

---

(١) شرح السيرافي: ان هذه الضاد كانت تنطق كالظاء، أو بين الضاد والظاء وأقل من ذلك ابدال الضاد لاماً في نحو ما ذكروه من قول الشاعر منظور بن حبة الأسدي في شطر من قصيدة:

مال الى أرطاةِ حقفٍ فالْطجَعْ

أي فاضطجع. وانظر الكتاب (ط. اوربا) ٤٨٠/٢، وشرح المفصل ٤٥/١٠-٤٦

(٢) لسان العرب «بيد». وفي حديث آخر: «نحو الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأُوتيناه من بعدهم»

(٣) قال الكسائي تعليقاً على «بيد» في الحديثين الشريفين: قوله: «بيد» معناه «غير»، وقيل: معناه: على أنهم، (وهذا في الحديث الثاني).

(٤) المزهر ٢٢١/١

لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالسهم أن قريشاً أفصح ألسنةً واسناهم لغة، وذلك ان الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمداً».[1]

وقال ثعلب في «أماليه»: «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء وكسكسة ربيعة وكشكشة هوازن وتضجّع قيس[2] ...

ان استحسانهم لقريش ولغتها جعلهم يذهبون الى ان هذه اللغة نزل بها القرآن. وحقيقة العلم ان لغة التنزيل قد اشتملت على لغات القبائل المختلفة.

أقول: ان استحسانهم هذا لِلغةِ قريش دفعهم الى أن يفسّروا «بيد» في الحديث الاول بمعنى «لأنّ».

وعندي ان لغة قريش لا يمكن ان تكون أفصح اللغات، وقريش يقصدها جمهرة القبائل من كل مكان للحج والميرة. ومن العلم ان البلاد التي يلتقي فيها جمهور من الخلق لا بدّ ان ينال الضيم لغتها، ودليلنا ما هو واقع في عصرنا، فلغة الحواضر الكبيرة لا يمكن ان تحتفظ بصفائها ونقائها. وهذا الفهم يفرض علينا أن نقول: ان «بيد» في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش» تكون بمعنى «غير».

لقد أراد الرسول ان يقول: اني أفصح قريش لنطقي بالضاد العسيرة النطق التي قصّرت في نطقها قريش. ونعود الى عسر «الضاد» التي فقد المعربون طريقة النطق بها كما رسمها المتقدمون، وأول اشارة الى ضياع هذه المسألة كان قد حدث فيما دعوه «الضاد الضعيفة». ثم بدأ ضياعها يسود حتى عمّ جمهرة الناطقين، فتحوّلت الضاد الشجرية الى ظاء لثوية.

وزاد هذا التحول وأشكل الامر حتى وجد أهل العلم ان الأمر يقتضي حصر الألفاظ التي كان الضاد من أحرفها، وحصر الألفاظ الأخرى التي كان الظاء من

---

(١) الصاحبي (باب القول في أفصح العرب)

(٢) المزهر ٢١١/١

أقول: ينبغي ألاّ يعول الباحث في عصرنا على أقوال المتقدمين كثيراً، ذلك أننا كثيراً ما نجد فيها اضطراباً وتناقضاً، ومن هذا ما ورد في قول ثعلب هذا من ان لغة قريش ارتفعت عن... وكشكشة هوازن...

نقرأ هذا ثم نقرأ غيره مما أثر عن أبي عمرو بن العلاء وهو قوله: «وأفصح العرب عُليا «هوازن» وسفلى تميم. (الصاحبي ص ٤١) فكيف يكون هذا؟

أحرفها[1]

وقد رأينا بداية هذا الجهد اللغوي في القرن الرابع الهجري فراح نفر من اللغويين يدرس الفرق بين هذين الصوتين، ثم انبرى آخرون في تصنيف الرسائل والكتب التي تشتمل على الألفاظ التي يدخل الضاد والظاء في بنيتها، فأنت تجد طائفة من اللفظ فيها الضاد وأخرى فيها الظاء.

على اننا لا نعلم في هذا الجهد اللغوي أن نجد شيئاً يدرس المسألة الصوتية وكيف تحول الضاد الى ظاء.

وكنت قد شغلت بالضاد والظاء وما ورد فيه من كتب منذ أكثر من ربع قرن فكان لي من ذلك طائفة من هذه التصانيف على تراخي العصور.

ومشكلة الضاد والظاء من المشكلات اللغوية المعاصرة،والدارسون في عصرنا والمعربون لم يكن لهم نظر واسع في العربية وبضاعتهم مزجاة في هذا الأمر. ومن أجل ذلك اجتهد أولو العلم في مطلع هذا القرن الى تصنيف الرسائل في هذا الباب[2].

قلت: ان معرفة الضاد والظاء، وتمييز الكلمة إن كان الصوت فيها ضاداً أو ظاءً، لا سبيل الى ادراكها إلاّ في الكلمات الشائعة المشهورة. قد يعرف المُعرب المبتدئ «ضَرَبَ» فيرسم الضاد لشيوع هذه المادة كما يعرف «عَظُمَ» لشيوع المادة أيضاً، ولكنه يتوقف في حنظل وضيغم وكلمات كثيرة يصادفها الدارسون في النصوص القديمة.

ومن غير شك ان سبب ذلك ان الحرفين قد استحالا من الناحية الصوتية صوتاً واحداً وهو الظاء.

أقول: وقد كان لضياع صوت الضاد في العصور القديمة إشكال، فأنت قد تجد الكلمة وفيها الضاد ذات دلالة معروفة، وتجد في الوقت نفسه كلمة أخرى لا تختلف في دلالتها عن الأولى وفيها الظاء. وكأن الأصل واحد، وقد يكون من بنات الضاد أو من بنات الظاء، ولكن لتعاب صوت الضاد حدث هذا الخلط.

---

(١) نشر الدكتور محمد جبار المعيبد بحثاً في مجلة معهد المخطوطات ـ (المجلد الثلاثون، في الجزء الثاني وسم بـ«الضاد والظاء عند الدارسين العرب»

وقد استوفى فيه هذه المشكلة استيفاءً مفيداً، وبذلك أغناني عن نشر ما تجمع لدي في أوراقي القديمة.

(٢) لعل المصريين في عصرنا ينفردون من بين العرب في التفريق بين الصوتين. أقول: ولكن تفريقهم كما نسمعه ليس شيئاً فقد ابتعدوا عن الضاد الفصيحة الى الدال المفخمة، كما ابتعدوا في نطق الظاء أحياناً الى الزاي المفخمة. ولم يستطع المجوّدون للقرآن بينهم من نطق الضاد على إحسانهم في التغنّي

ومن هذا «الضَلَع» وهو الاعوجاج خِلقةً يكون في المشي من الميل، قال محمد بن عبدالله الأزدي:

وقد يحمل السيف المجرّب ربُه على ضَلَعٍ في متنه وهو قاطع

ونجد الى جانب هذا «الظَلَع»، وظَلَع الرجل والدابة في مشيه يظلَع ظَلَعاً بمعنى عَرِج وغمز في مشيه. قال كثيّر:

وكنت كذات الظَلْع لما تحاملَتْ على ظَلْعها يوم العثار استقلّتِ[1]

فأنت ترى ان هناك فرقاً يسيراً بين الدلالتين، ولكنْ هناك قرب بين الدلالتين، وأظن ان الفرق الدقيق بينهما جعل أهل اللغة يفرّقون فيفيدون من الصوتين.
وشبيه بهذا مادة «مضض» وفيها «المضّ» وهو الحرقة، ومضني الهمّ والحزن، وأمَضّني أحرقني وشقّ عليّ.

ونجد الى جانب هذا مادة «مظظ» وفيها «المماظّة»، قال أبو عبيد: هي المخاصمة والمشاقّة والمشارّة وشدة المنازعة مع طول اللزوم.

وقال أبو عمرو: وفيه «حظاظة» أي شدّة خُلُق[2].
أقول: من غير شك ان هناك فرقاً في الدلالة بين المادتين، ولكنك تلمح فيهما خيطاً ينتظمهما وهو يتمثل في الشدة التي نلمحها في أشتات هذه المعاني.
ومن غرائب هذا ما ذكروا ان «البيض» بالضاد إلا «بيظ» النمل، فهو بالظاء!

خاتمة:

هذه نبذة يسيرة في صوت الضاد في العربية، وما عرض له على تراخي العصور.

وبعد كل هذا كيف نفهم مقولتنا المشهورة: ان العرب أمة ناطقة بالضاد!
فأين هذه الضاد؟!

---

(١) انظر مادتي «ضلع» و«ظلع» في لسان العرب

(٢) انظر مادتي «مضض» و«مظظ» في لسان العرب

خاتمة

قد عرضت في هذا الكتاب لجملة لغات خاصة توسّمت فيها السعة والشهرة وهي الحجاز وتميم ولغات اليمن وهذيل. وقد صرفت النظر عن تقسيم هذه اللغات الى غربية وشرقية كما فعل المستشرقون ومنهم «فولرز» وغيره، واذا كان من لمح لتقسيم فأبرز ما فيه العربية الجنوبية وهي لغات اليمن.

وقد حرصت على أن أظهر ان البداوة والحضارة غير واضحتين، فقد تدخل البداوة في الجهات الغربية من بلاد العرب. واذا كانت نجد لدى الدارسين متدرجة في القسم الغربي لدى الدارسين في عصرنا، فكيف نستطيع أن نقول ان القسم الغربي متحضّر، والجهات الشرقية بدوية؟

وقد مرّ الكثير من الظواهر اللغوية التي وجدناها سائدة في القبائل الشرقية والقبائل الغربية، فهي من المواد المشتركة. وهذا من شأنه أن يجعل مهمة الدارس الذي يتوخّى الضبط والتحديد والإتقان عسيرة. ومن هنا كان لي أن أقول ان التراث اللغوي فيما يتصل بلغات القبائل عسير صعب، وان مواده لا تعين على رسم الحدود العلمية المميِّزة.

قد يكون السبب في هذا ان العربية في تاريخها المبكر قد اتجهت الى التوحّد، وكان ذلك بسبب لغة القرآن التي لم تبق للغات القبائل إلاّ شذرات وجدناها في القراءات التي لم تنل شيئاً من السعة والشيوع. وقد وجدنا القليل القليل منها محكوماً عليه بالشذوذ وعدم القبول، والأخبار في هذا كثيرة.

ومن مشكلات الدرس اللغوي للغات القبائل وأشباهها أننا إزاء معرفة ضئيلة في مواطن هذه اللغات. ربما كان سبب هذا ان القبائل بشكل عام قد اتصفت بالبداوة، والبدو يتفسّحون في ديارهم.

وكنت قد أفدت في استقرائي فوائد جمّة جعلتها في الكلام على الحجاز وتميم وهذيل واليمن. وقد بقي لي قدر وافٍ يشتمل على شذرات لغوية تخصّ جملة قبائل لم يرد ذكرها مع تميم والحجاز واليمن وهذيل.

أقول: ان طائفة من القبائل قد ورد ذكرها مع القبائل التي نوّهت بذكرها، وجعلت من الناحية اللغوية شيئاً منها فأنت كثيراً ما تعرض لمسائل لغوية عرفت

في تميم، وقد دلّ التحقيق ان قبائل قيس وأسد وغيرها قد شاركتها. وقل مثل هذا في جملة قبائل نجدية قد شاركت في المشهور المتعارف من لغة الحجاز.

على ان طائفة اخرى من القبائل قد ورد ذكرها في مسائل فرعية لغوية. ومن هنا فاني مضطر أن أجعل خاتمتي في هذه الشذرات اللغوية الأفراد التي لم تدرج في شيء من لغات الأقسام الكبيرة.

ومن هذا قولهم: «يئس» بمعنى «علم» في لغة النخع وهوازن كما في قول سحيم بن وثيل اليربوعي:

أقول لهم بالشّعب اذ يأسرونني ألم تيأسوا أنّي ابنُ فارسِ زَهْدَمِ[1]

ومن هذا ما قاله المفسرون في قوله تعالى: «أفلم ييأس الذين آمنوا»[2].

ومن هذا قولهم في «العل» أنها من حروف الجر في لغة عقيل وجعلوا منه قول الشاعر:

لعلّ اللهِ فضّلكم علينا بشيءٍ أنّ أمّكُمُ شريمُ[3]

ومن المسائل الفريدة قولهم: «متى» لا يجرّ بها إلا هذيل ومنها قول أبي ذؤيب الهذلي في وصف السحاب:

شربنَ بماء البحر ثم ترفّعت متى لُجَجٍ خُضْرٍ لهُنّ نئيجُ[4]

وقالوا: «لَمَق» الشيء أي كتبه في لغة عُقيل، وسائر قيس يقولون «لَمَقه» بمعنى محاه[5].

ان الدارسين لهذا التراث اللغوي في عصرنا يحتفلون بالمسائل الغريبة التي تدخل في باب «الضرورة» لو أنهم نظروا نظراً علمياً غير مدفوعين بحماسة تبعدهم عن العلم. وما أراهم يختلفون عن القدامى الذين سجلوا هذه الفرائد مع علمهم أن بعضها مصنوع موضوع[6]. ولم يتوقفوا في أمر النسبة إن أعوزتهم،

---

(١) من شواهد سيبويه، وفي سائر كتب النحو

(٢) ٣١ سورة الرعد.

(٣) من شواهد النحو، انظر أوضح المسالك ٢١٦/١. والبيت مما لا يعرف قائله.

(٤) أدب الكاتب ص ٥٢٩.

(٥) لسان العرب (لمق).

(٦) ومن هذا الشاهد النحوي في مجيء نون المثنى مفتوحة وهو قول الراجز:

أعرف منها الجيدَ والعينانا ومنخرين اشبَها ظبيانا.

وقد تكلموا في نسبته كثيراً واختلافها ثم قالوا: وقيل: إنه مصنوع. أقول: والقول «انه مصنوع» حسن ذلك ان الراجز لو كانت لغته فتح النون فكيف قال: ومنخرين!! الرضي، شرح الكافية ١٧٣/٢.

ألا تراهم قالوا: ان المفضل الضبّي ذكر لبعض أهل اليمن قوله:

أيُّ قلوصٍ راكبٍ تراها طاروا علاهُن فطِرْ علاها[1]

أتوا بهذا على أن الف «على» الجارة مع الضمير لا تقلب ياءً.

ولم ينسب السيوطي هذه اللغة لبني الحارث بن كعب وحدهم، فقد عزاها لبني العنبر وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان ومزدادة وعذرة[2].

ومن عجب اننا نجد الدكتور علم الدين الجندي لا يحمل نماذج الأقدمين على العلم فيقول بالضرورة، بل يذهب الى عدّها «لهجات»، ومن هذا قول الفرزدق:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرةٍ نفيَ الدراهيم تنقاد الصياريف

أقول: من غير شك ان الفرزدق ممتحن بالوزن فلجأ الى إشباع الكسر فتولّدت الياء فكان «الدراهيم» و«الصياريف»، ولو أمكنه الوزن لقال: الدراهم والصيارف على الأصل.

وقد سجل علماء اللغة هذه النماذج، ولم يتجاوزوها الى غيرها، وحاول من أتى بعدهم الى عزوها وجعلها «لغة»، وهي في الحق ضرورة شعرية ليس غير، ومنها قول ابراهيم بن هرمة:

فأنت من الغوائل حين تُرمَى ومن ذمّ الرجال «لمُنتزاحِ»

وقول عنترة:

ينباع من ذِفرى غَضوبٍ جَسرةٍ[3] ...

وذكر ابن جني أنه سمع من يقول: خذه من حيث وليسا، أي وليس. وأكلت لحما شاة، أي لحمَ شاة، فيما سمع عن ثعلب[4].

وقرأ ابن عامر «أفئيدة من الناس»[5]، وزعم ابن الجزري أنها ليست ضرورة، بل هي لغة مستعملة[6].

---

(١) النوادر لأبي زيد ص ٥٨، والصاحبي ص ٢٠.

(٢) همع الهوامع ٤٠/١.

(٣) الخصائص ١٢١/٣.

(٤) المصدر السابق ١٢٣/٣.

(٥) ٣٧ سورة ابراهيم.

(٦) النشر في القراءات العشر ٢٩٩/٢ـ٣٠٠.

أقول: لا أدري كيف جاءت هذه القراءة، وما وجه الضرورة! ان الضرورة تكون في الشعر والرجز، وفي هذه الحال يكون ما قيل من عدّها لغة ضرباً من التزيد، ومنه ما أورده ابن فارس من قول الراجز:

وليلـة خـامـدة خمـودا طخياء تخشى الجَدْي والفرقودا[1]

والأصل: فرقد.

وقول الراجز:

ممكـورةٌ جُمُّ العظـامِ عُطْبـولْ كـأنّ في أنيابهـا القَرَنفولْ[2]

ومنه قول الآخر:

وانني حَوث ما يَثني الهوى بَصَري من حيث ما نظروا أدنو فأنظورُ

وقد عدها ابن دريد[3] من لغة طيّء. وقال أبو علي: هو على الإشباع لإقامة الوزن[4].

أقول: وقول أبي علي سديد ذلك ان الاشباع في «أُنظور» لإقامة الوزن، والأصل: أنظر. وكما كان زيادة هي إشباع للحركة بسبب الوزن، كان حذف بسبب الوزن.

أقول: والزيادة والحذف من لغة الشعر وسطوة الشاعر الذي يفرض على سامعيه لغته في الحالين.

قال لبيد: «دَرَسَ «المنا» بمتالعٍ فأبانِ» والأصل المنازل.

ومن هذا الحذف قول علقمة:

كأنّ إبريقهم ظبيٌ على شَرَفٍ مقدّم «لسَبا» الكتان ملثوم

أراد: سبائب. وأنشد السيرافي:

عُلَيَّـةُ مـا عُلَيَّـةُ مـا عُلَيَّـةُ ايهـا الرجـلُ

عُلَيَّةُ بالمدينةِ و«المَطَا» مرحولةٌ ذُلُلُ[5]

وقد وجد الكوفيون في أسطورة «اللغة» أي «اللهجة باصطلاح المعاصرين»

(١) الصاحبي ص ١٩٣ ومثله في الصفحة نفسها «لو أن عَمْراً همّ أن يرقودا» والأصل: يرقُد.

(٢) الخصائص ١٢٤/٣.

(٣) الجمهرة ٣٧٩/٢.

(٤) المخصص ١١٤/١-١١٥.

(٥) شرح السيرافي ٢٥٥/١.

ضالتهم ففسروا الحذف على أنه من لغات العرب، في حين حمله البصريون على الضرورة، ومنه:

ان كان لي ذنب فعفوُ وانِ لم يكُ لي ذنب ففيم اطّراحْ

وحقه: اطّراحي.

وقول الشاعر:

إنـيّ مـن صـدّك في لوعـةٍ تغوّلـت لُبّـي وهـاضَتُ جنـاحْ

وحقه: جناحي.

وقول طرفة:

مَن عائدي الليلةَ أم مَن «نَصيحْ» بـتُّ بهمٌ ففـؤادي قريحْ

وحقه: نصيحي.

والكوفيون يجيزون الحذف في غير القافية، وهو عندهم في لغة من لغات العرب، وهو ضرورة لدى سيبويه[1].

ومن هذا:

«إنّ الغواني غداة البين نِطنّ بنا»

واسكان الياء من «الغواني» لغة لدى الفرّاء، وضرورة عند سيبويه[2].

ومن هذا حذف الفاء من «كيف» كما في قول الشاعر:

أو راعيان لبُعرانٍ لنا شَرَدَت كي لا يُحسّان من بُعراننا أثرا

أراد: كيف لا يحسان[3].

واختلفوا في الحذف ألغة هو أم لإقامة الوزن، واستشهد السيوطي على هذا الحذف بالشاهد:

كي تجبخون الى سلمٍ وما ثَئِرَتْ فتلاكُمُ ولظى الهيجـاء تضطرمُ[4]

أقول: لما كان الأمر يتصل بأبيات فرائد، فلسنا ممتحنين بأن نهرع الى

---

(١) عبث الوليد ص ٧٦.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٥.

(٣) شرح السيرافي ٥٨/١.

(٤) همع الهوامع ٢١٤/١.

القول في أنها «لغة». إنها الضرورة الشعرية، ذلك ان هذه الأبيات فرائد وأن أصحابها لم يُلجأوا إليها إلاّ اضطراراً.

ان الزيادة في بناء الكلمة او النقص فيه كان بسبب من إقامة الوزن.

ولِمَ لا يكون بعض هذه النماذج التي لا يعرف قائلها شيئاً مما وضعه اللغويون وغيرهم، فلم يسلم جلة هؤلاء من هذه الهجنة. ولِمَ لا وقد عرفنا ان الوضاعين تجرّأوا على حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأشبعوه كذباً وعبثاً؟

نعم قد كان في العربية شيء من حذف في بناء الكلمة الواحدة في غير الشعر، وذلك الحذف اقتضته علّة خاصة في لغة قوم، والعلة التخفيف بحذف أحد المثلين كحذف الياء الاولى من «استحيَ» المسند الى ضمير الفاعل في لغة التميميين (استحَيتُ). ولست ممتحناً في هذا فأعزوه الى أنهم بدو، ولغة البداوة هي الخفة والإيجاز في بناء الكلمة الواحدة، كما لا أعزو من يُبقي على الياء فيقول «استحيَيتُ»، وهم أهل الحجاز، الى أنهم قوم متحضرون لأني أعرف ان الحجاز رقعة غامضة في مصادرنا في مساحتها وما يندرج فيها من جهات. ولا أستبعد أن يكون فيما أُطلق عليه الحجاز بلاد ضربت في البدو، وخلصت الى البادية. والخلاف اللغوي في هذا شيء ذكره علماء العربية، ولم يحددوا المقصود بذلك، أكلّ الحجاز وكل تميم قالوا ذلك؟[1]

ولنا أن نستوضح المصادر لنرى مذهب الخليل في قولهم «استحيت» بالحذف. انا نجد مذهب الخليل قائماً على ان الفعل على «حييَ» مُعَلاً إعلال «هاب» و«باعَ» فكأنه قيل «حايَ»، فكما تقول في «باعَ» «استبَعْتُ» تقول في «حايَ» «استحيت»، فاستَحَى على هذا في الأصل «استحايَ» كاستباعَ فحذفت حركة الياء فالتقى ساكنان فحذفت أولاهما، ثم قلبت الياء الساكنة «ألفاً» لانفتاح ما قبلها[2].

أقول: لم يسلم الخليل على اجتهاده وذكائه وقدرته البارعة من صنعة أهل اللغة الذين يباشرون المواد فيعملون فيها قدرتهم مع كثير من الحذلقة فتخرج في طريقتهم على نحو ما يفعل أهل الكيمياء في عصرنا.

ولكني اقبل ما ذهب إليه المازني الذي قال: «استَحَيتُ» أصلها «استَحْيَيتُ»، فاستثقلوا اجتماع ياءين فألقوا الأولى تخفيفاً وألقوا حركتها على الحاء، وألزموها الحذف تخفيفاً[3]. وقد قرئ «يستحيي» بياءين على لغة أهل الحجاز،

---

(١) انظر شرح السيرافي ٦/٣٠٥.

(٢) شرح الشافية ٣/١١٩.

(٣) شرح الشافية ٣/١١٩ و«شرح المفصل» ١٠/١١٨.

وهي قراءة الجمهور[1] في قوله تعالى: «إن الله لا يستحيي ان يضرب مثلاً»[2].

وقرأ ابن كثير في رواية شبل وابن محيصن ويعقوب «يستحي» بياء واحدة، وهي لغة تميم[3].

أقول: قلت في مواضع عدة من هذا الكتاب أن الخلاف بين تميم والحجاز يتصل بشذرات لغوية، وهذا الخلاف يشارك فيه قوم يتصلون بتميم أهل الحجاز، كما لا نعدم أن نجد جماعة أو جماعات تندرج في الحيز الإقليمي للحجاز تعرب إعراب تميم في ألفاظ بعينها. وعلى هذا كان علينا نحن الدارسين المعاصرين ان نتفهّم هذه الخصوصيات ونمسك أنفسنا أن تذهب في حماسة فتقيم لتميم «عمارة» لغوية، وأخرى مثلها لأهل الحجاز، وانّنا لا نملك من هذه «العمارة» حجارتها اللازمة. فأي هيكل أقمناه وبناؤنا يكاد ينهار من القواعد!

ومن هذه «الشذرات» ان بني تميم لا يلحقون اللام في اسم الإشارة المفرد مذكراً ومؤنثاً في البعد، بل يلحقون كاف الخطاب فيقولون: ذاك وتيك، والحجازيون يلحقون اللام فيقولون: ذلك وتلك[4].

أقول: وقد يكون الخلاف شيئاً يتصل بطول الأصوات الصائتة وقصرها، وهذا يحدث في كل زمان ومكان، وهو مادة فرعية لا تمسّ الأصول، ولا يمكن أن تؤلف هي وغيرها «لهجة» قبيلة أو بلد على نحو ما يفعل أصحابنا المعاصرون. ولنذهب الى شيء مما تركه لنا علماء اللغة في مصادرهم، فقد عرفنا ان الهذليين يقولون «لا أدرِ» بحذف الياء[5]، وبلغتهم قرئ «يوم يَأتِ»[6] باثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً، وهي قراءة الحرميّين ونافع. وقرأ ابن كثير بإثباتها وصلاً ووقفاً، وهي كذلك في مصحف ابي. وقرأ باقي السبعة بحذفها وصلاً ووقفاً[7]. وقد كنّا أشرنا الى أشباه هذا في القراءات والشعر في الكلام على لغة هذيل[8].

ومثل هذا في طول الصوت الصائت وقصره ما كان من حذف الياء للمخاطبة في قول عنترة:

---

(١) البحر المحيط ١٢١/١، وهمع الهوامع ٢١٩/٢.

(٢) ٢٦ سورة البقرة.

(٣) انظر الخزانة ٢٨٠/٢، ومختصر البديع ص ٤.

(٤) شرح الأشموني ١٤٢/١.

(٥) لسان العرب (اتى).

(٦) ١٠٥ سورة هود.

(٧) البحر المحيط ٢٦١/٥-٢٦٢.

(٨) انظر الكلام على لغة هذيل في كتابنا هذا.

ان العلوّ لهم اليكِ وسيلة   أن يـأخذوكِ تكحّـلِ وتَخضّبِ[1]

فحذفت الياء من «تكحلي» و«تخَضّبي» اكتفاءً بالكسرة. وقد عزا الفراء هذا الاجتزاء الى هوازن وقيس.

ومثل هذا قول عنترة: «يا دار عبلة بالجواء تكلّمِ»، وكأن الكسرة دالة على الياء وهي تغني عنها.

وكما حذفت الياء واجتزئ عنها بالكسرة، كذلك حذفت الواو واجتزئ عنها بالضمة، وانشد الفرّاء:

اذا ما «شاءُ» ضرّوا من أرادوا   ولا يـألو لهم أحـد ضِـرارا

وأنشد الكسائي:

متى «تقولُ» خَلَتْ من أهلها الدارُ   كأنّهم بجنـاحَي طائرٍ طـاروا[2]

ومما يكون من هذا أيضاً قراءة بعضهم: «سَنَدْعُ الزبانية»[3]، وقوله تعالى: «ويَدْعُ الانسانُ بالشرّ»[4].

وهذه القراءة هي التي ثبتت في المصحف الذي نقرؤه اليوم، والآيتان قد جاء الفعل فيهما بحذف الواو، اكتفاء بالضمة[5].

أقول: وكأن هذا الرسم قد اقتضاه ان ما بعد الواو، لو ثبتت لكان في هذا المد الطويل عسر على الناطق لمجيء لام التعريف بعدها في «الانسان» و«الشر» ساكناً. ومن هنا كان قصر هذا المد شيئاً يقتضيه حسن الأداء.

ومثل هذا قراءة بعضهم: «قد «أفلَحُ» المؤمنون»[6] بضم الحاء اجتزاءً وحذف

---

(١) معاني القرآن ٩١/١ وقد ذهب سيبويه في الكتاب ٣٠١/٢-٣٠٢ الى ان هذا الحذف كان عند ناس كثير من قيس وأسد.

(٢) المصدر السابق.

أقول: والذي أراه أن البيتين من الأفراد النادرة الغريبة، وهما مما اقتضاه الوزن، فإن استدل عليهما بشيء من النثر، فالنثر مصنوع، وليس نصاً يوثق به. ويدل على هذا ما ورد في المصدر نفسه وهو: وسُمع من ينشد:

طافت بأعلاقه خودٌ يمانية   تدعو العرانين من بكر وما «جَمَعُ».

أي: وما جمعوا، ولو أثبت الواو لاستقام الوزن أيضاً.

(٣) ١٨ سورة العلق.

(٤) ١١ سورة الاسراء.

(٥) انظر معاني القرآن ٩١/١، وانظر خزانة الأدب ٣٨٥/٢.

(٦) ١ سورة (المؤمنون).

الواو، وهي قراءة من أثبت الواو مع وجود الفاعل «المؤمنون»[1] .

وفي «كتاب المغني» لابن هشام قراءة يحيى بن يعمر: «على الذي «أحسَنُ» الكتابَ»[2] ، بضم النون، والأصل: «على الذي أحسَنَ..»، وكأن الذي قرأ هذه القراءة جعل الفعل مسنداً لجماعة الذكور وحذف الواو مجتزئاً بالضمة عنها. ومثل هذا قراءة ابن محيصن: «لمن أراد أن «يتمّ» الرضاعة»[3] والأصل «يتمّوا» بحسب هذه القراءة، فاجتزأ بالضمة وحذف الواو، وأصل الآية: «لمن أراد أن يتمّ الرضاعة» والإسناد الى الواحد الغائب.

ومن الغريب النادر في هذا، الذي لا يمكن حمله إلاّ على الشذوذ، ولم يأت منسوباً، ما ذكره السيوطي في «الهمع»[4] : «من ان بعض العرب يقول: الزيدون «قامُ» (كذا).

وهذا من غير شك مما صنعه النحويون في أمثلتهم التعليمية.

وعن الكسائي قوله: «سمعت هذيلاً تقول هم اللاؤُ فعلوا كذا»[5] ، والأصل اللاؤون، ومنه الشاهد وهو قول الهذلي:

«هم اللاؤون فكّوا الغلَّ عنّي»[6]

وقد عدّ جماعة هذا من الضرورة، غير أن اباحيّان قد ردّ هذا قائلاً: «ومن ذهب الى أن ما ذكر [أي الحذف] خاص بالشعر فمذهبه فاسد، لأن أئمة العربية نقلوها على انها لغات جارية في السعة»[7] .

ان حذف النون من «الذين» و«اللذون» و«اللذان» و«اللتان» قد نسب الى بني الحارث بن كعب وبعض ربيعة، ومنه قول الأخطل:

هما اللّتا لو وَلَدت تميمُ   لقيل فخرٌ لَهُمُ صميمُ[8]

وقوله: أبني كُلَيبٍ إنّ عَمّيَّ اللذا   قَتَلا الملوكَ وفكّكا الأغلالا[9]

---

(1) حاشية الصبان ١/١١٢. أقول: وهذه القراءة تشير الى لغة بلحارث بن كعب «أكلوني البراغيث»، وقد جعل منها النحويون قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «يتعاقبون فيكم ملائكة في الليل وملائكة في النهار».

(2) ١٥٤ سورة الأنعام.

(3) ٢٣٣ سورة البقرة، وانظر: خزانة الأدب ٢/٣٨٥.

(4) همع الهوامع ١/٥٨.

(5) (6) الأمالي الشجرية ٢/٣٠٨.

(7) همع الهوامع ١/٨٢ـ٨٣، وخزانة الأدب ٢/٥٠٣.

(8) الخزانة ٢/٢٩٩، والتصريح ١/١٣٢.

(9) الخزانة ٢/٢٩٩، والتصريح ١/١٣٢، والمفصل ص ١٤٣.

وقد حذفت النون في قول أميّة بن الأسكر:

قومي اللذو بعكاظٍ طيّروا شَرَراً ... من روس قومك ضرباً بالمصاقيلِ[1]

واستشهد ثعلب على حذف النون من «الذين» بقول الحارث بن وعلة:

فإن ظفِرَ القومُ الذي انت فيهم ... فآبوا بفضل من سناءٍ ومن غنم[2]

ومثله قول الشاعر:

وان الذي حانت بفلج دماؤهم ... هُمُ القوم كلُّ القوم يا أمَّ خالد[3]

وذهب البصريون الى ان الحذف من «الذي» في البيت ضرورة، وذاك تخفيف لاستطالة الموصول بالصلة[4].

وأما الكوفويون فذهبوا الى ان الحذف لغة[5].

وممّا فاتنا ان نذكره عند الكلام على لغة هذيل هو الفعل «يتقي» باسكان التاء وفتحها، وقد جاءا في شعر ساعدة بن جؤيّة الهذليّ:

يَتْقي بـه نَفَيـان كلَّ عشيّةٍ ... فالمـاء فوق متونـه يتصبب[6]

وقوله:

ولـو أن الذي يُتَقَى عليه ... بضَحْيـانٍ أشمُّ مـن الوعول[7]

أقول: واستعمال ساعدة الهذلي للصيغتين يدلّ على أن الشاعر وهو يستعمل الكلمة لا يعني لغته، ذلك أنه محكوم بإقامة الوزن.

ولم يشر الرضي في «شرح الشافية» الى أن حذف الحركة أو إثباتها من لغة هذيل، وتكلم على حذف فاء الفعل من «اتَقيتُ»، وكذلك «يتَخذ»[8].

ويقوّي ما ذهبنا إليه ان ابن جني لم ينسب إحدى اللغتين الى هذيل، بل ذكرهما، وأورد قول خفاف:

---

(١) الخزانة ٥٠٣/٢ وقال البغدادي: هو كما قال صاحب الأغاني أمية بن حُرثان بن الأسكر... بن كنانة بن مضر، فيكون الحذف في شعره ضرورة.

(٢) مجالس ثعلب ٤١٣/٢.

(٣) الخزانة ٥٠٧/٢.

(٤) المصدر السابق ٤٩٩/٣.

(٥) الأمالي لابن الشجري، والخزانة.

(٦) ديوان الهذليين ٦٩/١.

(٧) المصدر السابق ٢١٨/٢.

(٨) انظر شرح الشافية ٢٩٣/٣.

جـلاها الصيقلـون فـأخلَصُوهـا خفـافاً كلُّهـا يَتَقي بأثْر [1]

بفتح التاء في «يتَقي».

وقد وردت والتاء ساكنة في قول أوس:

تَقاكَ بكعْبٍ واحدٍ وتَلَذُّه [2]

والأصل: «اتَّقاك» فحذفت فاء الفعل، وهي التاء الاولى، وقد نسب هذا الى هذيل [3].

ولا بدَّ لي ان أعرض لمسألة النسبة في أية ظاهرة لغوية قديمة، واختلاف اللغويين في إثباتها لأصحابها، واختلاف اللغويين في النسبة، وجعل الظاهرة اللغوية في لغات قبائل عدة يجعل ذلك كله مهمة الدارس الحديث عسيرة. ومن هنا كان القول بـ«لهجة الحجاز» و«لهجة تميم» و«لهجة هذيل»، على حد تعبير المعاصرين، شيئاً ليس من العلم الحسن.

ومما قرأت في «البيان والتبيين»[4] : وقال أعرابي:

رعاكِ ضمان اللهِ يا أمَّ مالكٍ ولَلّهِ أن يشقيك أغنى وأوسع

واجتهد محقق الكتاب فذكر في تعليقه المفيد أن هذا الأعرابي من هذيل وقد جاء هذا البيت في شرح الحماسة للتبريزي[5] ، وفي كتاب «تهذيب الألفاظ»[6] لابن السكيت:

«ولَلّهِ «عَن» يشقيكِ أغنى وأوسع»، على «العنعنة» المعروفة.

وقال الراجز:

قـد علمتْ أنّي مُرَوّي هـامِهـا ومُذهب الغليـل مـن أُوامِهـا

وفي «شرح التبريزي» وفي «تهذيب الألفاظ»: قد علمت «عنّي»...

ومن هذه العنعنة ما ورد في «البيان والتبيين»[7] أيضاً قول الراجز:

---

(١) الخصائص ٢٨٦/٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ديوان الهذليين ١٦٩/١.

(٤) البيان والتبيين ٣٣/٣.

(٥) شرح الحماسة للتبريزي ٢٧٠/٣.

(٦) تهذيب الألفاظ ص ٤٦١.

(٧) البيان والتبيين ٥٦/٣.

إمّا تريني قائماً في جِلّ جَمّ الفتوق خَلَقٍ هِمَلّ
محاذراً أبغض «عن» تحتلّي عند اعتلال دهرك المعتَلّ

وجاء في «مجالس ثعلب»[1] لرجل من فقعس:

تعرّضَت لي بمكانٍ حِلِّ تَعَرُّضَ المُهْرَةِ في الطِّوَلِّ
تَعَرُّضاً لم تألُ «عن» قتلاً لي

وفي «أمالي أبي علي»[2] قال أبو حيّة النميري:

يقُلنَ وما يَدرينَ «عنّي» سمعته وهُنّ بأبواب الخيام جُنوحُ

وقد اختلفوا في هذه «العنعنة» فقد نسب ابن السكيت في «الابدال»[3] الى تميم وقيس، نسبت في «شرح المفصل»[4] الى تميم وأسد.

وكأن الشعراء اللاحقين قد قلدوا من سبقهم في هذا استحساناً وميلاً الى شيء من ديباجة قديمة فهذا ابراهيم بن هَرمة يقول:

أ«عَنْ» تَغَنّت على ساقٍ مطوّقةٌ ورقاءُ تدعو هديلاً فوق أعواد[5]

فيترسّم قول ذي الرمة:

أ«عَنْ» تَرَسّمتَ من خَرقاءَ منزلةً[6]

ليس لي أن أقول: ان ابن هرمة نشأ في بلاد تميم، ولكني اذهب الى ما أشرت إليه.

وأنت ترى ان نسبة الظاهرة اللغوية قد اتسعت فشملت قبائل تميم وقيس وأسد وهذيل. ولا أراني ملتمساً تفسير صاحبنا علم الدين الجندي الذي قال: أرجح ان الذي ينطق بها (العنعنة) من هذيل هم أهل البادية من هذيل لا كلهم[7].

أقول: وأين هي حواضر هذيل التي لا تقرب البادية؟

ومثل «العنعنة» «الكسكسة» التي شرّق فيها اللغويون وغرّبوا، فقد عزيت الى

---

(١) مجالس ثعلب ٢/٦٠٢.

(٢) الأمالي للقالي ١/٦٩ـ٧٠.

(٣) الإبدال ص ٢٤.

(٤) شرح المفصل ٨/١٤٩ـ١٥٠.

(٥) شرح المفصل ٨/١٤٩.

(٦) شرح الشافية ٣/٢٠٣.

(٧) اللهجات في التراث ص ٢٨٥.

بكر بن وائل[١] ونسبها ثعلب الى هوازن[٢] ، ونسبها صاحب «القاموس» الى تميم[٣] ، ونسبها ابن فارس الى ربيعة[٤] ، ونسبها السيوطي الى ربيعة ومضر[٥] .

و«الكسكسة» وقد مرّ بنا شرحها وهي الحاقهم لكاف المؤنث سيناً عند الوقف.

ويبدو ان المحتفلين بهذه الظواهر اللغويّة يغفلون عن النظر اليها نظراً جيداً ومن ذلك «الفحفحة» وهي قلب الحاء عيناً كما مرّ بنا، وأن ابن مسعود قرأ «عتّى حين».

ولا ادري لِمَ عدل عن إبدال الحاء في «حين» عيناً وتركها، أليست من «لغته»! وقد نسبها السيوطي الى هذيل[٦] . وقد جعلها في «الاقتراح»[٧] قلب الهاء عيناً، وهو وهم[٨] . ولا أدري لِمَ اقتصرت قراءة ابن مسعود على «الحاء» في «حتى» في سورة يوسف وجعلها عيناً، وترك جمهرة الحاءات في لغة التنزيل! إن ذلك أمر عجب، لم يفطن له الدارسون المعاصرون وسدروا في حماستهم وغوايتهم.

ومن هذه «الغرائب» ما دعوه «الاستنطاء» وهو ابدال العين الساكنة نوناً اذا جاورت الطاء.

وفي «اللسان»[٩] : «الإنطاء»: الاعطاء بلغة أهل اليمن.

أقول: وما زال جمهرة العراقيين في حواضر شتى يقولون «أنطى» بمعنى أعطى.

ولكني أتساءل اذا كان الاستنطاء يتصل بكلمة يتيمة لا غيرها، والعلة كما قالوا صوتية وهي أن العين الساكنة تقلب نوناً اذا وليها طاء، فلِمَ لم يعرض هذا الابدال لكلمات أخرى جاءت فيها العين ساكنة وبعدها طاء نحو: أعْطَبَ، وأعْطَشَ وغيرهما؟!

أقول: لا يمكن أن تكون كلمة واحدة ظاهرة لغوية صوتية، وعندي ان «أعطى» جاءت من «آتى» كما في قوله تعالى: «وآتى المالَ على حبه...» والفعل

---

(١) خزانة الأدب ٥٩٥/٤ـ٥٩٦.

(٢) المصدر السابق ومجالس ثعلب ١٠٠/١.

(٣) شرح الشافية ٣٨١/٢.

(٤) الصاحبي ص ٢٤.

(٥) المزهر ٢٢١/١.

(٦) الهمع ٢٣/٢.

(٧) الاقتراح ص ٨٣.

(٨) انظر البحر المحيط ٢٠٤/١ ولسان العرب (حتت)، ومختصر البديع ص ٦٣.

(٩) لسان العرب ٢٠٦/٢٠.

«آتى» وفيه المدّ، وهو همزتان في الأصل وللثقل صاروا الى المد، فالأصل «أأتى». وكما كان الهرب من الهمزتين الى المدّ، كان هرب آخر هو ابدال الهمزة الثانية عيناً، ثم ابدال التاء طاءً ليحسن العين مع الطاء في النصاعة.

ولنا أن نقول في الكشكشة والتلتلة والجمجمة أقوالاً نتوخّى فيها العلم بعيدين عن الحماسة المضلّلة.

ومن عجب ان يكون الدكتور الجندي قد وقف على «التشابه بين الكتلتين الشرقية والغربية» فلم يفد علماً جيداً من التشابه ومضى في إقامة هيكله اللغوي مستعيناً بالتفسير والتمحل، واللجوء الى البداوة والحضارة، ومصافحة العلم الصوتي والاستعانة بـ«الاقتصاد في الجهد العضلي» وغيره في اخراج الأصوات.

ولو أنه نظر في تخريج النحاة لمجيء المثنى بالألف كما في قوله تعالى: «ان هذان لساحران» وما قالوا في ذلك، وما توسّعوا في نسبة هذه اللغة، أقول: لو انه نظر فيما أثبته هو من وجوه الاضطراب والاختلاف وأفاد من ذلك، لكان له ان يظفر بالعلم. ومن ذلك ما ذكره من حذف نون «من» وإلحاق الميم بلام التعريف وقال: هي لغة بني تميم وكثير من أهل الحجاز.

وقد وجد هذه الظاهرة اللغوية في شعرهم، وكونها في الشعر موضع نظر، ذلك أنها من أدوات الشاعر يصير إليها اقامة للوزن، وسيراً على نهج المتقدمين من الفحول.

قال كثيّر:

اذا وصلتنا خلة كي تُزيلنا ... أبينا وقلنا الحاجيّة أوّلُ
لها مَهَل لا يستطاع دراكه ... وسابقةٌ «مِلْحُبِّ» لا تتحوّلُ

وقال المغيرة بن حبناء:

إنّي امرؤٌ حنظليّ حين تنسُبني ... لا «مِلْعَتيك» ولا أخوالي العُوقُ

وقال أبو صخر الهذليّ:

كأنّهما «مِلآن» لم يتغيّرا ... وقد مرّ للدارَيْنِ من بعدنا عصرُ

لقد ذكر الدكتور الجندي هذه الأبيات، ولم يفطن الى وجود هذه الظاهرة في الشعر خاصة. ونراه يجد شاهده الاول قول كثيّر فيروح الى نسبته الى خزاعة وخزاعة من الأزد فهو على كل حال داخل في «الكتلة الغربية» على زعمه.

وهو مع المغيرة بن حبناء يجد فائدته ذلك ان الشاعر من ربيعة بن حنظلة... وهو من تميم، ثم يعود الى شاهده الثالث فيجده هذلياً.

ومن هنا أقرَّ بالتشابه بين الكتلتين، وليته فطن الى أكثر من التشابه.

ان مادة التشابه التي أدرجها الجندي تنفي الحماسة الى اللهجات ونسبتها وما قيل فيها.

وبعد فهذا كتاب جمعت فيه من المواد التي يخلص منها القارئ الى ان وحدة العربية تتجاوز هذه الفوائد اللغوية، اذ أنها عناصر توحيد لا تفرقة. وكم أحسن فقهاؤنا في الذهاب الى إنكار القراءات الشاذة، وأية فائدة علمية نتوخاها في قراءة لا نجدها إلا في لغة ضعيفة لم ترد إلا في شواهد مصنوعة، قرأ بعضهم: ولا تِقربا هذه «الشيَرة» أي الشجرة، وكأن اللغويين استشهدوا لها بما أنشدوا:

«فلا جادكُنَّ الله من شَيَراتِ».



فهرست الكتاب